

الإدراك الجنسي

مجلة فصلية يصدرها اتحاد الكتاب العرب

العدد ٦٢ السنة السادسة عشرة شتاء ١٩٩٠



الاداب الـجـنـيـة

مجلة فصلية نصدر عن اتحاد الكتاب المتربي بدمشق

العدد ٦٢ السنة السادسة عشرة شتاء ١٩٩٠

المدير المسؤول:

علي عقلة عربان

رئيس التحرير:

عدنان بفتحاوي

أمينة التحرير:

د. بشيرة شعبان

هيئة التحرير:

د. نادية خوست

د. عبد عبود

عيسى عصفورد

رفعت عطفه



مكتبة لسان العرب

www.lisanarab.com

lisanerab.com

رابط بديل

الاداب الاجنبية

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

الاشتراك السنوي

داخل قطر ١٠٠ ل.س

الاقطان العربية للأفراد ٢٠٠ ل.س
او ١٠ دولارات اميركية

خارج الوطن العربي ٢٠٠ ل.س
او ١٥ دولار اميركي

الدوائر الرسمية داخل قطر ٢٠٠
ليرة سورية

الدوائر الرسمية في الوطن العربي
٣٥٠ ل.س او ٢٠ دولاراً اميركياً

الدوائر الرسمية خارج الوطن
العربي ٥٠٠ ل.س او ٤٥ دولاراً
اميركياً

اعضاء اتحاد الكتاب ٥٠ ل.س

الراسلات

باسم امانة التحرير

الادارة

اتحاد الكتاب العرب

دمشق - اوستراد الزة

ص . ب ٤٤٢

٤٤٤٣٢٩

٤٤٤٢٩

«الاداب الاجنبية»

مجلة فصلية تصدر كل ثلاثة
أشهر تعنى بنشر المواد المترجمة
من الادب العالمي في مجالات
الشعر والقصة والمسرحية
وغيرها من صنوف الادب
الإبداعي وكذلك في مجالات
ال النقد والبحث الادبي .

* توجه جميع المراسلات باسم
أمانة التحرير .

* يرجى من الاساتذة الذين
يرسلون مواد مترجمة بقية
النشر في المجلة ان يرفقوها
بالاصل الاجنبي وان يذكروا
المراجع بوضوح .

* يرجى من الاساتذة المترجمين
عدم التصرف في النصوص
والعنایة بصححة العبارة
العربية .

* المواد التي تتلقاها المجلة
لا ترد لاصحاحها سواء نشرت
ام لم تنشر .

كلمة التحرير

اجمل ما في الأدب هو انه يحتفظ بتلك القدرة الخالدة على ملامسة أوتار النفس وعزف انساب الألحان لها حتى وان تكاثفتآلاف السنين لتفصل بين الكاتب والقاريء ، فالكلمة الدقيقة المرهفة تتخطى العصور والأزمان والمسافات والاسفار لتحل إشعاعاً ملهمها لأنفسه بعد مئات السنين من اختفاء النفس التي صاغتها وابعدتها . وهنا يلتقي الأدب مع جوهر إنسانيتنا لأن العظيم في الاثنين هو كونهما قيمة كونية خالدة لا تغير من كنهما الأزمنة او الامكنة او المراتب والدرجات . ففي الأدب نجد سيراً لأعماق هذه الإنسانية وكشفاً لمعانيها وابعادها وقيمها الراسخة من هنا فانا ، ومع كل عظمة سocrates ، نكتشف في هذه القصة التي كتبها عنه برتروليبرخت ، انه إنسان قبل كل شيء بمخاوفه ومشاعره وألامه ونقاط ضعفه ، ونرتاح لهذا الشعور لأننا نكتشف اننا طبيعيون وان آلامنا ومخاوفنا ونقاط ضعفنا كانت دائماً جزءاً من شرطنا الإنساني .

كما ينطل علينا هوراس ، الشاعر اللاتيني الكبير ، من عصور ما قبل الميلاد ليكتب اوجه الأزمة التي مازال الكثيرون يعانون منها اليوم ، الا وهي الصراع بين البحث عن ضروريات الحياة ولقمة العيش من جهة وبين التوقد الكبير للتفرغ للكتابة وابحث وإشباع وهج الموهبة من جهة

آخرى . فقد شكا هوراس ، منذ ما يقرب من تسعه عشر قرنا ، مما نشكو منه اليوم ، من التedium والأعباء اليومية التي تستهلك الوقت الثمين وتركتنا نتفرق شوقاً للساعات التي يمكن لنا بها أن نسجل بذات أفكارنا وصدى مشاعرنا . ثم يقودنا انطوني هارتل إلى دهاليز عالم سينيافن مالارميه الجميل والفنى لنكتشف علاقة العقل بالعاطفة وتجربته الفنية والشيقية في الشعر والإبداع . وتنقلنا ملحة مازيسى كوبينى إلى حرارة إفريقيا وغنى وعراقة وأصالة تقانيد وثقافة شعب الزولو .

ويمضي هنا العدد المنوع في تقديم هذه الباقة من المختارات من شعر وقصة ومسرح ودراسات أدبية بأمل أن يجد القارئ ما يمتع ويغيب من هذه النماذج الأدبية المترجمة . لقد توخيانا أن يحتوي العدد على نماذج من اجناس أدبية متعددة ، ومن آداب عديدة وازمان متباينة ، ومن الممتع حقاً أن نرى المعابر الخالية في الأدب قديمة وحديثة وأن نلمس كيف أن التفاعل الإنساني مع النص الأدبي لا يعتمد على زمان أو مكان الكاتب ولا حتى على الجنس الأدبي المعين . والكلمة الخلقة تخترق جميع الحواجز لتسquer في أعماق النفس الإنسانية وتنبت زهرة ، أو بسمة ، أو حتى كلمة جديدة تصبح حلقة أخرى مفنية في هذه السلسلة الثمينة من عالم الكلمات .

إننا إذ نحاول رفد القارئ العربي بما نرتايه من نوافذ مشرقة إلى الآداب العالمية فإن المجلة لن تفتني إلا بمحاجرات وآراء قرائتها التي نرجو أن ترددنا كي يتم اخنها بعين الاعتبار والاستفادة منها في تحضير اعدادنا القادمة .

أمينة التحرير

د . بشينة شعبان

سقراط جريحاً

برتولد بريخت - ترجمة : نظار نظاريان

عن الارمنية

هوراس

٦٥ ق.م - ٨ ق.م - الياس سعد غالى

ستيفان مالارمييه

انطونى هارتنلى - ترجمة فاروق هاشم

الامبراطور شاكا العظيم

(ملحمة من الزولو)

شعر : مازيسى كوبيني - ترجمة : ممدوح عدوان

حكایة اللیلة الثانیة والسبعين بعد المستمائة

للكاتب النمساوي : هوغوفون هوفرما نستال

ترجمة : صلاح حاتم

هوفرما نستال و «الف ليلة وليلة»

دراسة بقلم : صلاح حاتم

ليل محاييد

للشاعر التشيلي : سيرخو ماتياس

ترجمة : رفعت عطفه

صباح مشرق

«ملهاة من فصل واحد»

تأليف الكاتبين الاسپانيين الاخوين

سيرافين والفاريس كنريو

ترجمة : خالد حداد

سُقراط جَرِحًا

• برتولد بريخت
• ترجمة: نظار نظاريان
«عن الأرمنية»

سocrates بن القابلة (٤٧٠ ق.م - ٣٩٩) ، الذي كان قادرًا على جعل كل فكرة متكاملة مفهومة من قبل أصحابه بسحر فكاهاته المناسبة وبممارحاته المسرة . كان يساعد تلاميذه بالوسيلة نفسها حتى يهتموا بأفكارهم الخاصة بدل الأفكار الغريبة التي كانت تلف على رقبتهم من قبل بعض الأساتذة . كان سocrates أكثرهم شهرة بالحكمة والاقدام بين الاغريق . حقا ، يخيل اليانا أن شهرته في الاقدام أصلية عندما نطالع ماتبه افلاطون ، ونعلم كيف أنه تجرع كأس السم التي تسلّمها من السلطات بكل هدوء وجراة ، جزاء جميع تلك الخدمات التي قدمها إلى مواطنيه . لكن الذين كانوا مستحورين بشخصه أكبروا فيه أيضًا إقدامه في المعركة . حقا انه اشتراك في المعركة التي جرت قرب (تلباون) وإنه قاتل بالسلاح في فصيلة المشاة ، لأنه لم يكن قادرًا على

□ سقراط جريحا □

الخدمة في فرق الجيش لا بسبب مهنته (كان سقراط حذاء) ولا بكونه فيلسوفا ، لأن دخله المالي في الحالتين كان يمنعه من الخدمة في فصائل المازونين ، أو الذين تدفع لهم أجور عالية . غير أن إقدامه الذي ليس من الصعب تصويره ، كان حدثا فريدا من نوعه .

كان سقراط قد مضغ بصلًا طوال الصباح، قبل المعركة ، استعدادا للقتال النامي . ذلك ان البصل ، كما يؤكد ذلك الجنود ، يبث الشجاعة في الإنسان .

كان سقراط يبدي شكه في مجالات كثيرة ، كذلك كان يبدي أيضا ايمانه السريع في مجالات أخرى . كانت الحياة العملية ، بصورة عامة ، تعاكس تفكير سقراط ، لهذا لم يكن يؤمن بوجود آلهة متعددة ، لكنه خلافا لذلك كان يؤمن بقوة البصل .

وبكل أسف لم يؤثر فيه البصل بشكل من الاشكال ، وبصورة عامة لم يشعر بذلك التأثير حالا . ومشى سقراط حزينا في سرية حاملي السيوف التي كانت ستختل مواقع لها في أرض حصيد . كان يسير ، من خلفه ومن أمامه ، عدد من شباب ضواحي آثينا مشتتين . لقد وجه أولئك أنظار سقراط إلى أن الترسos التي صنعوا صناع الأسلحة في آثينا لاتصلح تماما لأولئك البدينين كأمثال سقراط . كان سقراط قد فكر التفكير نفسه ، غير أنه لم يكن قد لاحظ البدينين ، وإنما كان قد لاحظ المربوعين الذين ، لم تكن تلك الترسos الضيقة المضحكه ، تستر وراءها إلا نصف أجسامهم .

لم يكن سقراط قد انتهى من تبادل الآراء مع الجنود السائرين من خلفه ومن أمامه ومن حوله : كيف ان صناع الأسلحة يجنون الإرياح الطائلة بصنع تلك الترسos الضيقه ، عندما سمع الامر العسكري يوزع بالقليولة .

□ سقراط جريحا □

اندفع الجميع الى ارض الحقل الحصيد . أراد سقراط الجلوس على الترس لكن النقيب منعه من ذلك . ان تعليمات القيادة والاوامر المعطاة بصوت عال قد ازعجه بقدر تلك الملاحظة الهادئة . لم يكن العدو بعيدا عنهم حسبما كان يبدو .

لفـ المكان ضباب أبيض بلون اللبن هو ضباب الصباح . لكن صوت الخطوات ، وقعقة الاسلحة كانوا يدلان على ان المرج مشغول .

بكل اسف تذكر سقراط نقاشه مع الشاب الثبيل الذي كان في وقت ما قد صادفه خلف الكواليس ، أما الان فكان ذلك الشاب قد أصبح قائدا للفرسان .

ـ يا لها من خطة عظيمة . كان ذاك الشاب البهيم قد قال لسقراط بحماس .

ـ تتحرك المشاة بصورة مباشرة ، وتتلقي بكل بسالة ، ودون اي تردد ضربة العدو وفي نفس الوقت تنطلق الخيالة نحو المنبسط الداخلي ، ومن هناك تظهر في مؤخرة العدو .

يجب ان يكون ذاك المنبسط بعيدا ، على نحو ما ، من ساحة المعركة نحو اليمين في مكان ما يفطيه الضباب . والآن ربما تتحرك الخيالة الى تلك الجهة .

خيل لسقراط بأن الخطة مدروسة بشكل جيد . وبصورة عامة لم تكن سيئة ، وان كان وضع الخطة من أسهل الامور خاصة في الوقت الذي يكون فيه العدو قويـا . في الحقيقة يبدأ التقاتل اي التقىـل في احـرج الاوقـات، وان المرء بـدل الانـدفـاع الى الـامـام ، حـسبـ الخـطـةـ المـوضـوعـةـ، فـانـهـ يـسـيرـ الىـ حـيـثـ يـجـبـرهـ العـدوـ .

□ سقراط جريحا □

تحت غيش نور الصباح خيل لسقراط بأن خطة الامس فاشلة تماما . ما معنى أن يتلقى المشاة ضربة العدو .ليس كل انسان ، بصورة عامة ، يتحاشى الضربة .

اما هنا ، فمعنى تلك الخطة ، اي معناها الحقيقي ، ان تتلقى ضربة العدو بنفسك ..

ليس هناك شيء اسواء من تعين قائد للخيالة .

ففي تلك الظروف لا توجد في السوق كميات من البصل تكفي لعامة الناس .

ترى ، امن العدالة ان يتواجد المرء في الصباح الباكر جالسا في بريئة ما فوق ارض عارية وعلى ظهره لا اقل من عشر فوندات من الحديد ، والسبيف في يده ، بدل ان يكون راقدا في سريره ؟ . اي كلام هذا . مادامت مدينة الوطن تتعرض للهجوم . فالانسان ملزم بالدفاع عن شرفها ، وإلا ستكون هنالك أمور غير مستحبة فيما بعد .

لكن لماذا تتعرض المدينة للهجوم ، لأن أصحاب كروم العنبر والنحاسين وأصحاب السفن يثرون المشاكل أمام حرية اعمال أصحاب السفن وكروم العنبر والنحاسين .

الفرس في آسيا الصغرى . اسناد عجيب .

فجأة تنبه الجميع .

دوبي . اخرس سمع في الجهة اليسرى من خلال الضباب المنتشر ، كانت تصاحبه أحيانا قعقة معدن ، وبسرعة أصبح الدوي أكثر وضوحا . كان العدو قد بدأ الهجوم .

□ سقراط جريحا □

نهضت الفصيلة واقفة وأخذ كل جندي يحدق بدقة في جهة الضباب . على بعد عشر خطوات رکع أحدهم وأخذ يرجو الآلهة بلسان النع . «ترى ألم يكن متاخراً» فكر سقراط .

وفجأة سمع ، كجواب ، أنين يائس آت من الجهة اليمنى . الصوت الذي كان يطلب النجدة اختنق في أنين الاحتضار . رأى سقراط ، من خلال الضباب ، قطعة سيخ حديدية تتطاير نحوه ... أنها رمح ... ثم لمح من خلال الضباب وجوه غير واضحة للجنود ... انهم الاعداء ...

استولى الهلع على سقراط عندما فكر بأنه ربما تأخر كثيراً ، فدار على عقبه وهرب . كان ثقل الدرع وواقيات الذراعين يعرقلان كثيراً سيره أكثر من الترس . لم يكن من اليسير التخلص من تلك الايقاف . كان الفيلسوف يهرب لاهثاً من خلال الحصيد ، كان كل شيء الآن مرتبطة بالركض هل يمتاز هو في الركض . إن الشبان الشجعان السائرين في الخلف من الممكن أن يتلقوا بأنفسهم ضربات العدو ويعيقوها لفترة ما .

صرخ سقراط فجأة من ألم جهنمي ، لقد أخذت قدمه اليسرى تلتهب بشكل لا يتحمل أبداً ، فسقط على الأرض وهو يئن ، لكنه يقفز واقفاً من ألم جديد .

نظر سقراط حوله نظرة ضبابية وفهم كل شيء . لقد وجد له ملجاً في حقل الاشواك كان الحقل متاهة من الاشواك القصيرة الحادة ، ومعنى ذلك أن اشواكاً قد غرست في قدميه . كان يبحث بحذر عن مكان للجلوس وقد ترققت عيناه بالدموع . وقبل الجلوس دار دورة وهو يقفز على رجله السليمة . كان لابد من قلع الشوكة حالاً . كان يمضي بانتباه شديد

□ سقراط جريحا □

الى ضجة المعركة وهي تنتشر على ابعاد غير قليلة من الجهتين . انه بعيد عن قلب المعركة مسافة مائتي خطوة تقريبا ، ومع ذلك كانت الضجة تقترب ببطء ولكن بصورة مؤكدة .

لم يتمكن سقراط من خلع حذائه بشكل من الاشكال . كانت الشوكة قد اخترقت اللحم وتولدت فيه . اكان من المقبول ان يلبسوا الجندي المدافع عن الوطن أحذية رقيقة الاعقاب كذلك ، ان لبس الحذاء ولو لمسا رقيقة كان يحدث له ما شدیدا . كانت ساعدهما القويتان تسترخيان . ما العمل ياترى ؟ .

توقفت نظرته الحزينة فجأة على السيف الذي سقط قربه ، فأشرقت في ذهنه فكرة مفاجئة كانت في تلك اللحظة أحلى من التي كانت تشرق أثناء المناوشات الا يمكن استعمال السيف بدل السكين . وتناول السيف بيده .

سمع في تلك اللحظة اصوات خطوات ، فظهرت من خلال النباتات الكثيفة فصيلة صغيرة من الجنود . الحمد لله ، انهم من جماعته . وقف الجنود للحظات عندما رأوا سقراط - هذا هو الحذاء . قال أحدهم . ثم ابتعدوا .

ولكن ، هاهي اصوات جديدة آتية من الجهة اليسرى . كانوا يأمرون بلغة أجنبية ... باللغة الفارسية ...

من جديد حاول سقراط الوقوف ، يعني الوقوف على رجله اليمنى ، فاتكا على السيف لكنه كان قصيرا كمتكمى . في ذلك الوقت ظهرت ، من الجهة اليسرى جماعة من الجنود من بين التحليل . كانت تصل الى سمعه تاوهات وقعقuntas السيف المحببة الرؤوس ، او اصوات ضربات الحديد على الجلد

□ سقراط جريحا □

قفز على قدم واحدة الى الوراء يائسا ، ولكنك اتكا فجأة على رجله الجريحة ثم تدحرج متاؤها على الارض . حتى تلك اللحظة كانت جماعة من الجنود عددهم يتراوح بين العشرين والثلاثين قد اقتربت منه كلما . كان الفيلسوف لايزال جالسا فوق الاشواك موجها نظراته البائسة نحوهم .
كان من الصعب جدا ان يتحرك من مكانه .

ليحدث ما سيحدث . حتى لا يشعر باللم رجله الرهيب من جديد اصبح لا يعرف ماذا يفعل ، فصرخ بكل قوته . لم يكن ، في الحقيقة ، يشعر بأنه يصرخ ، وإنما كان يسمع فقط صوت صراغه . كان يسمع الصوت صادرا من صدره القوي كانه صوت صادر من اليوق .
ـ الفصيلة الثالثة ، الى هنا ، ايها الشبان انزلوا بهم ضربات قاتلة .

وجد نفسه فجأة والسيف في يده يلوحه ويدور في الهواء حول نفسه . في تلك اللحظة ظهر أمامه جندي فارسي من بين النباتات والرمح في يده . وبضربة من سيف سقراط طار الرمح الى طرف ثم تبعه الجندي الفارسي .

سمع سقراط من جديد صوته هو يصرخ : ـ لاتتقهقرؤا الى الوراء ايها الشبان ولا خطوة واحدة بعد الان . لقد أصبحت تلك الكلاب أخيرا في قبضتنا . سر الى الامام يا كرابولوس ، الى الامام مع مناسستك . اتجه الى اليسا يا توللوس ساحق كالغبار كل من يحاول التراجع .

جنديان من جماعته ظهرا بجانب سقراط المدهوش، فوققا خائفين .
ـ اصرخوا ـ قال لهما سقراط بصوت خافض ـ اصرخوا كرمي للسماء .

□ سقراط جريحا □

ركبنا أحد الجنديين بدأنا ترتجفان من الرعب ، أما الثاني فقد أخذ يصرخ حالاً . في ذلك الوقت نهض الجندي الفارسي من مكانه بصعوبة وعمد إلى الفرار .

ما يقارب العشرة من الجنود قد تجمعوا من الضاحية ، فكان محتملاً هروب جنود الفرس نتيجة الصرخات خوفاً من أن يحاصرها .
ـ ما الذي حدث . سأله جندي مواطن لسقراط الذي كان لايزال جالساً .

لاشيء . أجابه سقراط .ـ خير لكم لا تتجمعوا هنا وتحدقوا فيـ
ـ للا يعلم الفرس ، كم قليل عددهـ .
ـ خير لنا أن نهرب . قال جندي آخر بتردد .
ـ ولا خطوة إلى الوراء . خالفه سقراط قائلاً .ـ هل أصابنا الجنون .

ولكن لا يكفي أن يكون الجندي شجاعاً فقط . بل يجب أن يكون له أيضاً شيء من الحظ . هكذا ، سمعت أصوات واضحة لخطوات تأتي من بعيد وصرخات غاضبة باليونانية . كان يعرف الجميع أن خسارة الفرس في ذلك اليوم كانت كاملة . وهي التي حسمت وجهة القتال .

عندما وصل الكبيبيادس على رأس فرسانه إلى تلك الضاحية المسربلة بالاشواك رأى كيف أن عدداً من المشاة يحملون على أكتافهم رجالاً ثخيناً .
وقف خيله وتعرف فوراً بسقراط ، فروى له الجنود كيف أن هذا الرجل ، بشجاعته المتناهية ، قد حول أفواج الجيش اليوناني المهزوم إلى القيام بهجوم معاكس .

□ سقراط جريحاً □

حملوا سقراط منتصراً حتى موقف العجلات ، وهناك أركبوه عجلة رغماً عن ارادته ثم قفلوا عائدين به الى المدينة وقد بلهم العرق ، والابواق تقدمهم بأصواتها العالية . حمل الناس سقراط فوق الايدي حتى منزله .

كسانتيب ، زوجة سقراط ، طبخت لوبيء من أجله . كانت راكعة امام موقد النار وهي تنفع فيها دون أن تخشى على محياتها ، وكانت بين الحين والآخر تنظر الى زوجها . أما سقراط فكان جالساً دون حركة على ذلك الكرسي الذي كان رفاقه في السلاح قد اجلسوه عليه .

— ماذا حدث لك . سألته زوجته بشيء من التردد .

— بي أنا — تتم قائلًا — لاشيء .

— ماهي تلك البطولة التي قمت بها . الجميع يتكلمون عنك . ارادت زوجته ان تعرف .

— انهم يغالون . — أجابها ، ثم أضاف — ما الد رائحة الطبيخ الآتية .

— كيف يمكن أن تأتي رائحة الطبيخ ، بينما النار لم توقد بعد . اتظن نفسك أهلاً ، اليك كذلك . — ثارت زوجته — ابني اتصور كيف سيسخرون مني غداً ، عندما اذهب لشراء الخبر .

— انا لا اظهر نفسي أهلاً كما تتصورين . ابني قاتلت
— وانت سكران .

— لا . عندما كان الجنود يتقدرون او قفتهم .

— انت نفسك عاجز عن الوقوف — قالت زوجته وهي تنهمق واقفة بعد أن أشعلت النار . — ناولني الملحمة من فوق الطاولة .

□ سقراط جريحا □

— محتمل — أجب سقراط ، متأخراً ومتفكراً . — ربما خير لي
الآن تناول طعام الغداء ، يخيل الي ان معدتي ليست مرتاحه .
— ألم أقل بأنك مخمور . هيا أنهض وتمشى في الغرفة ، عندئذ
سترى ان كنت مخموراً أم لا .

— ألمته كثيراً معاملة زوجته غير العادلة . لكنه ، طبعاً ، لم يكن لي أنهض
من مكانه بشكل من الاشكال ، حتى لا يريها انه عاجز عن الوقوف على
رجليه .

كانت زوجته متشوقة الى معرفة شيء ما ليس لصالحه . حقاً ،
كان الامر سيغدو مزعجاً جداً لو كشف النقاب عن حقيقة البطولة التي
جرت في المعركة .

كانت كسانديب لاتزال مشفولة بالموقد ، فافرغت اثناء ذلك كل
التراكمات التي في نفسها . قالت :

— ابني متيقنة بأن اصدقائك ، من ذوي النفوذ ، قد اوجدوا لك
في هذه المرة مكاناً مناسباً قرب مطبخ الحقل . أما الحديث عن بطولتك
فليس الا كذبة ولا شيء آخر .

نظر سقراط من النافذة الى الخارج ، الى الزقاق حيث كان الناس
يمرون فوق أيديهم مصابيح بيضاء .
كان احتفالاً بالنصر .

لم يحاول اصدقاؤه ، من ذوي النفوذ ، عمل شيء من اجله . وهو
ايضاً لم يكن يرضي بذلك . ولكن ، في كل الاحوال ، ليس بذلك
الشكل العلني .

— اصدقاؤك جمِيعاً ، ربما يعتبرون ذلك شيئاً طبيعياً ، مادمت
أنت حذاء اذا سوف تسير مع جميع الارتال ولذاك السبب لم يفعلوا

□ سocrates جريحا □

شيئاً من أ杰لك . الحذاء سوف يبقى حذاء ، هكذا يقول أولئك . والا سنضطر إلى الوقوف تحت سقفه القدر والتحدث ساعات وساعات والاعلان للعالم كله ان : تعالوا وانظروا هذا حذاء ام لا . ها أولئك الرجال المرموقون سوف يجلسون قربه ويتكلمون عن الفلسفة انهم سفلة فندرون .

— تلك تسمى « بيليفوبى » — قال سocrates دون اهتمام .

القت زوجته عليه نظرة تنم عن عدم الرضى .

— لا داعي لتعليمي . ابني عارفة نفسى باننى لست متعلمة . فلو لم اكن امية لما وجدت من تعطيك كأسا من الماء ، ولا من تفسيل رجلتك .

اضطرب سocrates . ومن حسن حظه ان امراته لم تلحظ ذلك . ليس اليوم ، ولا في اية حالة من الحالات ليس لها ان تفسيل الارجل . حمداللّٰه انها لم تلحظ اضطرابه ، وانما استمرت بالقاء خطبتها قائلة :

— ا يعني ذلك بانك لم تسكر ، وانه لم يتع لك الجلوس على العجلة . ذلك يعني انك حافظت على نفسك كواحد من المقاتلين بالسيوف . ربما تكون يداك ملطختين بالدماء ، اليك كذلك ؟! . ولكنك تصرخ عندما القى امامك بعنكبوب ما . بدون شك ابني غير مؤمنة بشجاعتكم ، ولكن مع ذلك فقد قمت بعمل ما بكل ذكاء ، حتى ان أولئك الناس كانوا يربتون على كتفك ما دحينك . ولكن كمن مرتاحا فلا بد لي ان اعرف الحقيقة .

كانت طبخة اللوباء جاهزة ، حقا ا أنها ترسل الان عبرا مثيرة . رفعت كسانتيپ الفطاء بطرف ثوبها وأخذت تقلب الطبخة بالملعقة .

كان سocrates يفكر في : هل يستحق ان يتغلب المرء على الماجنة . لكن فكرة قيامه وجلوسه حول المائدة قد أجبرته على كبح نفسه بصورة موقته . كانت نفسه تتلاطم كالمواج . انه يشعر بشكل جيد ان المسالة

□ سقراط جريحا □

لن تنتهي بتلك الصورة حالاً ستظهر مزاعجات من كل الأشكال . لا يمكنه ، كمن انتصر على الفرس ، ان يبقى جالساً بارتياح بذلك الشكل . ففي اللحظات الاولى من احتفالات النصر من الطبيعي من ان لا يفكروا بالذين جلبوا الانتصار ، فكل واحد يلتهي بامتداح اعماله البطولية . ولكن غداً وبعد غد عندما يرى الناس ان كل فرد يحاول الحاق مجد الانتصار بشخصه فعندئذ يبذلون بالتحدث عن سقراط . وكل الذين يعرفون ان الحداء هو البطل الحقيقي الوحيد لتلك المعركة فحينئذ سوف يضعون هذا لكثير من المدعين الذين يمتدحون أنفسهم . ان الآتينيين لا يحبون آليبيادس كثيراً حتى دون ذلك . ويتصايح الناس بكل سرور من خلفه : « انت كسبت المعركة ، ولكن الحداء هو الذي حطم العدو » .

زاد الالم الذي سببته الشوكة اكثر فأكثر . اذا لم يتيسر له خلع الحداء فربما تسنم دمه .

— لماذا تشرقين هكذا؟ . قال سقراط بروح متسامحة .

جمدت المرأة والملعقة في فمها .

— ماذا حدث .

— لاشيء . أجابها سقراط فرعاً . — كنت غاصاً في الافكار .

طير الجريح صواب المرأة فوضعت طنجرة اللوباء على الموقف وركضت الى خارج الغرفة .

تنفس سقراط الصعداء ، ثم نهض بسرعة عن الكرسي ، نظر الى الباب ثم قفز عائداً الى فراشه . عندما دخلت زوجته الى الغرفة من جديد لتأخذ شال الاعياد نظرت الى زوجها مرتابة فرأته راقداً بلا حراك فوق كرسيه الجلدي الهزاز . خيل اليها للحظة ، ان زوجها مريض ،

□ سقراط جريحا □

فكانت تسأله عن ذلك ، ألم تكن هي امرأة وهبت نفسها لزوجها . كان كسانتيبي فكرت في تلك اللحظة بما هو أحسن ، فخرجت دون أن تنبس بكلمة ، وذهبت مع جارتها لمشاهدة احتفالات النصر .

نام سقراط نوماً مزعجاً ، وعندما استيقظ كان مهموماً . وان كان قد خلع حذاءه لكنه كان قد عجز عن ايجاد الشوكة ، كانت رجله آخذة في التورم بشدة .

كانت امرأته في ذلك الصباح أقل تنازلاً . مساء الامس كانت قد سمعت كيف ان الجميع يتكلمون عن زوجها . حقا ، كان لابد أن شيئاً ما قد حدث حتى استطاع زوجها كسب اعجاب الناس . لكنها مع ذلك لم تكن تصدق ان سقراط قادراً على ايقاف جحافل الفرس ومنع تقدمهم . إلاـ هذا ، لا يمكن .

كانت زوجته تفكـر : - انه يستطيع ايجاد اسئلة تملأ كتاباً ، اما ايقاف جحافل العدو ، فلا ...

لكن ، ما الذي يمكن ان يحدث .

كانت المرأة مرتبكة لدرجة انها قدمت لزوجها في فراشه حليب الماعز وسألته : - الا ت يريد النهوـض .

- لامزاج عندي لذلك . تمـم سقراط قائلـاً .

طبعاً لا يجـاوـبون على سؤـال المرأة المذهب بذلك الشـكـل .

ولـكن كـسانـتيـبي تـجـاهـلت ذلك وهي تـفـكـر : ان زوجها لا يـرـيد الـظـهـور للـنـاس .

منذ الصـبـاح الـبـاـكـر جاء عدد من الشـبـان كـضـيـوف ، وـهـمـ من اـولـادـ الـاـثـرـيـاءـ الـذـيـنـ كانواـ يـحـيـطـونـ بـسـقـراـطـ كـلـ يـوـمـ . كانـ اوـلـئـكـ الشـبـانـ

□ سقراط جريحا □

يتعاملون مع سقراط على اساس انه استاذهم ، حتى انهم كانوا يسجلون اكثراً احاديثه ، و كانها اشياء خاصة تتميز عن غيرها .

اعلم اولئك الشبان سقراط بأن آثينا كلها تتغنى بمجده . وان ذلك يوم تاريخي حقيقي للفلسفة . « اذن فان زوجته كانت على حق . انه يدعى بالفيلسوف ولا شيء آخر » .

لقد أثبت سقراط للعالم بأن المفكر الكبير يمكنه ان يكون أيضاً فاعلاً كبيراً .

كان سقراط يستمع اليهم دون سخرية المعتادة ، عندما كان اولئك يتكلمون في الخيال للفيلسوف انه يسمع من بعيد ، ما يشبه صدى رعد ، يسمع سخرية المدينة كلها ، العالم كله ، سخرية لاتقاوم . وان كانت تلك السخرية لازالت بعيدة لكنها تقترب دون مقاومة ، وهي تسحر كل فرد ، تسحر العائدين والرائحين في الشارع والتجار ورؤساء البلديات في الساحات ، والصناع في حواناتهم .

— كل ما ذكرتموه ليس الا بلاهة . قال سقراط بعزيمة لامشيل لها ، ثم .

— اني لم افعل شيئاً .

نظر بعضهم الى بعض مبتسدين ، ثم قال احدهم :

— نحن ايضاً كنا نقول نفس الشيء . كنا نعرف انك ستقول مثل ذلك الكلام .

ما هذه الصرخات المفاجئة . سألنا افزوبيلوس امام المعهد الاعدادي : ان سقراط قام ببطولة في علم النفس خلال عشر سنوات ولكن احتماً لم يرغب حتى التعرف به . لكن هاهو يكتسب معركة واذ يائينا كلها تتكلم عنه . ألسنت انت بالذات ترى : كم معيب ذلك .

□ سقراط جريحا □

تنهد سقراط .

ـ ولكنني لم أكسب معركة بشكل من الاشكال . ابني دافعت عن نفسي فقط ، لأنهم هاجموني . لم تكن تلك المعركة تهمني قط ، أنا لست بائع خمور ، ولا أملك كروما للعنب في النواحي . حتى ابني ماكنت أعلم في سبيل ماذا كنت أقاتل . كنت محاطاً بأناس عقلاء لدرجة ما ، من أولئك الذين يعيشون في ضواحي آثينا ، والذين كذلك لم يكن عندهم أي اهتمام بالحرب .

كان الشبان واقفين مصعوقين .

ـ اذن ، ماذا ..ـ اليست صحيحة .. تصايحوا جميعا . نحن ايضاً كنا نقول مثل ذلك . وانك لم تفعل شيئاً غير الدفاع عن نفسك ، ليس ذاك الفعل الا اسلوبك في كسب المعركة . فاغفر لنا ، انتا ذاهبون الى المعهد الاعدادي . كنا نتناقش حول هذا الموضوع عندما جئنا اليك للسؤال عن صحتك .

وانصرف الشبان ليستمروا في المناقشة بعزيمة جديدة .

كان سقراط راقداً دون كلام واضعاً يديه تحت راسه وهو ينظر الى السقف المسود من الدخان . لم يكن حجمه الحزين قد خدشه . كانت زوجته تنظر اليه من زاوية الغرفة وهي تخيط له ثوبه العتيق وفكراً مشتتاً . قالت فجأة بصوت خفيض .

ـ ولكن أين السر .

اضطرب سقراط ونظر الى امراته دون جرأة .

كانت كسانثيبي امراة ذاتي من العمل ، بصدر يابس كالخشب وبعيدين حزينتين . كان سقراط يعرف انه يمكن الاتمام بها . كان

□ سقراط جريحا □

باستطاعتها ان تدافع عنه حتى وان قال طلابه : « اسقراط هذا . أليس هو ذاك الحذاء الكريه ، الذي لا يؤمن بالله » . ما أسوأ حظ كسانتيپ اعندما التقت بسقراط . لكنها لم تستك لأخذ عن ذلك ، ما عدا ، هو سقراط . لم يحدث ابدا ، انها لم تحتفظ باخر كسرة من خبزها ، او طعامها لزوجها الذي كان يعود الى البيت جائعا من عند طلابه كل يوم .

كان سقراط يتساءل بينه وبين نفسه : أليس من الافضل له ان يروي لزوجته عن كل شيء . غير انه فكر فيما بعد . عندما يزوره اناس كما حدث منذ قليل ليحدثوه عن بطولاته ، عندئذ سيضطر هو الى رواية اشياء ليست صحيحة بل كاذبة . انه عمل يعجز هو القيام به بحضور زوجته ، حتى لاتعلم الحقيقة . لأن سقراط كان يحترمها . فلذاك السبب اكتفى بالقول :

— طبخة اللوباء بالامس ملأت الغرفة برائحة غير مستحبة .

القت الزوجة نظرة شك على زوجها .

كان سقراط يعرف جيدا انه ليس بامكانهم طرح الطعام المتبقى خارجا ، فكان يريد فقط توجيه أنظار زوجته الى وجهة اخرى .

كانت كسانتيپ متيقنة بأن شيئا ما قد حدث مع زوجها . لماذا لاينهض من مكانه . كان فيما مضى أيضا يحب البقاء في فراشه مدة طويلة ، ولكن سببه الوحيد في ذلك انه كان ينام متأخرا . أما اليوم فالمدينة كلها قائمة قيامتها بسبب احتفالات النصر . الدكاكين جميعها مغلقة في الاسواق . لقد عاد قسم من فرقة الخيالة المكلفة بتعقب العدو الى المدينة في الساعة الخامسة من صباح هذا اليوم . سمع الجميع صهيل الخيول . كان زوجها في مثل تلك الايام يبقى خارج المنزل من الصباح الباكر حتى اواخر الليل ، ويكون عالقا في الحديث مع هذا او ذاك . أما الان فلماذا لاينهض من فراشه .

□ سقراط جريحا □

سمع صوت صرير الباب ، دخل أربعة من الموظفين الفرفة ووقفوا في وسطها . قال أحدهم بشكل رسمي ولكن بكل تهذيب : انهم مكلفوون بجلب سقراط الى آريوباك⁽¹⁾ . ان القائد آلكيبيانس هو بالذات اقترح تكرييم سقراط نظرا للخدمات الحربية الكبرى التي قام بها .

سمعت في الشارع ضجة وصرخات ، معناتها ان جمهورا قد تجمع أمام الدار .

شعر سقراط بجسمه يتصرف عرقا . كان يعرف انه مجبر على القيام واقفا حتى ولو رفض الذهاب معهم . ومع ذلك عليه ان ينهض واقفا حتى ولو رفض الذهاب معهم . ومع ذلك عليه أن ينهض واقفا ليتمكن معهم عن شيء ما بكل تهذيب ، وحتى ، على الأقل ، ان يرافقهم حتى الباب . كان يعرف عجزه عن التحرك ولو خطوتين . اما اولئك الناس فبمجرد مشاهدتهم رجله سيكتشفون كل شيء ، ويرفون اصواتهم حالا ، الآن ، مكانيا .

هكذا ، عوضا عن الوقوف ناهضا وقع فوق مخدته اليابسة وقال :

= لست بحاجة الى اي تكرييم . قولوا لآريوباك اني لعلى موعد مع عدد من الاصدقاء في الساعة الحادية عشرة للتحدث حول بعض الامور الفلسفية التي تهمنا . واني لاسف جدا ، حتى لا استطيع المجيء . اقول اني لا اتجاوب مع الاحتفالات العامة ، اني متعب جدا .

اضاف سقراط مسألة تعبه ، لانه اسف بكل بساطة على طرحه موضوع الفلسفة هنا . أما تعليه الاول الذي بينه فكان يعتقد بأنه لا يستطيع التخلص منهم إلا بالجلافة .

(1) آريوباك - اسم المحكمة العليا في آثينا .

□ سقراط جريحا □

ممثلو السلطات المطيبة فهموا سقراط ، وخرجوا منصرين وهم يطاؤن ارجل الجمهور المتجمع .
— انتظر ، حتى ترى كيف سيعلمونك احترام الدولة . قالت زوجته غاضبة ثم انصرفت الى المطبخ .

انتظر سقراط خروج زوجته ثم انقلب بجسمه الشخين ببراعة الى الطرف الثاني وهو ينظر الى الباب بطرف عينيه ، وجلس على طرف الفراش ، حاول ، بكل حذر ، الوقوف على رجله المريضة . خيل الى سقراط انه يقوم بمحاولة بائسة جدا ، فعاد ورقد من جديد بعد ان كاد يفرق في سيل من العرق .

مر نصف ساعة . رفع كتابا يقرأ . كانت رجله لا تكاد تولمه عندما تكون في حالة الراحة .

جاءه حالا صديقه آنديسينس لزيارتة مرتديا معطفه ووقف من جهة رجلي سقراط ، ونظر اليه بصمت وهو يسعل ويشد لحيته :
— الا زلت نائما . كنت معتقدا اني لن القى هنا الا كسانثيب . لقد غادرت فراشي لاخذ بعض المعلومات عنك . كنت مصابا بالبرد اصابة شديد لذلك لم اتمكن من حضور الاحتفالات .
= اجلس . اجا به سقراط باختصار .

رفع آنديسينس كرسيا من الزاوية وجلس قرب صديقه .
— يجب ان ابدأ اعمالي من جديد مساء اليوم . لا سبب البتة هناك يدعوا الى التأجيل .
= نعم ، طبعا .

— طبعا انا اشك في مجيء تلاميذي . اليس هذا يوم مأكل ومشاركة كبيرة . غير اني صادفت وانا في طريقى الى هنا ب (فيسطون) الشاب ،

□ سقراط جريحا □

ولما اخبرته بانني في هذا المساء سأبحث موضوع المحاسبة العامة ، فقد
انتعش كثيرا .

قلت له : انه يستطيع الحضور بالخوذة . سوف يطرى كل من
فيساغوروس والآخرون غضبا عندما يعلمون بأن تدرس المحاسبة العامة
عند آنديستينس في أول مساء مباشره لانتهاء المعركة .

كان سقراط يتارجح في الكرسي الهزاز وقد مال نحو الحائط مستندا
به كفه . نظر بامتعان الى صديقه بعينيه الجاحظتين قليلا .

= الم تصادف آخرين .

- ازدحام جماهير .

نظر سقراط الى السقف متفكرا : هل يكشف عن سره لأنديستينس
انه رجل أمين ، انه لايتناقض ابدا اموالا عن اعماله ، لذلك فهو ليس
بمنافس ، ربما يستحق التشاور معه من اجل تلك الحادثة العويصة .

نظر آنديستينس باهتمام بعينيه الصرصوريتين اللامعتين الى
صديقه وقال :

- كيوركيادس يتوجول في المدينة ويحاول اقناع الجميع عن احتمال
هربك من ساحة المعركة . ولكنك اضعت طريقك بسبب الاضطراب
وبدلأ من الرجوع الى الخلف تقدمت الى الامام . ان عددا من الشباب
الجيدين يرغبون تحطيم عظامه بسبب تلك لافتراءات .

نظر اليه سقراط بدهشة هزيلة .

= حماقة . اجاب سقراط بحدة .

وحالا توضحت الامور له ، اي سلاح يعطي هو لاعدائه اذا كشف
عن السر .

□ سقراط جريحا □

ليلا ، عند الفجر ، تمخض ذهنه عن فكرة ، هي انه ربما استطاع تقديم كل ذلك على اساس التجريب والقول : انه رغب بذلك ان يجرب مدى سهولة تصدق الناس . منذ عشرين سنة وانا اتجول من زقاق الى زقاق دون توقف داعيا الناس الى الرفض . ولكن جديشا واحدا تافها لكاف ان وصف بال مجرم من قبل تلاميذي .. الخ . لم تكن في ذلك الوقت ضرورة لكسب المعركة . والآن واضح سوء الظروف من اجل الدعوة الى الرفض . بعد الانكسار حتى الذين يديرون دفة الدولة يصبحون سلبين . اما بعد الانتصار فحتى اناس الطبقات الادنى ينقلبون ، لفترة محددة ، الى متучبين للحرب ، الى ان تعود عقولهم الى رؤوسهم ويدركوا ان الانتصار والانكسار امران متساويان بالنسبة اليهم . كلا ، لن تتزين الان بالرفض والسلبية .

سمعت من الشارع اصوات سبابك الخيول . توافت الخيالة امام باب المنزل ، وبخطوات سريعة دخل آلكبييادس بالذات منزل سقراط .
— صباح الخير يا آنديستينس كيف تسير امور الفلسفة . جنودنا على وشك اضاعة صوابهم . — صاح قائلا بكل اطمئنان . — قامت عاصفة في آريوباك يا سقراط بسبب اجابتك . ان افتراضي حول تكرييمك باكاليل الفار ، استبدله انا ، مجازة ، بافتراض جلدك خمسين جلدة بالسوط . طبعا ذلك قد شجعهم لانه يتماشى مع رغبتهم . لكن مع ذلك سوف تأتي معنا ، سنذهب مشيا على الاقدام .

تنهى سقراط . كانت صدقة متينة تربطه بالكبييادس الشاب وكثيرا ما تناولا الخمر معا . كان عملا حسنا دون شك زيارة صديقه له . انه لم يقم بذلك بداعع رغبة سيئة في آريوباك وان كانت تلك الرغبة مشرفة تستحق الدفاع عنها .

□ سقراط جريحا □

كان سقراط لا يزال يتارجح في الكرسي الهزاز منشغل البال فقال :
= تستطيع ربح الاستعجال ، بكل صبر ، ان يدمر المخلوق . اجلس .
ضحك آلكيبيادس وسحب كرسيها ، لكنه احنى رأسه بأدب امام
كستانيب قبل الجلوس والتي كانت واقفة امام الباب بخشوع تمسح
عينيها النديتين .

- امركم عجيب ايها الفلسفه . قال آلكيبيادس فاقدا صبره . -
حتى انت بالذات ربما تشک بما قدمت من خدمة في تحطيم الفرس . لقد
اثبت لك آنديستينس ، طبعا ، بعدم وجود اثباتات كافية لذلك .
- نحن لم نتكلم الا حول المحاسبة العامة فقط . اسرع آنديستينس
بالقول وسعل من جديد .

ضحك آلكيبيادس .

- كنت اعرف ذاك . لا تحلو لك الضجة القائمة حول اسمك . لكنك
قمت بعمل بظولي . ففي ظني ليس ذلك بأمر كبير ، ولكن هل اكليل
الفار شيء عظيم . سك اسنانك ببعضها ايها العجوز ، وتحمل ذلك بصبر
مناسب . كل شيء سينتهي بسرعة ودون ضرر ما . وبعد ذلك نذهب
معا لشرب كأسا .

ونظر باهتمام الى سقراط البدين القوي الذي كان يتارجح الان في
الكرسي الهزاز اسرع من السابق .

في تلك الساعة كان سقراط يتقبل كلماته بخففة وجدية ويقرر بما
سيقول مثلا ، كان بإمكانه ان يقول : ان رضة اصابت رجله في الليلة
السابقة او صباح اليوم ، ربما حتى في تلك الساعة التي انزله الجنود
من على اكتافهم ان هذا بالذات لبرهان قاطع . وحادثة بمثل تلك تبين ان
تكريم المواطنين يمكنه ، بكل بساطة ان يلحق الاذى بالانسان .

□ سقراط جريحا □

تحرك سقراط الى الامام مستمرا في تارجحه ونظر الى فراشه ثم
مسد بيده اليمنى يده اليسرى وقال :
= المسألة ان رجلي ...

في تلك اللحظة بالذات تقابلت نظرته ، التي لم تكن حازمة تماما ،
لانه كان يستعد لركوب الكذب ، تقابلت بنظرة كسانتيبي التي كانت تقف
امام باب المطبخ . سكت سقراط حالا . وبرغبة متناهية ماتت في نفسه
رغبة رؤية شيء مختلف . لم تكن رجله قد رضت .

توقف الكرسي الهزار عن التأرجح .

= اسمع يا الكيببيادس . قال سقراط بهمة وحزم .

= لا يمكن التحدث هنا عن البطولة ولو حتى بالكلام . فعندما بدأت
المعركة ، اي عندما رأيت اول فارسي ركنت الى الهرب ، تماما باتجاه
معاكس ولكن الحقل الذي كنت اهرب فيه كان زاخرا بالاشواك فدخلت
شوكة في رجلي واثر ذلك عجزت عن الفرار عندئذ بدأت اهز السيف يمنة
ويسرة بشكل جنوني ، ومن حسن الحظ لم اضرب جماعتنا . ومن شدة
اليأس اخذت اصرخ واصبح على اساس قول شيء ما يتعلق بفصائل اخرى
من الجيش ، لا وهم القرس بأن فصائل كبيرة موجودة هنا ، انها كذبة دون
شك . اليساوا يجهلون اليونانية . ومن جهة اخرى كان اولئك ، بعد
تحملهم تلك الآلام اثناء الهجوم ، قد أصبحوا عصبيين على ما يبذلو ، فلم
يستطيعوا الصمود أمام ذاك الهرج والمرج ، فارتباكون لبرهة ما ، ففي ذلك
البرهة ظهرت خيالتنا في المكان . هذا هو كل ما حدث .

ساد صمت صخري لعدة دقائق في الفرفة . نظر الكيببيادس الى
سقراط مدھوشًا . سهل آنديستينس هذه المرة بصورة طبيعية تماما
واضعا بيديه خلف ظهره . سمعت ضحكة قوية من جهة باب المطبخ حيث
كانت كسانتيبي واقفة .

□ سقراط جريحا □

قال آنديستينس بصوت ينم عن الشر .

— وانت طبعا لا تستطيع المجيء الى آريوبارك ساحبا رجلك والصعود من السالم لاستلام اكليل الفار .

تراجع الكبيادس في جلسته ونظر الى فراش الفيلسوف وقد شد على حدقي عينيه . لم يكن سقراط ينظر اليه ولا الى آنديستينس .

استقام آلكبيادس من جديد في مجلسه واحتضن بيديه ركبتيه . فكان وجهه الضيق ، ربما الطفولي يختلج قليلا ، لكنه لم يكن يفضح أفكاره ولا احساساته .

— لماذا لم تعلن انك خرجت أثناء القتال . سأله

= لأن الشيء الذي دخل في كعبي كان شوكة . اجابه سقراط بجهاء :

— ٢٢٢ ، من اجل ذاك . ابني افهم . قال الكبيادس ونهض واقفا ثم اقترب من فراش سقراط .

— آسف على ابني لم احمل معي اكليل الفار الذي يخصني . تركته عند أحد جنودي ، والا كنت اهدتك اياه . صدقني انت الان واقف ببطولتك اعلى مما أنا عليه . لن يوجد احد غيرك يروي حقيقة ما روتها انت . وخرج بسرعة من الغرفة .

عندما غسلت كسانتيپ رجل سقراط واخرجت منها الشوكة كانت حزينة .

— كان من الممكن ان يحدث تسمم في الدم .

= ذاك اقل مما كان يمكن . اكذ لها الفيلسوف قائلًا .



هُوراس

٢٠٥٨ - ٢٠٦٥
• الياس سعد غالى

سُئلت متى عرفت الشاعر اللاتيني هوراس؟ وما الذي دعاني الى الاهتمام به؟

قبل الاجابة عن هذين السؤالين لا بد من ان نعرف بالشاعر هوراس من يجهله او نسييه . لم يذكر التاريخ شيئاً كثيراً عنه ، انما هوراس ضمن مؤلفاته معلومات كثيرة دقيقة ومفيدة عنه وعن أبيه الذي كان عبداً واعتق . من هذه المعلومات يستطيع المؤرخ والباحث وكل طالب علم ومعرفة أن يستمد كل ما يهمه معرفته عن هذا الشاعر الفذ في تاريخ الادب اللاتيني عن مؤلفاته وحوادث حياته التي كانت في مجلملها على جانب كبير من البساطة والرتابة . سيبين لنا شيء من ذلك من النصوص التي ستنشر ترجمتها فيما بعد ، اذا امكن نشرها (١) .

□ مسودات □

ولد كوانتوس هوراسيوس فلاكوس في بلدة فونوز الصغيرة في جنوب إيطاليا في ٦٥/٨ ق.م. ، وعاش طفولته مع والده بين أبناء الفلاحين في حرية واستقلال . ولما بلغ سن الذهاب إلى المدرسة انتقل به والده إلى روما ليتعلم في مدارسها قواعد اللغة اللاتينية وآدابها وروائع الأدب لاغريقي . ورغم ولده في تشقيفه أفضل تشقيف بعد أن أنهى تعليمه روما فأرسله إلى أثينا ليدرس هناك البلاغة والفلسفة أيضا ، لكن الظروف السياسية أثرت في مجرى حياته . وبعد أن جاء بروتوس ، الذي اشترك في اغتيال القيسير إلى اليونان التقى بهوراس وأعطاه لقب « قاض عسكري » وقلده قيادة فيلق من الجنود وهو في العشرين من عمره ، وقعت معركة « فيليب » عام ٤٢ ق. م. وانهزم جيش بروتوس ، ولم يتمكن هوراس من الرجوع إلى إيطاليا إلا بعد أن عفى عنه . ولما عاد وجد أن أباه قد مات وأن الأرض التي كان يملكتها قد أعطيت إلى أحد جنود « أوكتاف » . فاشترى وظيفة « أمين للخزينة » درت عليه ما يكفيه لعيشته ووفرت له أوقات فراغ كثيرة ، فعكف في اثنائها على مطالعة شعر بعض القدماء من لاتين ويونان وحاول تقليدهم .

وسرعان ما أدرك الشاعر اللاتيني فرجيل وصديقه فاريوس موهبة هوراس الشعرية فاتصالا به ووثقا عرى الصداقة فيما بينهم ، وقدماه إلى رجل عظيم في روما صديقهما ميسين ، الذي قرب هوراس إليه واقطعه ما كان يملك في « سابين » ، فأصبح لهوراس مكان يستطيع أن يعيش فيه حياة مستقلة بفضلها على كل شيء في الدنيا ، حتى أنه رفض أن يكون أمينا لسر العاهل أوغسطوس بحججة اعتلال صحته .

وما بلغ هوراس الثانية والخمسين حتى ذاع صيته وأصبح مثل فرجيل علما كلاسيكيا ، وصار مؤلفاته تأثير جدي في الرأي العام ، ولهذا كلفه العاهل عام ١٧ ق.م. أن يضع النشيد الذي يستفزني به كل مائة

عام تكريماً للإلهة وتأييداً لسياسة العاهل، فنظم ذلك التثبيت في ٢٦ بيتاً.
وكان هو رأس قد نشر الكتاب الأول من «الهجائيات» وأوشك أن ينهي
كتاب «الإيود» وشرع يكتب بهدوء وبطء كتابه الثاني من الهجائيات
الذي انجزه عام ٣٠ ق.م. ونشر عام ٢٣ ق.م. ثلاثة كتب سماها
«الأولاد»، وفي عام ١٩ ق.م. نشر الكتاب الرابع من الأولاد بناء على
الحاج العاهل عليه .

وفي عام ٨ ق.م. توفي ميسين صديق هوراس فاعتلت صحته
وعاجلته المنيّة فتوفي بعد ميسين ببضعة أشهر ، في ٨/١١/٢٧ ق.م.
وهو في السابعة والخمسين من عمره ودفن في قبر قريب من قبر صديقه
الفالي عليه . وفي أثناء مرض ميسين كتب هوراس إليه هذه القصيدة :

« لماذا تنتزع روحي مني بانينك ؟

لا أنا أريد ، ولا الإلهة تزيد أن تموت قبلي .

ميسين ، أنت عضدي وقوتي ومجدي ،

آه ! اذا موت مبكر انتزع مني نصفي ، فلماذا يبقى على الأرض

النصف الآخر الذي فقد قيمته ، ولا يعيش كاملاً ؟

قسماً أنتا سنموم نحن الاثنان في يوم واحد .

أنا لا أكذب بيميني .

أينا كان اليوم الذي تسبقني فيه ،

أكون أنا مستعداً لمرافقتك في الرحلة الأخيرة .

ما من شيء يستطيع أن يفصلني عنك »

(الأولاد ، الكتاب الثاني - ١٧)

ذلك هو هوراس ابن الرقيق العتيق الذي بتوجيه أبيه الحكيم
ويجده الشخصي أصبح الشاعر اللاتيني الكبير ، وصادقه الرجل النبيل
ميسين وتوّده العاهل العظيم أوغسطوس ورافقه الشاعر الأكبر فرجيل.

هوراس

لما متى عرفت هوراس ففي أوائل الأربعينات ، بعد ان سمعت ان مهرجاناً سيقام في دمشق عام ١٩٤٤ لتكريم ابي العلاء المعربي في ذكرى مرور الف سنة هجرية على ميلاده (١٣٦٣ هـ) فاضطررت وقتئذ الى مطالعة الكوميديا الالهية لدانتي وقرأت في النشيد الرابع من جحيم دانتي الحوار الذي جرى بينه وبين دليله فرجيل في مكان سمي «اللمبو» (ص ١١٥ و ١١١) من ترجمة الد . حسن عثمان ، مع ان حسن عثمان ما كان قام بترجمته بعد ، آثرت اليوم ان انقل عنه هذا الحوار الذي هو ادعى الى الثقة من اي نص آخر وان كان فيه ما يشوبه(٢) .

لما دخل دانتي برفقة فرجيل اليينوس — المكان الذي ليس فيه للنفوس نعيم ولا عذاب سوى حرمها رؤبة الله الى الابد — وقبل ان يلتج الجحيم تبين قوماً أمجاداً شغلوا ذلك الموضع فقال لدليله :

دانتي : انت يامن تمجد كل علم وفن ، من هؤلاء اصحاب مثل هذا المجد الذي يميزهم عن حال الآخرين ؟

فرجيل : ان ذكر اهم المجيدة التي يتعدد صداها في حياتك اعلى تكسيبهم في (من) السماء الفضل الذي يميزهم هكذا .

دانتي : سمعت وقتئذ صوتاً يقول : مجندوا الشاعر الاعظم (اي فرجيل) ان شبحه يعود وكان قد ارتحل .

وبعد ان توقف الصوت وسكت ، رأيت اشباح عظاماء أربعة قادمين ، نحونا ، ولم يكن لهم مظهر الحزن ولا السعادة .

بدأ أستاذي الطيب يقول : انظر الى من حمل بيده ذلك الشيف ، ويأتي امام ثلاثة كأنه السيد .

ذاك هو ميروس امير الشعر، والآخر الذي يأتي بعده هو هوراتيوس (هوراس) الساخر ، والثالث او فيديوس والأخير لوكانوس .

ولأن كلا منهم يشترك معي في الاسم (يقصد لقب الشاعر الاعظم) الذي نطق به الصوت الوحيد فهم يشرفونني وبذل يحسنون صنعا .

هكذا رأيت المدرسة الجميلة مجتمعة ، مدرسة ذلك السيد صاحب القصيدة العظيمى (الالياذة) الذي يخلق فوق الآخرين كالنسر .

وبعد أن تحدثوا معا قليلا ، التفتوا اليّ بaimانة تحية ، فابتسم استاذي لذلك .

واضفوا عليّ فوق ذلك مجدًا اعظم لأنهم جعلوني واحدا من زمرتهم ، هكذا فأصبحت السادس بين هؤلاء الحكماء .

لقد نوّهت في اول مقال لي بهؤلاء الشعراء دون اي اهتمام خاص بهوراس لأن ليس له كتاب او مقال ذو صلة بالموضوع الذي كنت أعالجه: « دانتي بين الموري وفرجيل »^(٢) . تلك المرة كانت الاولى التي تعرّفت فيها بهوراس .

* * *

المرة الثانية التي تعرّفت فيها بهوراس كانت لما اعددت مقدمة « حديقة الخمر في لزوميات أبي العلاء ». لقد تريثت عند الشاعر المخضرم ، شاعر الخمرة في الطائف ، أبي محجن الثقفي الذي جاء على ذكره مؤرخو الأدب العربي من جهة وأبو العلاء لم يذكره من جهة ثانية في رسالة الفهران في عداد شعراء الخمرة ، ولم يذكره صراحة في اللزوميات أيضا على ما يبدو ، غير انه ذكر في رسالة الفهران (ص ١٤٣) مدينة أبي محجن باسم « وج »^(٤) ، وذكر اسمها « الطائف » في اللزوميات حيث قال :

فبالطائف الراح الكميـت سلافـة اذا ما تمـشت في حشا وادعـ أجـا

□ مسودات □

ولعل المعربي كان يشير بهذا الى قوم ابى محجن في الطائف :
رمها امير المؤمنين بحتفها فخلانها ي يكون حول المعاصر

وكان ابى محجن يشير ربما الى امر عمر بن الخطاب بحرق حانات الطائف ومعاصرها وقد كانت كثيرة فيها قبل الاسلام . والشيء الهام اللافت النظر في موضوعنا ان الدكتور جميل سعيد استشهد في كتابه : تطور الخمريات في الشعر العربي بقول الاب لامانس اليسوعي ان ابا محجن (الذي توفي عام ٦٥٠ م) هو « هوراس الجزيرة العربية » (٥) ، مما حفزني الى الاطلاع على كلا الشاعرين لبيان وجه الشبه المحتمل بينهما الذي حمل « لامانس » على ابداء هذا الرأى الطريف . فبحثت عبئا عن ديوان ابى محجن في مكتبات دمشق ولا سيما المكتبات العامة في الشارقة ودبى في الامارات العربية المتحدة حيث وجدت كثيرا من الكتب التي نفتقر اليها (٦) ، فاضطررت الى الاكتفاء بما ورد عنه في كتب الادب المتداولة ، واستشهدت في « الحديقة » بسبعة أبيات له منها :

اذا مت فادفني الى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها
اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها ولا تدفنتني بالفلة فاتنتي
والجدير بالذكر أنه تاب عنها .

اما فيما يتعلق بهوراس فقد حصلت بسهولة على مجموعة مؤلفاته الكاملة بالفرنسية (٧) فكانت زادي في زيارتي الطويلتين الاخيرتين لابنتي سعاد في الشارقة ، وطالعت هناك تلك المجموعة منهم شديد واقتطفت منها « لحديقتي » كل ماله صلة بالخمر ولا سيما دعوة هوراس الى اغراق هموم الحياة، وهي قصيرة ، في كوس خمر . وهذه بعض اقوال هوراس في الخمر :

□ مسودات □

- ان الذين لا يشربون يجدون كل ما يقضى الله به لهم أمرا عسرا ،
وليس ثمة من وسيلة تطرد بها همومك القائلة سوى هذه الخمر !
- خفف بؤسك بالخمر والفناء فهما تعزيتان حلوتان عندما يتجمئ
الوجه حزنا .
- أريد خمرة حلوة تبدد همومي ، تجري في عروقي وفي قلبي ،
تملا ، بجميع كنوز الأمل .
- المسكر يحقق الاماني ويريح النفس من عباء الهموم عندما
تكون الكأس متربعة .
- من لا يشعر بتحرره من رقبة الفقر ؟! .. ان الخمر تعيد الامل
إلى القلوب القلقة وتعطي الفقير القوة والثروة .
- و لا تصح المقارنة بين هوراس ، الذي ما تاب عن الخمرة قط ،
وابي محجن اذ ليس في متناول يدنا ديوانه ! ..

و زادت معرفتي بهوراس في هذه المرة الثالثة اذ أعدت مطالعه
مؤلفاته وانعمت النظر والتأمل في بعض الملاحظات التي كنت كتبتها على
هوامش صفحات الكتاب ، وفي بعض النصوص التي خططت تحتها خطأ
احمر فتبين لي ان في شعر هوراس افكارا عديدة متقاربة في المعنى مما
عند شعراء سبقوه سواء اكان مقلدا لهم أم غير مقلد ، وعند شعراء
جاءوا بعده سواء اكانوا مقلدين اياه أم متفقين معه في توارد الخواطر
موقع الحافر على الحافر ، وكلهم من استحقوا أن يخلدوا في كتب
تاريخ . لذلك رغبت في عرض تلك الافكار – التي لم نجد لتقاربه مثيلا
عند ذاتي وابي العلاء المعربي – ليزداد بعض قراء العربية معرفة
بهوراس ، هذا الشاعر الكبير في الادب اللاتيني ، عسى ان يجد فيها

□ هوراس □

شاعر او اديب او كاتب او قارئ بسيط بعض متعة او تفكهه فكرية او سد فراغ خائع من جهة ، ومن جهة ثانية تقديرها شخصيا لعاطفة هوراس نحو ابيه ، الذي كان عبدا واعتق ، فكان هوراس ، او كاد ان يكون ، منقطع النظر بهذا الخصوص ، ثم ارضاء لفضول سائل لماذا اهتممت بهوراس ؟

أخبرنا جوفينال (٨) في احدى هجائياته ان عمل هوراس ارتبط بعد مضي خمسين عاما على وفاته بعمل صديقه الحميم فرجيل وصار مثله كلاسيكيا مدرسيا ، وان صور هذين الشاعرين التي سودها الدخان او نصلت الوانها بسبب النور القوي كانت تزيين قاعات صفوف الطلاب الرومانيين والهجاء بيرس (٩) ، في منتصف القرن الاول الميلادي امتدح ظرف هوراس وابتسامته وتفنی مارسيال (١٠) بقيثارة الكالابري (اي هوراس) ، واستوحى منه سينيكا (١١) في مسرحياته ، وكتب تيرانسيوس النحوى (من القرن الثاني الميلادي) تعليقات على مؤلفات هوراس في عشرة كتب ، واستشهد به القديس ايرونيموس (١٢) .

وفي القرن الثامن اعزز الكوان (١٣) بالتعرف بهوراس فلاكوس واستحق ان يلقب بلقبه في بلاط شارلمان . وفي القرن التاسع اكتشف في «فلوري سور لوار» أقدم مخطوط معروف هو هوراس ، وأخذت مخطوطات مؤلفاته تتکاثر ابتداء من القرن الحادى عشر ، وفي القرنين الثاني عشر والثالث عشر قلد اکثر الذين ألقوا « فنا شعريا » رسالة هوراس الى « بيزون » . وفي العصور الوسطى جرت العادة بالتفني ببعض قصائده في بعض الاعياد .

وفي القرن الثامن عشر تكلم لاهارب (١٤) بسرور عن هوراس في كتابه « الليسيه » فقال : فاق هوراس بيندار (١٥) في حماسته وسموه و « أناكريون » (١٦) في تأفقه .. لبيندار نفمة واحدة ولهوراس كل النغمات .

انه جليل في الاولى وفاتن بالقرب من خليلة ... فإذا اغرتنا انتباها الى ما في افكاره من حكمة وما في انشائه من دقة وما في اشعاره من انسجام وما في مواضيعه من تنوع ، واذا ما تذكروا ان هذا الشاعر نظم هجائيات مليئة بالدهاء والعقل والمرح ، ورسائل تتضمن افضل العادات في المجتمع المدني بآيات ترسخ بسهولة في الذاكرة ، و « فن الشعر » ايضا ، الذي هو قانون أبدي للذوق السليم ، نتفق على ان عقل هوراس من افضل العقول التي سرت الطبيعة بخلقها » .

ومن المعروف ان الرومانطيكيين الابداعيين مثل لامارتين وهوغو ومدسيه تأثروا بهوراس بعد فولتير وشينيه ، وقلده غيرهم من الشعراء ، حتى الممثلة الكبيرة راشيل مثلت على المسرح الفرنسي بتاريخ ٢٤ حزيران ١٨٨٠ مسرحية كوميدية من فصل واحد للشاعر بونسوار عنوانها « هوراس وليديا » .

وشهد فريدريك نيتشه^(١٧) ، الذي كان يعشق اللغة اللاتينية ، اعجب هذا الاعجاب الذي اشعر به دائما عندما اقرأ احدى قصائد « الاود » . هناك لغات لا يستطيع احد ان يقول ان ينجح فيها مثل هذا النجاح . تلك الفسيفساء من الكلمات التي بلطفها وجرسها ومكانها وبالصور التي ترسمها تنشر يمنة ويسرة وعلى مجلتها مميزاته الخاصة وهذا الحد الادنى من حجم الاشارات وعددها ، والحد الاقصى من الاشارة التي قوتها ، كل ذلك روماني لا مثيل له ، وبالمقارنة تبدو كل قصيدة اخرى سوقية وثرثرة بسيطة » .

وكتب الاديب الناقد جول لوميتر^(١٨) : « لسوء حظ هوراس ان بعض النقاد الهزلين وقدامى الاكاديميين الريفيين تلقواه بسبب بضع قصائد خمرية نظمها وبعض كتابات بورجوزية دبجها فاعتبروه لذلك مرة

□ مسودات □

عضوا في جمعية أولئك النقاد وأخرى سيدا عتيقا مثل المأسوف عليه كاميل دوسيه ، وهذا غير معقول ، فما عرف استاذ قط اختلف عن تلاميذه أكثر من اختلاف هوراس عن تلميذ فرضوا عليه . قد يكون هوراس في شعره الفنائي ألقى شعراً لللاتين فنا .. وهو في تاريخ الأدب أجزأ الأدباء الثوريين .. وأكثر من شعراً «البلياد» حرية فكر . وكان ، سواء على خطأ أو صواب ، ما نسميه اليوم : «مجدد كلب» .

فهوراس نفسه نعم ذاته بأنه «خنوص أبيقور» ، والابيقرية فلسفة هوراس وهي في نهاية الامر فلسفة رواقي لا يقر بها . ذلك لأن الابيقرية والرواقي وجميع المذاهب الفلسفية بصورة عامة ، عند النفوس التي هي في وضع جيد ، تؤدي دائمًا إلى ذات النتائج العملية . إننا نجد عند هوراس أقوى المبادئ للحياة الداخلية ، وحياة العزلة والانقطاع للخير الأخلاقي وحده الذي اهتم به لجماله الذاتي فقط — كما احب الموري الخير لحسنه ولو جه الله خالصاً منها عن كل جزأية وهو الذخر في نظره :

اذا ما فعلت الخير فاجعله خالصا

لربك واذ جر عن مدحك أنسنا (١٩) ..

فهوراس كان جندياً في جيش بروتس ، وقبل الامارة من اغسطسوس بعقله بالنظر إلى المصلحة العامة . ولكن يبدو أن هذا لم يرق للعاهر ولا ليسين الذي حاول عبثاً حمل هوراس على الاشتغال بالسياسة ، غير أن هذا الشاعر العزيز النفس عرف أكثر من فرجيل كيف يدافع ضدهما عن حريته بتحفظ . لقد كان هوراس رجلاً ممتازاً وابناً مثالياً وصديقاً مخلصاً جداً ونفساً حازمة » .

لقد أصاب بيته وجول لوميتير في تقديرهما هوراس وفنه الرفيع إذ امتاز في شعره ببراعته ومهارته الكبيرة في انتقاء الالفاظ لمعنىها الحقيقي

وجريدةها وایقاعها ولو أنها مما أهلة ليكون من شعراء الطبقة الاولى الذين نالوا اعجاب العلماء ، وجعلته زهور الحكمة الإيجورية المنشورة في كتاباته أحد المؤلفين الذين استشهد بهم شعراء وادباء فرنسيون كثيرون ولا سيما من كانوا يعرفون لغة سيسرون وفرجيل في المصور الكلاسيكية حتى القرن التاسع عشر وفي هذا العصر ايضا .

* * *

لقد ألمت كتابات هوراس بيتارك في إيطاليا ، ولويس دوليون في إسبانيا ، وفي فرنسا رونسار ودوبيلي وشعراء البلياد ومونتين ولا سيما تيوفل والشاعر الهزليين ، وفي القرن السابع عشر اعتبر لا فونتين هوراس من أساندته ، واتخذه الناقد الفرنسي الشهير نيكولا بوالو ديللا ومرشدا له وانموذجا فاختذ حذوه حتى لم تخل رسائله وهجائياته من تأثير هوراس وما فن بوالو الشعري سوى نقل واقتباس من رسالة هوراس إلى « بيزون » التي اشتهرت باسم « الفن الشعري » . وهذه بعض أمثلة من اقتباسات بوالو من مؤلفات هوراس :

عندما كتب بوالو خطابا إلى الملك فقال :

أبى الورق أسرار قلبي (البيت ٧٢)

كان يتذكر ما جاء في قصيدة هوراس الهجائية الثانية (٣١-٣٠ / ١) ص ١٧٦ التي تكلم فيها عن لوسيليوس فقال : « كان قد يدعا كتبه أسراره كما لو كان يوح بها إلى رفاق أمناء » .

وشبه بوالو المجانين ، في هجائيته الرابعة، تماما كما شبههم هوراس في هجائيته الثانية (٨ / ٣ ص ١٨٣) بمسافرين تائهين ضلوا الطريق الصحيح . وهجائية بوالو السابعة منقوله كلها تقريبا من هجائيته هوراس الثانية ص ١٧٥ . واقتبس بوالو المقارنة بين الإنسان والنملة في هجائيته

□ مسودات □

الثامنة من هجائية هوراس الاولى (٣٣/١ ص ١٤٨) . وفي بيته المشهور:
الحزن يرافقه ويركض خلفه . تقليل موفق لبيت من اود هوراس : خلف
الفارس يركب الهم القائم .

ونصح هوراس الشعراء والكتاب قائلاً : قلب انشاءك غالباً كي
تمحو اذا اردت ان تكتب شيئاً يستحق ان يقرأ ثانية ، ولا تبحث عن
اعجاب الجمهوه بل اكتف ببعض القراء (٢٠) وقال ايضاً : اذا نظمت قصيدة
فائلها على مسمع خبير ، على مسمع ابيك ومسمعي ، ثم احفظها في
صندوقه – كما كان زهير بن ابي سلمي يحتفظ بحولياته – مدة تسعة
سنوات ، فيمكنك ان تتلفها طالما انها لم تر النور ، لأن الكلمة اذا انطلقت
مرة فانها لن تعود . ثم قال : ارجع الى اشعارك عشرين مرة ان كنت لم
تقض اياماً طويلة في الشطب والحدف وصقل ما كتبت (٢١) .

وقال بوالو في « الفن الشعري » :

اسرع على مهل دون ان تفقد السجاعة
وأعد عشرين مرة عملك
اصقله بلا انقطاع ، وكرد صقله ،
اصرف اليه احياناً ، واشطب غالباً .

حتى كان الاختلط الصغير في نظم شعره كان يعمل بنصيحة هوراس
وبوالو بما حسب شهادة الشاعر سعيد عقل الذي قال في مقدمة ديوان
الاختلط : « ان الاختلط يأبى على القصيدة ان تنفض منها اليد ... بل اتحققها
فتشهد قلمه الانيق يخلع على اللفظة حباً جديداً فيخلقها خلقاً جديداً ،
ما همه الناس تزلهم في الشعر كما الذهب في غرار السيف ، وإنما همه
هذا التنزيل ، ويحور ابداً ، وابداً يدس السحر فكانه لا لبأة له سوى
رضى واحدة : النزوع الى الكمال (٢٢) .

وفي الايود الثانية (ص ١٣٠) قابل هوراس بين صحب الاهتمامات في المدينة ومفاتن الريف فقال : سعيد من كان بعيدا عن المشاغل .. ي العمل مثل الاجيال السابقة مع ثيرانه في حقول ابيه دون اهتمام بالربا .. فلا يستيقظ مثل جندي عند سماع صوت النغير ولا يخشى هيجان البحر ، ويهرب من الفوروم ومنازل العظماء . وعندما تكون الكرمات قوية ونشطة يزاوجها وشجرات الحور السامة ، وينظر الى الابقار وهي تخور وترعى في اعمق الوادي .

وعبر بوالو عن بعض هذه الفكرة بقوله :

**سعيد الانسان الغاني الذي يجهله الناس
ليعيش راضيا عن نفسه في مكان منعزل**

ومن فن الشعر لهوراس اقتبس بوالو كل المقطع المتعلق بالمرابي . وقال مترجم مؤلفاته في المقدمة ان مائتي صفحة لا تكفيان لتعداد ما اقتبسه بوالو من هوراس . وما وسعنا في هذا المقام سوى ان قدمنا ، فيما سبق ، بعض النماذج التي نوهنا بها آنفا . وتتجدر الاشارة هنا الى بعض اقوال المعرى بهذا الخصوص ، قال ابو العلاء :

**وارى التوحد في حياته نعمة
اذ احضرت عندي الجماعة او حشت
فما وحدتي الا صحيحة ايناسي
تفييت في منزلي برهة
ستير العيوب فقيد الحسد
فالبئث وحيدا ...**

**وفي وحدة الانسان اضعاف لذة
في الوحدة الراحة العظمى ...**

* * *

□ هوراس □

قال هوراس : قلما نجد رجلا سَعْدَ بِوْجُودِه وعاش سعيداً، وعندما حانت منيته فارق الحياة مثل ضيف بعد ان يكون تفدى جيداً (ص ١٥) .

وروى لافونتين في الحكاية الاولى من كتابه الثامن : الموت والمحضر : اود في هذه السن لو نفارق الحياة مثلما نفادر وليمة ونحن نشكر المضييف . (لا فونتين : سلسلة مارابو ص ٣٣٧ – وهو راس ص ٣٣٣ والحاشية ٥٣٥) .

ومن اقوال هوراس : ما فائدة الشروة اذا لم يسمع بالتمتع بها ؟ فالتوقيف والحرمان المفرط من اجل الورثة يجعل صاحبه من طبقة الحمقى (المجازية الخامسة ص ٢١٨) .

وللمعربي ابيات قريبة من هذا المعنى :

اغناهم الله من مال واقررهم من الرشاد فما استغنو ابد افتقروا
ان سوء العرض من اقبع الفقر
اذا زادك المال افتقارا وحاجة الى جامعيه فالثراء هو الفقر
(اللزوميات)

والو جرت النباهة في طريق الخمول الي لاخترت الخمولا
(السقوط)

الحمد لله قد اصبحت في دعة ارضي القليل ولا اهتم بالقوت
(ل)

● ● ●

دانتي وهو راس

لقد نوهت آنفا بما له راس من مكانة في نظر دانتي الذي وضعه في المرتبة الاولى بعد هوميروس لما وصل إلى « اليوبوس » قبيل الجحيم، وقد وجدت في اثناء مطالعتي تقاربا فيما بين بعض افكار هوراس وافكار دانتي ما وجدت مثله فيما بين دانتي وابي العلاء المعربي ، فرغبت في الاشارة الى تلك الافكار والمعانى المتقابلة فيما يلي :

خاطب هوراس ربة التراجيديا قائلا :

« لك وحدك انا مدین باشاره المارة إلی باني الشاعر الذي يبعث رزق
القيثارة اللاتينية . فوحبي ومجدي ، ان كان لي مجد ، هو ملك ». .
(هوراس : الكتاب الرابع من الاود ص ١١١)

وخطب دانتي دليله فرجيل قائلا :

« انت استاذی ، انت قدوتي ، لك وحدك انا مدین بهذا الاسلوب
النبيـل الذي استطاع ان يشرف اسمـي . . انت ارشـدتني الى ينابـيع الشـعـر
الـتـي نـهـلتـ مـنـهـا . انتـ الـذـي اـنـرـتـ لـيـ الطـرـيقـ فـبـكـ صـرـتـ اـنـ شـاعـراـ ». .

وقال هوراس : انا اول من مشى بحرية على ارض ما وظفها احد .
فحـيـثـ وـضـعـتـ اـنـاـ قـدـمـيـ مـاـ وـضـعـ قـدـمـهـ اـحـدـ قـبـلـيـ .

(هوراس ص ٤٠)

وقال دانتي : ان ما ينبغي علي ان أصوره الان لم يعبر عنه صوت
قط ، ولم يسطره مداد ، ولم يتمثله خيال .

(دانتي : المطهر ٢٢/١٥ والحاشية ٦ و ٧)

□ هوراس □

وقال هوراس : أيها الذين تكتبون خدوا مادة تناسب وقواكم وقدروا طويلا ما تقوى عواطفكم على حمله وما لا تقوى عليه . فإذا اخترتم موضوعا يناسبكم فلن تنقصكم الفزارة ولا الوضوح الذي يتاتي عن الترتيب .

(هوراس : رسالة الى بيزون «فن الشعر» ص ٢٦٠)

وقال دانتي : يا من تسرون بزور قم خلف سفينتي التي تنهادي بي وهي شادية ، وانت تائفون الى سماع انشادي ، الا استدير وا لكني تعاودوا النظر الى شواطئكم ولا تخرجوا الى عرض البحر ، اذ ربما تضلون الطريق بفقدكم آثاري .

— لم يعبر احد قط المياه التي أرتأدتها اذ تنفتح منير فا شراعي ويقودني ابو لو ، وترشدني ربات الشعر التسع بالدببة .

— ايها القلائل الآخرون يا من بادرتم الى رفع رؤوسكم الى خبر الملائكة الذي يتغذى به هنا من دون ان يشبع منه ابدا .

— انه من الميسور لكم ان تدقعوا سفينتكم فوق البحر العميق مقتفين مخر سفينتي قبل ان تمحو المياه آثاره .

(دانتي : الفردوس ١/٢ - ١٠)

وقال دانتي ايضا : من يفكر في موضوعي وعيشه وفي الكتف الفانية التي عليها ان تحمله فإنه لا يلومها اذا ما ترنحت تحته .

(دانتي : الفردوس ٦٤/٢٣ - ٦٦ ص ٢١١)

وقال هوراس : امفيون مؤسس طيبة ، علمه من كوران يجعل الحجارة تتحرك بتأثير أناشيده . وانت ايتها القيثارة ذات الاوتار السبعة تستطيعين ان تجري النمور والاشجار ، وتحففي جريان السوق ، وتفتنني كر فيروس (٢٣)

□ هوراس □

بواب القصر المظلم (جحيم الاقسمين) وتجعليه يتراجع امامك ، هو الذي
تحرس راسه مائة افعى كرؤوس ربات الذعر ، وتنبعث من افواهه الثلاثة
رائحة كريهة وينقطع السم .

(هوراس : رسالة الى بيزون (فن الشعر) ص ٦٩ و ٦٤)

ويتكلم هوراس عن اورفي ايضا فيخاطب كليو ، ربة التاريخ ، التي
تشيد بالامجاد قائلاً :

كليو بأي انسان او اي بطل تريدين ان تشيدني على رنة القيشارة
او نفمة الناي الحادة ؟ اي اسم سيردده الصدى المتموج في مناطق الهيليليون
الظليلة او في جبال الباند او الهيموس المجلدة حيث كانت الاشجار تسعى
خلف الموسيقار « اورفي » الذي جعله فن امه قادرًا على ايقاف جريان
مياه السوق السريعة وهبوب الرياح العاصفة ، وكانت قيشارته الرنانة
تحرك اشجار السنديان ذوات الاذان لتسمعه .

ماذا أقول اولا الا تقديم التمجيل المكرس لجوبتير الذي ينظم حياة
الناس والالله ، ويضبط ، حسب مجرى الفصول ، البحر والبر والكون ؟
لا شيء يولد منه ويكون اعظم منه، ما من حي يعدله او يأتي مباشرة بعده ..

(هوراس : الاود ، الكتاب الاول ٥٥/١٢ و ٥٦)

لقد ألف هوراس هذه المقدمة تقليدا لما كتبه بيندار ، لتمجيد
الالله وانصاف الالله الابطال وعظماء الرجال في روما وانتهت بالاشارة
الي اغسطوس .

وقال دانتي : فلتساعد شعرى عرائس الشعر اللواتي ساعدن امفيون
على اغلاق طيبة حتى لا يختلف القول والواقع

(دانتي : الجحيم ٣٩٦ - ١٢ ص ١٠/٣٢ - حسن عثمان)

□ مسودات □

وقال هوراس : كنت تقسمني لي وانت تردددين كلماتي وتضميني
اليك بذراعيك اللذتين ضما دونه التصاق اللبلاب بشجرة بلوط سامقة .
(هوراس : ايود ٥/١٥ ص ١٣٩)

وقال دانتي : ما تعانق لبلاب وشجرة قط كما لف الوحش الرهيب
باعضائه اعضاء الوحش الآخر فالتصقا كما لو كانا من شمع ساخن .
(دانتي : الجحيم ٢٥/٥٨)

وقال هوراس : الغابات تبدل اوراقها فتتساقط الاولى حسب
تعاقب فصول السنة .
سکذا تموت اجيال الكلمات القديمة ..
(هوراس : وسالة الى بيرون ص ٢٦٠)

قال دانتي : عادات البشر الفانين تروح ويأتي غيرها بعدها مثل
اوراق الشجر .
(دانتي : الفردوس ٢٦/٢٤ - ١٢٤)

وقال هوراس : في الارض المهملة ينبت الشوك الذي يجب ان يحرق
فيما بعد .
(هوراس : الهجائيات ص ١٥٥)

وقال دانتي : هذا كان ممكنا لما كان في سن الشباب اذ ان كل
استعداد حسن كان اثمر فيه ثمارا مدهشة فالارض تغدو اقل فائدة واكثر
وحشية كلما زادت طيبة اذا لم تزرع او اذا فسد البذر .
(دانتي : المطهر ٣١/١١٧ - ١٢٠)
(دانتي : المربى العبرى ، ترجمة الياس غالى ص ٢٠)

* * *

اعلن شعراء عديدون في أزمنة مختلفة ثقتهم بخلود عملهم . وقد يكون هوراس قد في ذلك من سبقوه أو أنه لم يقلدهم . ففي أثناء مطالعتي لمؤلفاته قرأت في هامش في الصفحة ١٠١ ملاحظة كنت كتبتها بقلم رصاص وهي تشير إلى قول أبي العلاء :

وجنت الناس ميتاً مثل حيٍ
مضى الشخص ثم الذكر فانقرضاً مما
واما مات كل الموت من عاش منه اسم

وهذا البيتان بلبيان واضح المعنى جدا ، إنما يبقى السؤال قائما : كيف يكون الميت مثل الحي وكيف يمكن أن يعيش الاسم بعد موت صاحبه ؟ لم يقل لنا المعربي صراحة شيئاً بهذا الخصوص قبل هذين البيتين ولا بعدهما غير أنه قال في مواضع أخرى :

امير قوم اصابته منيته فضل من قال إن المرء لم يتمت
ما بال اشباه قوم في الترى جعلت
لم تبق الا حديثا في القراطيس

اعجب بدهرك اولاً وآخره	ان الزمان قديم سنته حدث
اودى رداء بأجيال فكم حرفت	اجداث قوم ولم ينحفر له جدث
مقسى اناس واصبحنا على ثقة	انا سنتبع فالاشجان تعتلج
له لطف خفسي في بريته	اعيا دواء المنيا كل نطيس

فلتر كيف يكون المرء في هذه الدنيا عند بعض الشعراء الذين سبقوه هوراس أو جاؤوا بعده وعندئد أيضاً :

« من أجل الجنود الذين قتلوا في « التيرموبيل » (٢٤) لادموع ولا انين أبداً ، بل قصائد واثائيد فهي اثر لن يستطيع تدميره الصدا ولا يأتي عليه الزمن العاتي ».

سيمونيد (٢٥) هوراس : مجموعة مؤلفاته ج ٣١٢ والحاشية ٣٦٢

□ مسودات □

كنز الاناشيد لن يستطيع التغلب عليه جيش الفيوم ذوات القصف العميق ، ولا امطار الشتاء التي تنهر بعنف بلا رحمة ، ولا الرياح مع كل ما يمكن ان تجرف من حطام ، ولن يفرقوه في لحج البحر » .
(بيندار - هوراس ص ٣١٢)

ولا يبعد ابدا ان يكون هوراس قد تذكر سيمونيد وبيندار عند ما كتب بعض أبياته ولا سيما مطلع قصيده الثانية من كتاب الأود الاول (ص ٥٥ ويرجع الى الحواشى ص ٢٧٩) .

وهذا رأي هوراس في موضوع خلود الانسان في هذه الدنيا :
ذابت الثلوج ونبت العشب في الحقول واكتسست أغصان الشجر بالورق ، ففي كل سنة تتحول الارض . فالانهار يهبط مستواها فتجري بين حافاتها(٢٦) ... فلا تعتمد على عدم الموت والخلود ، يحدرك كروزالسينين ومر الايام التي تمضي بها الساعات وتجددها ...

ارانا على الساعات فرسان غارة
وهنّ بنا يجرين جرى السلاهب
(أبو العلاء)

فالربيع يطرده الصيف الذي يموت بدوره عندما ينشر الخريف عطاياه وثماره ، ثم يعود الشتاء الفصل الذي لا ينبت فيه شيء .

وقال هوراس ايضا : الكتابات المنقوشة في الرخام العام هي التي تبعث القادة الكبار بعد موتهم فيحيون - الهمة الشعر تحول دون موت البطل الذي يستحق المجد وتعطيه السعادة في السماء(٢٧) .

(هوراس : الأود ، الكتاب الرابع القصيدة ٨ ص ١١٦)

□ هوراس □

ومن جميل قول هوراس (ص ٨٣) : لاول مرة يرى جناح قوي
يحمل الشاعر في الجو ، انه في آن واحد انسان وتمَّ
لن أبقى طويلاً في الدنيا ، سأهجر المدن بعد أن انتصرت على الطمع ، لا ،
لن أموت أنا ، مع ان اصلي متواضع ، لا ، لن اكون حبيس مياه الستيكس (٢٨)
منذ الان جلد خشن يمتد فوق فخذىٌ والقسم الأعلى من جسدي يأخذ
شكل طير أبيض ، وريش ناعم يثبت بين أصابعى وعلى كتفى . منذ الان
اصبح طائراً غرداً واسرع من إيكار بن ديدال (٤) . سأذهب لاري شواطئ
البوسفور ذات المياه الصالحة ، وسهول أقصى الجنوب وأقصى الشمال .
سوف أعرف في مناطق القفقاس ... (ومناطق أخرى) في أقصى
العالم . والذين يعيشون على ضفاف نهر الرون ، الأكثر حضارة ،
سوف يتعلمون أشعاري . في ماتمي يكون جسدي غائباً ، فلا أناشد
جنائزية ولا دموع تشهو ولا آنين . هدىٌ الصراخ واعفني من تشريفات
القبر الباطلة .

وقال هوراس قوله صريحاً : لقد انجزت اثراً أبقى من الفولاذ وأعلى
من الأهرام الملكية ، لن ينخر المطر عملي ولا الريح الشمالية العاصفة ،
ولا يستطيع مر الزمن ولا تعاقب السنين تدميره . أنا لن أموت كلها ،
فقسم كبير مني يتغادى من الفناء . سأعظم وسيتجدد شبابي دائمًا بثناء
الأجيال القادمة عليٍّ ، مدام الكاهن الأعظم يصعد إلى الكابيتول (٢٩) ترافقه
العذراء الصامتة . قد يقال أني ولدت في بلد تعصف فيه الرياح ، وشحيخ
المياه ... لقد سموت فوق مستوى المتواضع وكنت أول من وفق بين
الأناشيد الإيونية والإيقاعات الإيطالية .

تجببى بالفار يا مالبومين (٣٠) بفضل استحقاقاتي وأسمحي بتتويع
هامتي باكليل الفار (٣١) .

□ هوراس □

وقد أوفيد في خاتمة المسوخ معاصره وصديقه هوراس فقال :
انجزت اليوم عملا لا يمكن ان ينال منه غضب جوبتيه ولا النار ولا
الحديد ولا اسنان الزمن . فالاليوم المشؤوم المحظوظ الذي لا يكون له فيه
من سلطان الا على جسدي ، يضع عندما يشاء حدا لمجرى حياتي ،
المجهولة مدتتها ، ومع ذلك سأبقى غير مائت بأفضل جزء مني وسأسمو
الى الابد فوق الكواكب في السماء ويبقى اسمي خالدا لايفنى . وسيكون
لي قراء عديدون في جميع اصقاع الارض التي امتدت اليها يد القدرة
الرومانية فاخضعتها ، واذا كان لحدس الشعراe حقيقة فاني سأحي
بصيتي مدى جميع الاجيال (٢٢) .

وقال رونسار من انقرن السادس عشر :

عام مؤاات ارشد خطواتي

فأنجزت عملي الأصلب من الحديد .

لاماء ينخره

ولا كلتب الإخوة ينال منه فيجره الى أسفل

عندما تحين منيتي وانام نوما عميقا ،

في تلك الساعة لا يمضي رونسار كله الى القبر ،

وسيبقى أفضل جزء منه .

لن اموت ، لن اموت أبدا

وساطير حيا في الكون .

(رونسار : الاود ٤/١٥٥٠)

(هوراس : مجموعة مؤلفاته ص ٣١٣)

□ هوراس □

اما ماليرب من القرن السابع عشر فقد قال :
ابو لون ! ياذن الأبواب المشرعة !
اعساف انخل الجميلة الدائمة الاخضراء
التي تحفظ اسماء المسنين ،
دعها تقطع دون اي اهتمام .
صناعة الاكاليل منها
فن لا يعرفه كل الناس .
ثلاثة او اربعة فقط ،
اعد آنا منهم
يستطيعون ان يمدحوا
مدحًا يظل خالدا .

(ماليرب : اود الى ماري دوميديسسيس / ٦٦٠)

(هوراس : مجموعة مؤلفاته ص ٣١٣)

وقال تيو فيل غوتبيه عن الفن مبتدئا يقول الفيلسوف هيرو أكليط (هيرو أقليط) :

كل شيء يزول (٣)
والتمثال يبقى بعد المدينة .

(تيو فيل غوتبيه : الفن)

(هوراس مجموعة مؤلفاته ص ٣١٣)

وآخر ما اطلعت عليه بهذا الخصوص قول أمير الشعراء الأخطل الصغير :

الشعر منها اياتها المصودة
لا تقل خانت القوافي فحسب
ويهبطن من سماء بعيدة
يتهدادين في غلائـل كالورد
من تراب الا كتبن جبينا
شهـد الله ما لمسـن جـينا
شعر الأخطل الصغير ص ٢٣

□ هوراس □

وقال الشاعر المهجري الياس فرات :
رفاقهم هم الذين : « خلدو على رغم البلى ! »
وذكر من أسماء الرفاق الريحاني والعقاد وأبي العلاء وأبا ماضي
وسليم الخوري الشاعر المهجري .
(مجلة الصاد : عدد ٢ شباط ١٩٨٦)

قال هوراس :
للملوك الذين يخشى جانبهم السلطة على قطبي شعوبهم، ولجو بيته،
الذي انتصر على التيتان (العملاقة) وقضى عليهم بصاعقته وززع الكون
بتقطيب حاجبيه ، السلطة ذاتها على الملوك أنفسهم . فهو يحكم الأرض
الثابتة ، ويسكن رياح البحر ، تخضع لسلطانه الملكي المدن والممالك
المظلمة والآلهة والبشر ...
(هوراس : مجموعة مؤلفاته ص ٨٥ و ٨٩)

وقال بوسويه (٤) :
الذى يملك في السموات ، وتدین له بالولاء جميع الامبراطوريات،
الذى له وحده المجد والجلال والاستقلال ، هو وحده الذي يعتز بأنه
يصنع القوانين للملوك ، ويلقنهم ، عندما يشاء ، دروساً عظيمة ورهيبة.
سواء أرفع العروش أم حطها ، وسواء أمنح الأمراء قدرته أم سحبها
إلى ذاته ، فإنه لا يترك لهم سوى ضعفهم الشخصي ، ويعليمهم واجباتهم
بصورة مطلقة وخليقة به ، لأنه بمنحهم قدرته يأمرهم بأن يتصرفوا بها،
كما يفعل هو ، من أجل خير العالم ، ويرىهم بسحبها أن كل عظمتهم
معارة لهم ، وأنهم وإن كانوا جالسين على العرش فهم تحت يده وتحت
سلطته المطلقة .

(بوسويه : مجموعة تأبينه ، سلسلة كارنييه = ١ ص ١)

وقال هوراس :

لا تبحث عن المصير الذي حددته الآلهة لك ولني ، ولا تستفت الاعداد البابلية . من الافضل كثيرا تحمل ما سيكون ! جوبتير يضحك ايضا اكثر من شتاء وقد يكون هذا الشتاء هو الاخير الذي يحطم اليوم امواج البحر على صخور شواطئه النخرة . كن حكينا وصف خمورك ، وقس آمالك الكبيرة على مدّتك القصيرة . بينما كنا نتحدث فرت الساعة الحسودة . اقتطف النهار واتكل أقل ما يمكن على الفد . الحياة قصيرة تحظر علينا الآمال البعيدة . انتهز يومك واعتمد على الفد أقل ما امكن . تقبل بفرح عطايا الساعة الحاضرة وابس الشؤون الجدية .

(هوراس : مجموعة مؤلفاته ص ٥٥٢ و ٩٣٥) .

ووجه لوقيانوس نصيحته لميثيب بلسان العراف تريسياس فقال:

لا تبحث في كل الامور الا عن شيء واحد الا وهو استخدام الحاضر استخداما حسنا والتمنع به ، ودع اكثر الحوادث تعبر وانت تضحك ، ولا تنظر اليها نظرة جدية (٢٤) .

ووجه نصيحة اخرى بلسان مينيب الى خرون الذي كان بوسعه ان يكون خالدا مع الآلهة لكنه اثر الموت والحياة في جحيم الاقدمين ، بقوله له :

الرجل العاقل من يسر بالأشياء الحاضرة ويعتقد ان لا شيء منها لا يطاق (٢٥) .

وقال ابو العلاء :

خذا الان فيما نحن وظيفا
هون عليك ولا تبال بحادث
يشجيك فلا يام سائرة بنا
ل ٣٦٤ / ٢

□ هوراس □

ومما قاله الشاعر ايليا ابو ماضي في فلسفة الحياة :
فتمتع بالصبح ما دمت فيه لا تخف ان يزول حتى يزولا
(الديوان ص ٦٤)

وقال هوراس :
من الجنون حمل حطب الى الغابة !
(هوراس ص ١٧٣)

وجاء في مجمع الامثال للميداني (المتوفى - ٥١٨ هـ) في الجزء ٢
ص ١٥٢ رقم ٣٠٨٠ :
« كمستبضع الشعر الى هجر ! »

وهذا المثل قديم ومبتدل وذلك ان هجر معدن التمر والمستبضع
اليه مخطئ .

ويقال أيضاً : كمستبضع تمرا الى ارض خير !
وذكر ابو العلاء (المتوفى سنة ٤٤٩ هـ) في رسالة الصاھل والشاحج
ص ١٦٤ .

« انما تهدى الزهرة من مجلسه الى الروضة العميقه ، وينحمل التمر
من حضرته الى هجر » (٢٥) .

ولابي العلاء قوله : كجالب التمر الى هجر . وله ايضاً : « يطلب
من راكب هجر الفرض » وهو نوع من التمر (٢٦) .

وقال هوراس ، اذا أردت ان تقدم دجاجة ولكيلا يكون لحمها قاسيأ
اغرقه في الخمر ممزوجة بماء فيطرا . (هوراس ص ١٩٢)

وقال ابو العلاء في رسالة الففران ص ٢٧٣ : ويعبر طاووس من
طاويس الجنة ... فيشتته ابو عبيدة (٢٧) مصوصا (اي منقوعا في الخل
ثم يطبخ) ، فييتكون كذلك في صفحة من الذهب .

□ هوراس □

وصف فيكتور هوغو ميرابو وهو يخطب فقال: «إن حاجب ميرابوكان يحرك كل شيء مثل حاجب جوبتيير» ، مستشهادا بهوراس ومتراجما قوله: « ولجوبتيير على الملوك سلطان أيده انتصار ، على المعالقة خصوصه وقد ززع الكون تقطيب حاجبيه ». (الاود ٣ - ٨/١ ص ٨٥)

وسبق للافونتين ان تذكر هذا المعنى فقال :

**ظهر جوبتيير ب حاجبيه السوداويين
اللذين ينزلان السموات القائمة على قطبيها .**

(كيليمون وبوسى)

وقال هوراس في فن الشعر : « من أواد ان يتحاشى عيما وقع في غيره » .

وقال لافونتين : كثرة انتباه المرء الى خطر ما يوقعه فيه غالبا .
وقال بوالو : خشية شر تقود غالبا الى شر منه .

وقال هوراس : اطرد الطبيعة حتى يعنف فانها تعود دائما وستكون الاقوى وتتغلب بلا ضحمة على كل احتقار واذداء
(الرسالة ١ - ٢٤/١٠ ص ٢٥)

وقال لافونتين : اطرد الطبيعي بضربات مذراة يرجع دائما .

وعبر عن هذا المعنى مرة اخرى بقوله :

لو كنتم مسلحين بالقضبان

فانكم لن تكونوا اسيادا له (للطبيعي)

**إن أغلق الباب في وجهه
فانه يعود من النافذة .**

(مجموعة مؤلفات هوراس ص ٤٠)

□ مسودات □

وقال ديوش : اطرد الطبيعي يرجع راكضا (المجيد ٣) - هوراس
الحاشية ٧٨٨ هذا البيت لديوش وتنسب خطأ لبوالو
(معجم الاستشهادات ص ٢٨٤)

استشهادهم بأي شاعر آخر لنفس السبب الذي حدا الشعراء الفرنسيين
قلد شعراء كثيرون من الالatin هوراس واستشهدوا به أكثر من
على الاستشهاد بلافونتين أكثر من استشهادهم بغيره ، وذلك لأن فنهمما
الشعري ولا سيما سحر أخلاقيتهم السهلة التي يمكن تفسيرها بحرية
يرضي ذوي المعرفة حتى عامة الناس ..

* * *

تربيسة هوراس بقلمه :

خاطب هوراس كتابه فقال : عندما تخف وطأة الحرارة ويكثر عدد
سامعيك قل كان أبي رقيقا وأعتق . (صفحة ٢٤٢) .

فانا ابن عبد تحرر ... ما كان والدي رجلا مشهورا (ص ١٦٥)
وإذا طبعتي الشريفة لم يشبهها سوى عيوب طفيفة ، مثل نقط
مبذورة على جسد جميل هنا وهناك ، وإذا كان لا يحق لأحد أن يتهمني
بالجشع وبالاهواء الشائنة وبأنني سيء الهيئة ، وإذا كانت حياتي نقية
لا عيب فيها (يمكنني أن أشهد هذه الشهادة بحق نفسي) ، وإذا كان
اصدقائي يحبونني فالفضل في ذلك كله يعود إلى والدي . انه ما كان غنيا
ولا كان يملك سوى بقعة أرض صغيرة ، لكنه لم يشاً ان يرسلني إلى
مدرسة فلافيوس حيث كان يدرس الظرفاء ابناء النبلاء ، قادة المئات ..
ما خاف ان يمضي بي منذ طفولتي الى روما لاتعلم هناك الاداب القديمة
كما كان يتعلمنها اولاد الفرسان او اعضاء مجلس الشيوخ . فإذا ما رأني

□ مسودات □

الناس مرتدية ثيابا فخمة وخلفي عبيد ، كما كانت العادة في مدينة كبيرة ، حسبيوا أني من أسرة ثرية تقوم بنفقات كهذه .. فوالذي نفسه ، الحارس الذي لا يرتشي ، كان يستمع إلى جميع دروسه . ماذا أضيف ؟ لقد حافظ على طهاري ، الزهرة الأولى للفضيلة ، وصانني ليس من كل عمل غير شريف فحسب ، بل من كل شك شائن . لم يكن يخشى أن يستمع يوما أحدا يوبخه لأنه جعلني مثله دللا أو جايبا بأجر قليل . لو كان الأمر كذلك لما تذمرت . انه ما زال حتى اليوم جديرا بالثناء من أجل كل هذا ، وأنا مازلتأشعر شعورا قويا بأنني مدين له بعرفان الجميل (ص ١٦٦) .

ص ١٦٠ - قد أكون حرا في أقوالي واشط قليلا في مزاحي . يجب ان يتترك لي الحق في ذلك وان اظهر بمظهر المتسامح . تلك عادة عودني عليها والدي الطيب ، ولكي يسعدني عن عيب كان يضرب لي الامثال .

كان يقول لي أبي عندما كان يريد ان يدعوني الى العيش باقتصاد وبساطة وبالاكتفاء بما جناه لي : انظر الى حياة (فلان) البائسة فهي عبرة كيلا يبذر المرء ماله ! وإذا اراد ان يرد عني عن هوى مخجل لمحظية ... لقد فوجيء فلان في حالة جرم مشهود فخر سمعته . الفلاسفة يعلمونك المبادئ لتعمل ما يجب عليك عمله وما يجب عليك ان تتجنبه . حسبي أنا التقييد بالأخلاق التي ورثناها عن ابائنا وان احافظ على حياتك وصحتك ما دمت انت بحاجة الى مراقبة . وعندما تقوى السن اعضائك وقلبك تستطيع ان تسحب بدون حزام .

ص ١٦١ - اراد ان ينصحني بعمل شيء كان يقول لي : انظر الى ذاك القاضي ... وإذا اراد ان يمنعني عن عمل شيء كان يقول لي : استطيع ان تشك في ان عملا كهذا غير شريف او غير مجد لما تنشر شائعات

□ مسودات □

مكدرة قوية عن هذا او ذاك ؟ موت جار يرعب مريضا يريد ان يأكل ، والخوف من الموت يجبره على ان يراقب نفسه . هكذا عار الآخرين يردد غالبا الشبان عن عمل الشر . ان هذه التعاليم صانتني من عيوب خطيرة حقا وتركت لي غيبوبا طفيفة تفتقر . بهذه الاقوال كان ابي يهدبني وانا صغير . يمكن ان اكون اصلحت اكثر من عيب في بفضل الزمن او صديق صادق او تأملاتي الخاصة . كنت افكر وأقول لنفسي دون ان احرك شفتي : هذا حكم ، سأعيش عيشة افضل اذا فعلت كذا وكذا ، واسر اصدقائي ايضا . ليس حسنا ما فعله فلان . اكون طائشا حتى افعل فعلته ؟

لي من العقل ما يجعلني الا اخجل بأبي ولا اعتذر مثل كثرين بان الذنب ليس ذنبي اذا كان والدي ليسا هامين ونبيلي الولد . فكلماتي وطريقي في النظر الى الاشياء مختلفة جدا . فلو كانت الطبيعة تتبع لي ان ابدا حياتي وأعيش السنين الماضية ، وتو كان يحمل الزهور والفرور انسانا على اختيار والديه ، فأني راض عنهم ولن أسعى الى البحث عنهما فيما بين الاشراف ذوي المراتب العليا .

١٦٧ - قد يعتبرني الناس احمق .. ولكنني سعيد بحياتي ..
أعيش عيشة اناس تحرروا من رقيقة الطمع ومن بأسائه وأعバاته .. راض عن قضاء حياة احلى مما لو كان جدي وأبي وعمي وزراء .

٢٥١ - لقد أسعدني الحظ بأن رببي في روما حيث تعلمت ..
وصرت بفضل اثنينا الحبيبة أمهر . تعلمت فيها ان اميز الخط المستقيم من الاعوج ، وأخذت ابحث عن الحقيقة ..



راحة هوراس وسعادته بقلمه :

الراحة يستجديها من الآلهة بحار في اليم عندما تحجب الغيوم السود
القمر ..

ص ٨٠ - وهي التي بحث عنها التراقيون في غمرة الحرب ...
فالكتوز والحراس حملة الفروس يحيطون بالقنصل (عند الرومان)
لا يبعدون عنه اضطرابات النفوس المربرة ولا الهموم التي تحوم تحت
سقوف القصر المزخرفة . يكون الانسان سعيدا بشمن قليل . يكفي ان تلمع
« مملحة العائلة » فوق مائدة بسيطة ، والا يخامر النوم خوف او رغبات
 fasida . الحياة قصيرة : فلماذا نبذل الجهد الكثيرة ؟ لماذا نسعى
لاهداف عديدة ؟ ... على النفس السعيدة في الوقت الحاضر الا تهتم
بالمستقبل ، وان تتقبل المرارات بابتسمة هادئة . لا سعادة كاملة . الدهر
قد يعطيك انا ما يرفض ان يعطيكه انت .. تلك هي عطايا الآلهة الحقيقة
وهذا ما علمني في نفس الوقت ان احترم خبث الجمهور .

٨١ - لا عاج في بيتي يلمع ولا سقوفه مطلية بالذهب ، وليس في
منزلي اعمدة من رخام منحوتة في افريقيا ، ولست انا وارثا مجھولا واصبحت
صاحب قصر ، ولا تنصح لي نساء من اسر شريفة ثيابا مصبوعة بالارجون ،
لكنني شريف وشريان عقلي كريم . انا فقير والفنى يبحث عنى . انا ثري
بأرضي في سابين انها تكفيني فلا التمس غير هذا من صدّيقي العظيم
(مسين) ولا اطلب من الآلهة زيادة .

١٤٧ - لماذا يعيش الانسان غير راض عن وضعه سواء اكان هذا
الوضع نتيجة اختيار معلم ام وليد الصدف ؟ ولماذا يعتبر سعداء اولئك
الناس الذين يحسبون غير حياته ؟

□ مسودات □

١٤٨ - الناس لا يرضون بالقيام باشغالهم الا ليؤمنوا لانفسهم ، بما يجمعون من مال ، عيشة مطمئنة في شيخوختهم ، مقتدين بالنملة الصغيرة النشطة التي تجر بفيها ما تستطيع جره وتضييفه الى الكوم الذي تكدرسه لأنها تعرف المستقبل وتتخذ التدابير الملائمة لذلك . ولكن النملة في الشتاء لا تخرج من مدرجها ابدا و تستهلك بحكمتها ما جمعته . أما أنت فلا شيء يحول دون جشعك للكسب .

٢١٥ - عما يبحث الرجال ؟ عن المال ، وعن زوجة غنية لتنجب لهم اولادا وغاية صغيرة يجب اصلاحها بالمحرات . عندما يملك الانسان الضروري عليه الا يتمنى أكثر من ذلك . لا بيت ولا ملك ولا كومة من الذهب يشفى جسدك من المرض والحمى ونفسك من الهم الشديد . اذا كان يريد ان يتمتع بما جمع عليه ان يكون اولا معافى لا فريسة للخوف والرغبة . اذا كان الاناء غير نظيف فكل ما ينسكب فيه يصير حامضا . احترر اللذة : انها شر والالم ثمنها .

٢١٦ - فالبخيل يكون دائمًا محتاجا . ضع حدا لرغباتك . الحسود تضنه سعادة الآخرين .

٢٠٠ - الثروة ام الفضيلة سبب السعادة ؟ المنفعة ام الخير اساس الصدقة .

٢١٩ - الحكيم يكون احمق اذا اف्रط في البحث حتى عن الفضيلة . عدم الانفعال بأي شيء افضل وسيلة بل الوسيلة الوحيدة لايجاد السعادة والمحافظة عليها .

ان السعادة ليست فقط في البحث عن الملاذات التي تصطحب الشبع والقرف ، وليس في فضيلة شرسه عدوة لكل الفة يتحطم عنفوان مزاعمتها كل يوم عند ابسط طارء واتفهه (الرسالة الاولى ١٠٨) .

□ هسورداس □

السعادة في حياة بسيطة دون افراط من اي نوع كان حتى في الفضيلة انها تكون في مجتمع الاصدقاء الحقيقيين الاوليفاء (الهجائية الثانية ٦/٧٠)، انها في التسامح الذي لا يتحول الى ضعف ، لكنه وحده الذي يعطي الاصدقاء ويحفظهم لنا ويجعل الحياة الاجتماعية ممكناة (الهجائية الاولى ٣/٥٥) . انها في ارضاء الذات الذي يتوصل به الانسان الى مستوى متواضع بسهولة اكثرا من الوصول الى مرتبة رفيعة (أود الثانية ١٠/٥) . انها في تلك الحالة الوسط التي لا يعدلها على الارض اي خير . الفضيلة ما بين نهايتين وعلى مسافة واحدة من كلتيهما (ص ٢٣٦) الرسالة الاولى ٨/٩) بواسطتها يبلغ الانسان تلك الحالة العليا التي يصبح فيها حقا في مأمن من تقلبات الحظ ، ويمكن القول انه فيها يحقق كل السعادة الممكنة .

٢٣١ - في منزلي الريفي كل شيء حسن واكتفي بأي شيء كان .

١٩٨ - ما امانی ؟ ها هي : ارض لا تكون كبيرة كثيرا ، وحدائق قرية من المنزل ، وعين ماء ، وآخرها بعض الاشجار . لقد وهبتهن الآلهة اكثرا وأفضل من ذلك . ولا اطلب سوى الاحتفاظ بهذه الهبات . لن أزيد مالي بطرق غير شريفة ولن انقصه بأخطائي وعيوبه . لكي اكون فرحا سعيدا ساكتفي بما أملك .. عندما أغادر المدينة لاجد مأوى لي في جبالي اي شيء اصنع افضل من نظم هجائيات توحى بها الي عروس شعرى المعادة .

٢٢٩ - تمنى المرء مصير الآخرين والتألم من مصيره حماقة ، ومن الظلم التشكي من الاماكن التي يعيش فيها .
ارى السعادة في الريف وانت تزعم انها في المدينة .

□ هوراس □

٢٠٠ - ايها الرفيق متى اراك ؟ ومتى استطيع ان انسى هذه
الاضطرابات وأذوق حلاوة كتاب عتيق وقيلولة طيبة وساعات اقضيها دون
أن أعمل شيئاً !! متى أرى على مائدتي الفول وصحن خضار جيدة مع
قطعة لحم دسمة ؟ ! ..

اما الشاعر العربي فقد قال :
ان رمت مجدًا فادرع تعبا
او فارض بالذل واختر راحة البدن
وقال شوقي :
شباب قتئع لا خير فيهم وبورك بالشباب الطامحين
* * *

من اقوال هوراس :
ص ٢٢٦ - تجنب الامجاد فتحت سقف حقير يمكن ان يكون الانسان
سعيداً أكثر من الملوك وأصدقاء الملوك .
٢٢٧ - العقل والحكمة يبددان الهموم .
الثروة ملكة أو خادم .

اذا عرفت ان تكتفي بما في متناول يدك لتعيش ببساطة بالخضراوات
تعيش هكذا دائماً حتى لو حمل لك الثروة فوراً نهر يجرف ذهباً ، اما
لان المال لا يغمر الطبيعة واما لانك تؤثر الفضيلة على كل شيء .

٢٢٩ - في منزلي الريفي كل شيء حسن واكتفي بأي شيء كان .
- وللموري قوله :

وقيت بها عائباً او مسوداً
ستير العيوب فقيد الحسد
وحسبني من المال قوتني به
فان خمولك درع عليك
تفبيت في منزلي برقة
فحسبني من المال قوتني به

- ٢٣٣ — الناس الطيبون حقا يكرهون الرذيلة حقا بالفضيلة . اما الآخرون فيمتنعون عن عمل الشر خوفا من العقاب .
- ٢٤٠ — اذا وثق الانسان بنفسه يكون مثل ملكة النحل التي تقود الشول .

٢٤٢ — لماذا يجهد الانسان نفسه لينقذ الاخرين بالكره منهم .

— والمعري يقول :

خل العباد وما اختاروا

- ٢٧١ — لماذا تجرح صديقا من أجل شيء تافه .
- ١٥٥ — صديق متسامح يزن سيئاتي وحسناتي ، وهذا عدل .
- ٥٣ — ضع حدا لحزنك واطلب في الخمر تلطيف هموم الحياة وبؤسها .
- ٥٢ — اطرد اليوم همومك بالخمر .

ماذا يحمل الغد ؟ تجنب البحث عنه ، واعتبر جميع الايام التي منحك ايها الحظ مكسبا .

— والمعري يقول :

- خنا الان فيما نحن فيه وخليا
هون عليك ولا تبال بحادث
- يشجيك فالايسام سائرة بنا
- ٥٥ — كن حكينا وصف خمورك ، وخفض امالك الطويلة بالنسبة لمدة حياتك القصيرة .

انتهز اليوم واعتقد أقل ما امكن على الغد .

- ٦٠ — الايه لا يعد للذين لا يشربون الا الشقاء . بالخمر وحدها تبدد الهموم . يجب الا يتعدى الشارب الحد .

□ هوراس □

٧٢ - لا بهاء للذهب ما دام دفينا في أرض بخيل .

٧٣ - سواء الغني النبيل المحتد والفقير المتواضع الحسب كلامها
يقضي زمانا قليلا في الدنيا ضحية « اوركوس » الآله الذي لا يرحم . كلنا
يجري لذات الغاية يسبق بعضنا بعضا لركوب الزورق الى المنفى الابدي .

٧٥ - عندما التقى بصديق سأشرب ويلذ لي أن أفقد عقلي .

١١٩ - حلو ان يفقد الانسان عقله في المناسبة .

٩٩ - يحولي فقدان العقل بالسكر وليسمع الناس جنوننا وضواعنا .

- وقال الاخطل الصغير :

أدب الشراب اذا المدامنة عربت في كأسها الا تكون الصاحي

٧٦ - نفس مهياً جيدا تأمل السعادة في حالة التّوّس ، وتخشى
العصيبة في حالة الرخاء .

من يختار الحالة الوسط الثمينة كالذهب يعيش في طمأنينة ولا يقاسي
عذاب الفقر وفظائعه بل يعيش باعتدال بعيدا عن القصور التي يحلم بها
الرجل العادي .

اشجار الصنوبر السامة تحطمها الرياح في أغلب الاحيان ...
الصاعقة تصيب القم ... اذا كنا اليوم تعساء فلن تكون كذلك دائما .
في الصعوبات كن شجاعا باسلا ، واذا كنت حكيمًا للم اشرعتك اذا نفتحتها
كثيرا ريح مؤاتية .

٨٢ - الارض تنشق للفقير كما تنشق لابن ملك .

- والمعري يقول :

رب لحد قد صار لحدا مرارا ضاحك من تزاحم الاصداد

□ هوراس □

اسمح بان اتفنى .. بينابيع الخمر وغزارة انهار اللبن والمعسل
السائل من شقوق الشجر .

— وللمعري في رسالة الفران وصف يشبه وصف هوراس :

تجري في أصول ذلك الشجر انهار من ماء الحيوان وسعد من اللبن
وجعافر (انهار) من الرحيق المختوم ... وأنهار من عسل الجنان ...
مصنفى .

٨٦ — الموت لainي يلاحق المنهزم ولا يعف عن ظهر الجبان الرعدية.
الموت في سبيل الوطن عذب جميل . لاشيء يقي رأسك من شباك
الموت (١٠١) .

— وقد قال عنترة العبسي مثل هذا القول :

ولا تقرأ اذا ماخضت معركة فما يزيد قرار المرء في اجل
اني امرؤ سأموت ان لم اقتل
فالموت لاينجيك من آفاته حسن ولو شيدته بالجندل

ولخير الدين الزركلي قول جميل في هذا المعنى :
هدّونا بالموت ما اعذب الموت اذا كان للحياة طريقا

ويذكرني هذا القول بقصة القائد الروماني الذي افتح آثينا ودخل
مدرسة واقتراح على طلابها ان يكتب كل منهم جملة حسب اختياره
فاعجب كثيرا بما كتبه أحدهم اذا كتب : سقيا لا ولئك الابطال الذين سقطوا
عند أسوار طروادة لأنهم لم يروا ذل الوطن ! ...

٨٩ — القوة بلا حكمة تهوي تحت ثقلها .

— وروي عن عنترة العبسي قوله : كنت اقدم اذا رأيت الاقدام
عزما ، وأحجم اذا رأيت الاحجام حزما ، ولا ادخل موضعا الا أرى لي
منه مخرجا .

□ هوراس □

٩٣ - اقتني بسرور عطاءك الساعه الحاضره وانس القضايا
الجسيده .

- وقال لوقيانوس السمياطي :

لا تبحث في كل الأمور الا عن شيء واحد الا وهو استخدام الحاضر
استخداماً حسناً والتمتع به ودع أكثر الحوادث تعبّر وانت تضحك ولا
تنظر اليها نظرة جدية .

٩٧ - الهموم تكبر بازدياد الثروة والرغبة في تنميتها .
اهرب وأبتعد بسرعة من جماعة الآثرياء .

١١٨ - لا تتبع الا ما تستطيع الحصول عليه .
لقد وضعت الطبيعة حدّاً لرغباتنا . (١٥٣) .

١٧٨ - أيها الاصدقاء ، الاكتفاء بالقليل فضيلة جميلة وعظيمة .
٢٢٢ : الرجل البسيط يكتفي بالقليل .. يكفي لاسكات صرخ معدتك
خبز وملح . ١٨٠ : طعام متتنوع يؤذى المعدة كثيراً .

١٨٠ - الصيت الحسن أعزب موسيقى لاذان الناس .
٢٠٠ - عش سعيداً وتذكر ان الحياة قصيرة .

٢١٧ - لست جسداً بلا روح . الآلهة حبتك الجمال واعطتك
أيضاً الثروة وفن التمتع بها .

٢١٩ - يدعى الحكيم أحمق اذا افرط في البحث عن الفضيلة .

٢٢٢ - لن أبدّل بحرتي ثروات العربية ..

١١٧ - من الخطأ تسمية من يملك ثروة كبيرة بالرجل السعيد .
يستحق هذه التسمية من يحسن استعمال عطاءك الآلهة بحكمة ويتحمل
بؤس حياة متواضعة ، يخشى الشر اكثر من الموت ، ولا يخشى ان يموت
من أجل أصدقائه او وطنه .

□ هوراس □

١٠٢ - اي نفع للقوانين بدون الاخلاق

١٠١ - عند « الجيت » لا تتباهى المرأة ببائتها كي تتسلط على زوجها ولا تعتمد على عاشق ثري . ان البائنة الجيدة في نظرهم هي فضيلة الأهل وعفاف الزوجة التي لا تزيد سوى زوجها الذي ارتبطت به بيمين وثيقة .

والزلة جريمة ضد الآلهة عقابها الموت .

٢٦ - احتقر اللذة فالآلام ثمنها .

البخيل دائم الفقر .

الحسود تضنيه سعادة الآخرين .

الغضب جنون وقتى .

٢١٥ - اذا كان الإناء غير نظيف فكل ما يسكب فيه يصبح حامضا . اخضع هواك فان لم يذعن فهو الذي يأمر ، اكبح جماحه بلجام وسلسلة .

١٦ - من يستطيع ان يقول كل يوم « لقد عشت » ، يكون سيد نفسه ويعيش حياة سعيدة . فليحجب غدا جوبtier السماء بالفيوم او يملأها بأنوار شمس نقاء ، فإنه لا يجعل الماضي عيشا ولا يستطيع تعدليه ولا يحول دون وجود ما حمله الزمان الغابر .

- وقال ابو العلاء المعربي :

غدي سيوجد امسي لا ينazuني

في ذاك خلق ، وامسي لا يصيئ غدي

وقال شاعر آخر :

ما مضى فات المؤتمل غيب ،

ولك الساعة التي انت فيها

□ هوراس □

٢١٢ - من الفضيلة مقاومة الخطأ .
الذهب أثمن من الفضة ، لكن الفضيلة أثمن من الذهب . فالفضيلة
أولا ثم الراهم .
يعزّيني أن انظم حياتي وفق المبادئ الأولى للحكمة ... وأعمل
من كل قلبي ما يشفع القراء والاغنياء على السواء .



المصادر

(هوراس بالفرنسية وبالياتينية هوراسيوس وهوراتيوس)

- هوراس ١٩٦٧ : سلسلة كارنيه وفلاماريون رقم ١٥٩
الترجمة الفرنسية من اللاتينية والتقديم والحواشي
لفرانسوا ديشار
- هوراس ١٩٥٨ : بالفرنسية سلسلة ميكروكوزم لبير كريمال
- هوراس ١٩٥٨ : تراث الإنسانية بالعربية لمحمد سليم سالم ٢٣
ص ٩٢٢ - ٩٢٣
- هوراس ١٩٦٢ : معجم لاروس الكبير الموسوعي م ٥ ص ٩٥٨
- هوراس ١٩٥٢/٣ : معجم لافونت بوميانى : المؤلفات - م ١ و ١٩٥٢/٢ و ١٩٥٣/٣
- بوسيبيه ١٩٤٦ : التأبين
- ابو العلاء ١٩٥٧ : التزويميات
ورسالة الفرقان
- دانتى ١٩٦٧ : الكوميديا الالهية - الجحيم ، بالفرنسية والعربية
الكردينال ف. شيتتو : دانتى المربى العبرى (ترجمة الياس غالى)
- لوقيانوس السميسياطى ١٩٦٧ : مسامرات الاموات (ترجمة الياس غالى)
- الياس غالى ١٩٤٦ : دانتى ما بين المري وفرجيل - مجلة المسرة
- بنت الشساطى ١٩٥٧ : رسالة الفرقان لابى العلاء المعرى

الهوامش

- (١) اقتبستنا هذه الدراسة من النصوص الهوراسية ومن مقدمة مؤلفاته لفرانسوا ديشار بالإضافة إلى المصادر الأخرى يتصرف وزيادة .
- (٢) يرجع إلى الصفحة ٩٥ من الجحيم ترجمة حسن عثمان ، البيت ٥٢ : « كنت بين أولئك المعلقة نفوسهم » ، وفي الصفحة ١١٥ من الجحيم ترجمة عثمان البيت ٤ ورد : « كانوا معلقين في اللعب » وكلمة « ان سوبسان » بالفرنسية تعني « معلقين » ، والمعلقون هنا قد تعني الذين في منزلة بين منزلتين الجنة والنار يتظرون فرج الله عنهم كالأرواح المطهرة عند ذاتي وأرواح أولئك الذين تساوت حسنانهم وسيئاتهم عند الغزالى ، غير أن سياق الحديث والمعتقد يستدعي استعمال كلمة « المحتجزين » والى الأبد لتلك النفوس أمل في الخلاص والنجاة من اللعب لفضلات كلمة معلقين على كلمة محتجزين ، أما ولا أمل لها في الخروج منه فكلمة محتجزين أي باقين إلى الأبد هي الأفضل .
- وجاء في الصفحة ١١٦ من الجحيم البيت ٧٦ - ٧٨ : « ان ذكراهم المجيدة ... تكسبهم في السماء الفضل الذي يميزهم هكذا » ، والأصل بحسب الترجمة الفرنسية لارتوك دومونتور ص ٤٢ ان ذكراهم (صيّتهم) المجيدة جعلتهم جديرين بهذا الفضل وتلك المكافأة من السماء .
- وترجمة ماسوروون : صيّتهم المجيد — وكلمة صيّت او شهرة افضل من كلمة ذكرى — حصل لهم من السماء — وهم ليسوا في السماء — النعمة التي ميزتهم هكذا .
- (٣) مجلة المسرة اللبنانية العدد ٢٠٢ و٤٥ و٥٤ / ١٩٤٦ ص ٢١٢ .
- (٤) جاء في الحاشية الثانية ص ١٤٣ لبنت الشاطئ قوله : وج : هي الطائف ، وسمى بها يوم وج « غزوة الطائف » وفي الحديث ان النبي (ﷺ) قال : ان آخر وطأة الله يوم وج . وكانت آخر الفزوّات . وقيل سميت بوج « نسبة الى وج » بن عبد الحق من العمالة وقيل من خزاعة (بلدان ياقوت ٩٤/٤) .
- (٥) جميل سعيد : تطور الخمريات في الشعر العربي ص ٢٤٦ .
- (٦) اشتريت من مكتبات الامارات في احدى زياراتي كتاباً لمحمد شلق وآخر لشرف الدين عن أبي العلاء ما كنت سمعت بهما من قبل مع أنهما نشراً في لبنان قبل بضع سنين ، وديوان الوليد بن يزيد وهو يهمني في دراستي للخمر .

□ هوراس □

- (٧) هوراس : سلسلة كارتبية فلاماريون ترجمة فرانسوا ريشار .
- (٨) جوفينال (٦٠ - ١٤٠ م) شاعر لاتيني له قصائد هجائية هاجم فيها عيوب معاصرة .
- (٩) بيرس فلاكتوس (٢٤ - ٦٢) شاعر لاتيني لم يصل منه سوى ست قصائد هجائية .
- (١٠) مارسيال (٣٨ - ١٠٤ م) شاعر إسباني عاش في روما ورجع إلى إسبانيا ومات فيها .
- (١١) سينيكا (٤ ق.م. - ٦٥ م) فيلسوف وشاعر في قربطة ، ودرس في روما ، ترك المحاما والسياسة لاعتلال صحته وانصرف إلى الأدب ، له محاورات فلسفية وتسع مسرحيات وكتابات أخرى . مات منتحرًا .
- (١٢) أironيموس (جيروم) (٣٤٧ - ٤٢٠ م ولد في دلاتيا . تنسك في شمال سوريا ثم في بيت لحم ، وهو مؤرخ ومفسر لأسفار الكتاب المقدس وقد ترجمها كلها إلى اللاتينية ، وترجمته هي المعتمدة في الكنيسة الغربية .
- (١٣) الكوان (٧٢٠ - ٨٠٤ م) راهب بندكتي ، أسس عدة مدارس ومكتبات ومحلات للنسخ . اتصل بشارلتن وصار أول وزير للثقافة في عهده . كان له تأثير في تعليم قواعد اللغة والبلاغة ونسخ المخطوطات . تعتبر مؤلفاته موسوعة .
- (١٤) لاها رب : (١٧٣٩ - ١٨٠٣) ناقد فرنسي ولد في باريس ، كان عضواً في الأكاديمية الفرنسية . له كتاب الليسية أو دروس في الأدب القديم والمعاصر . ١٧٩٩ .
- (١٥) بيستاندار : (٥١٨ - ٤٣٨ ق.م.) شاعر يوناني . استضافه عدة طفاة في صقلية وأكرن كثيرة . شعره عاطفي وغنائي ، ضمن قصائده أحاديث أسطورية وحقيقة قدينية أخلاقية . لم يصل منه سوى مجموعة شعرية بعنوان «أبيبينيسي» أي أناشيد النصر .
- (١٦) أناكريون : شاعر يوناني عاش في القرن السادس قبل الميلاد تفنى بالحب والترف ، استوحى منه شعراء النهضة .
- (١٧) نيتشر : ١٨٤٤ - ١٩٠٠ فيلسوف الماني اخذ بمذهب التطور وارادة القوة وتنازع البقاء وبقاء الأصلح .
- (١٨) جول لوبيتر : ١٨٥٣ - ١٩١٤ شاعر وناقد فرنسي له عدة مؤلفات وعدة محاضرات .
- (١٩) أبو العلاء : اللزوميات - الياس غالى : رسالة أبي العلاء إلى الإيجيال ص ١٤ ، الموقف الأدبي عدد ١٥١ و ١٩٨٢/١٥٢ .
- (٢٠) هوراس : الهجائيات ، الكتاب الأول ص ١٧٤ .
- (٢١) هوراس : الفن الشعري = رسالة إلى بيزون ص ٢٦٧ و ٢٦٩ .
- (٢٢) سعيد عقل : مقدمة شعر الأخطل الصغير ص ١٤ .

□ هوراس □

(٢٣) كرفوس : حارس الجحيم في الأساطير اليونانية واللاتينية وهو كلب عجيب ضخم له ثلاثة رؤوس .

(٢٤) التيرموبيل : الابواب الحارة ، شعب في تيساليا حيث حاول ليونيداس على رأس ثلاثة جندي سبارطي صد هجوم جيش فارس الجرار (كسيس كسيس الاول عام ٤٨٠ ق.م.) .

(٢٥) سيموند : شاعر يوناني ولد في جزيرة سيوس (٥٥٦ - ٤٦٧ ق.م.) .

(٢٦) هوراس : القصيدة السابعة من كتاب الأود الرابع ص ١١٥ .
وقول هوراس هذا يذكر بقصيدة أبي تمام الشهيرة في وصف الربيع وهي من أجمل ما قيل في هذا المعنى :

يا صاحبي تصيّدا نظري كما
تريا وجوه الأرضيّ كيف تصور
وله أيضاً قصيدة في الحكم وفي تعاقب الفصول وقصر الحياة أفضل من قصيدة
هوراس بهذا الخصوص وهذا بعضها :

وأنت غداً ، فيها تموت وتُقْبَر	أتأمل في الدنيا تجد وتعمر ؟
وعمرك مما قد ترجيه أقصر	تلقح آمالاً وترجو نتاجها
وليلته تنعماً ، إن كنت تشعر	وهذا صباح اليوم ينبعك ضوءه
على الخلق الا جبل عمرك يقصر	وما لاح نجم ولا ذر شارق
تروح وأيام كذلك تبكي	فهذى الليالي مؤذنات بالليل

(٢٧) فكرة الفوز بسعادة السماء جاءت على لسان شيشرون، سمنود إليها في مناسبة أخرى اذا شاء الله .

(٢٨) نهر المستيكس يفصل بين الدنيا والآخرة . - ٤ - إيكار بن ديدال : ديدال مهندس يوناني بنى سراديب جزيرة كريت وفيها سجن ديدال وابنه ففرا منها بواسطة اجححة من ريش وشمع قبل عباس بن فرناس .

(٢٩) الكابيتول : احدى قمم روما حيث شيد هيكل جوبير .

(٣٠) مالبيونين : ربة التراجيديا .

(٣١) لقد كلف العاهل افسططوس هوراس بوضع النشيد اليوبيلي القرني فوضمه في ٧٦ بيتاً (هوراس الأود ٣ من الكتاب الثالث ص ١٠٦ و ١٠٧ - النشيد ص ١٢٥ و ١٢٦) .

□ مسودات □

٤ - أوفيد : (٤٣ ق.م. - ١٧ م) شاعر لاتيني كبير نفي بعيداً عام ٨ ق.م. إلى بلاد قصي ومات في المنفى . له مؤلفات عديدة أهمها : مسوخ الكائنات ترجمتها إلى العربية ثروت عكاشة . نشر لي مقال عنه في مجلة الفرسان الدمشقية العدد ١٩٧ تاريخ ٦/٢/١٩٨٠ وفي كتابنا قبسات من التراث الإنساني ص ١٩٨٢/٦٣ .

(ترجمة المسوخ : الكتاب ١٥ ص ٤٠٩) .

(سلسلة كارنبية ، ج ، ص ٤٥٧ البيت ٨٧٢ - ٨٨٢) .

(٢٢) جاك شوفاليه : تاريخ الفكر ص ٨٨ .

(٢٣) جاك بوسويه (١٦٢٧ - ١٧٠٤) ولد بديجون بفرنسا . أسقف « مو » اشتهر بمواعظه وتأبيته البليغة وبمؤلفاته اللاهوتية والفلسفية والتاريخية .

(٢٤) لوقيانوس السميسياطي : مسامرات الأموات ، ترجمة الياس غالى ص ٧٢٥١٢٧ .

(٢٥) الشرح التالي لبنت الشاطئ محققة الرسالة :

هجر بالتحريك اسم لمدن من البلدان بالبحرين واليمن وحضرموت والتي بها ضربوا مثل : هجر البحرين . وفي القاموس ان هجر اسم لجميع أرض البحرين ، ومنه مثل : « كمبسح تمر الى هجر » . ولفظ مثل عند اليداني : كمبسح التمر الى هجر .

ونقل فيه عن أبي عبد الله من قديم الأمثال . وذلك ان هجر معدن التمر . ولفظه في الصحاح « كمبسح تمر الى هجر » اسم البلد ، مذكر معروف وقد يؤذن ويمنع ، والنسبة اليه هاجري على غير قياس وهجري أيضاً .

(٢٦) رسائل أبي الطاء لعبد الكريم خليفة ج ١ ص ١٨٤ .

(٢٧) أبو عبيدة التيمي (١١٠ - ٢٠٨ هـ) كان من أعلم الناس باللغة واخبار العرب وآنسابها ، له كتاب المجاز (رسالة الفرقان ص ١٦٢) .



ستيفان مالارميه*

• أنطوني هارتلي
• ترجمة: فارس هاشم

انقضى الآن قرن من الزمان منذ أن أعلن ستيفان ما لارميه ، الذي كان في الثانية والعشرين حينئذ ، عن اكتشاف أسلوب شعري جديد في رسالة بعثها إلى صديقه (هنري كازاليس) ، كتبها في تشرين الأول من عام ١٨٦٤ :

« بالنسبة إلي ، إنني موطن العزم على العمل . لقد بدأت أخيراً بتأليف كتابي (هيرودياد) . وبكل خوف ، إنني اخترع لغة لابد أن تنشأ بالضرورة من شكل جديد يبلغ الضرورة في الشاعرية ، والذي بامكاني أن أحدهه بكلمتين :

لاترسم الشيء ، بل ارسم التأثير الذي يحدّثه(١) .

* من كتاب Mallarmé, The Penguin Poets, 1965.

(١) في الأصل ، وقد ورد باللغة الفرنسية .

□ سيفان ما لارميء □

لقد كان محقا في احساسه بالرعب من جراء اكتشافه الخاص ،
لانه ، خلال عامين ، قادته المحاولة
لتشكيل أسلوب يتطابق ومفهوم الامكانات المتصلة في اللغة الى
أزمة روحية مدمرة ، وقد خرج منها منهاكا ، ولكن منتصرا ، وأنتج عدداً
من الروائع ، وكما أبرز موقعه تجاه فنه الذي اتخذ شكله الأصلي والنهاي .
ومن الآن فصاعدا ، فإنه سيصبح الشارح عالي المقام أو الخادم المتواضع
جداً لنوع من الشعر يطالب بمكان باسق في هذا الكون والذي يتجلّى
بقيمة تم التسليم بها على أساس أنها الحقيقة الوحيدة التي يمكن للبشرية
الحصول عليها ... « كل شيء في العالم يوجد كي ينتهي في كتاب ... » .

ومع ذلك ، فان الكتاب (وهو يبدأ بحرف كبير هنا ، لأن هذا
الزامي) كان مقرراً أن يصبح رائعة مالارميء لم يكتب أبداً . وكل
ما يبقى منه عبارة عن سلسلة من الملاحظات الفامضة التي تم الحصول عليها
من قبل النقاد ، الذين أتيح لهم ان يطلعوا عليها مؤخراً . وأثناء حياته ،
وجد الشاعر مخلصين او فيفاء وتلاميذ رأوا فيه ، كما قال أحدهم :

« **المثال الأكثر نقاءً ، والأكثر اصالة للفضائل الفكرية** » ، ولكن
الاعتراف العام بمكانته المبرز في ادب القرن التاسع عشر والمجال الكامل
لطموحاته الفكرية غير العادية لم يبدأ الا في الآونة الاخيرة نسبياً .

والقضايا التي أمضى مالارميء التفكير بها ، والتركيب التي نقشها
 ملياً في ذهنه ، وان كان الوقت منعه من إنهاها ، يمكن التعرف عليها
 بسهولة أكثر بعد أن أتيح الاطلاع على ملاحظاته .

□ ستيفان مالارميه □

وبعد نشر أعماله الكاملة ، اخذت مراسلاته تظهر ايضا ، وشعره
امكن النظر اليه بضوء جديد من قبل نقاد ، مثل (جورج بوليه) ،
(جان - بيير ريتشارد) ، و (جاك شير) (٢) .

وفي الآونة الأخيرة قال جان بول سارتر إنه يعتبر مالارميه « أعظم
الشعراء الفرنسيين . » وهناك عذر غير مقبول الآن لتكرار الكليشيات
النقدية التي لازمت عمله طويلا . وكلمات مثل « حذقة » « عقم » « أضحت
غير واضحة ابدا لوصف الموهبة الشعرية التي انتجت أعمالا مثل
Quand L'ombre menaça - L'Après Mili d'un Faune ...

نهاية لها ، ولكن مالارميه الهيغلي الذي يبرز ضمن النقد الحديث ليس
بالضرورة نمطا جاهزا لإثارة المزيد من الاعجاب . لأن من الصعب جدا
أن يحتوي هذه الحياة التي يقتدى بها وانتاجه في قلب واحد . وهناك
عنصر من السخرية الغامضة حول مالارميه وشعره يتحدى المحاولات
لاتمام اي حكم تقدير . ان نبالة موقفه وتعقيد عقليته تأسران النقاد وبقية
المتطفين ، وتبقيهم بعيدين عنه .

وأساليبه الأدبية خلوة من العيوب والاخطاء ، ولكنها تشكل جزءا
من تكتم شديد ، وبرغم ذلك فانه مطلق ، ليكشف للقاريء المستويات
الأعمق للتجربة الروحية . وشعر مالارميه صعب حتى عندما يبدو في
قمة وضوحه ، وليس ذلك نتيجة لأمور وقضايا التفسير المباشرة بقدر
ما هو ناتج عن موضوع قصائده ووجهة نظره نحوها (وربما كان الأمران
شيئا واحدا ، في الحقيقة) مما يجعل من الصعب فهمها بالنسبة لاي
شخص لا يشارك الشاعر اهتماماته . ومعظم أولئك الذين يجدون تلك
القصائد تعني الشيء الكثير بالنسبة لهم ، لابد انهم يشاطرون تجربة

□ سيفان ما لارميء □

فاليري المستمدة من تأثير ساحر لابيات بعضها من شعر مالارميء وأسلوبه الطبيعي الذي يتحول الى امتصاص تدريجي تحدثه رسالة شعرية فريدة من نوعها . وفي سن العشرين ، كتب الشاعر :

«كل ما هو مقدس ويود أن يبقى مقدسا يحيط نفسه بالغموض»
وبالنسبة له ، كان الشعر مقدسا قبل أي شيء آخر ، وقد تقوم هذه العبارة مقام حكمة معبرة لعمله كله ، تنقل ، كما هي الحال ، رأيا عن الاعتقاد واعلانا عن هدف أسلوبي .

* * *

من الناحية الظاهرية ، لم تكن حياة مالارميء مليئة بالاحاديث . فقد ولد في باريس الثامن عشر من آذار ، ١٨٤٢ ، لعائلة كلا طرفها ، كما كتب الى فيرلين «... منذ الثورة قدمت سلسلة غير متقطعة من الموظفين في خدمة الحكومة ومكتب التسجيل . » ماتت امه عندما كان في الخامسة من عمره ، وقد تكفلت جدته بتربيته بشكل اساسي . وفي سن الخامسة عشرة عندما كان هذا الغلام طالبا داخليا في الليسية في مدينة سانس ، وهي بلدة كاتدرائية تبعد حوالي (٧٥) ميلا الى الجنوب الشرقي من باريس ، ماتت أخته الوحيدة ماري ، وهذه الخسارة كان لها تأثير دائم فيه وترك بصماتها على عمله .

وفي تلك الأثناء كان من الواضح أن مالارميء أخذ يظهر مقاومة اشد للمحاولات التي تمت من أجل حثه على متابعة تقليد العائلة ليصبح موظفا بالإضافة الى المعتقدات الدينية التي كانت تطبع وتفرض في ذهنه من قبل جدته بعنابة فائقة .

ولدى بلوغه العشرين من العمر كان يكتب لجده عن امكانية ان يصبح مدرسا للغات ، وقد سنت الفرصة لعائلته كي تلاحظ رفضه

□ ستيفان مالارمييه □

للاشكال الخارجية للدين . وفي خريف ١٨٦٢ ، ذهب الى لندن كي يتعلم اللغة الانكليزية ، مصطحبًا معه (ماري جير هارد) ، وهي فتاة المانية كان قد قابلها في مدينة سانس ، والتي وقع في غرامها حالا ، وقد خاطبها بنشر يعتبر شيئاً مميزاً اسلوبه .

« شعاع الشمس هنا ينفي له أن يجعل الزهرة الزرقاء الفامضة تتفتح في قلبك ، والا يكون العطر الذي يمكن أن يخلق من شذاها ، كما آمل ، غير مستحب . اود لو اني استنشقها . وهذا العطر يعني الحب . » .

وبعد الازمات ، والفرق والمصالحات التي تلت ذلك ، والمعتادة في قضية حب بهذه نمت وترعرعت تحت ظروف صعبة وقام بها اناس غير مجريين ، كان على مالارمييه أن يتزوج من ماري في العاشر من آب ١٨٦٣ ، وقد ولدت ابنتهما (جنفييف) في نوفمبر من العام التالي .

وهذا الزواج المبكر كان نقطة تحول حرجية في حياة مالارمييه . فسرعان ما أجبره الزواج على السعي لإيجاد مصدر نظامي لدخله ولذلك اضطر لاتخاذ مهنة تدريس اللغة الانكليزية ، وهذه المهمة غير المرغوبة بالنسبة اليه ، للطلاب العنيدين ، في الوقت الذي كان يحتاج فيه لكل دقة من أجل عمله الخاص .

وقد أضحت متطلبات الحياة العائلية عبئا ثقيلا على عاته . وقد رأينا يكتب لказاليس :

« المرأة تستطيع ان تهب كل شيء ، نظرات عنزة ، وراحة بعيدا عن الضروريات . ولكن الاولاد ... هناك عالم من المعاناة فيهم ، يتملكنا في لحظات اللغة الحياة العائلية ، لأننا مجرد آباء انتاجنا اتخالي . » .

□ ستيفن ما لارميء □

وعلاقة مالارميء مع زوجته يكتنفها الصمت والتكتم ، وهو الشيء الذي أحاط به الكثير من حياته الشخصية ، والذي فعل كاتبو سيرة حياته الشيء القليل لازحة الستار عنه ، ولكن هناك بعض العلامات تشير إلى أنها لم تكن متفهمة للتوترات التي كانت تجيش في صدره بسبب شعوره بأنه كان يضيع وقتاً ثميناً مجرد كسب قوت العائلة . وقد تصرف مالارميء نحوها دائماً بلباقة وبكل علامات العاطفة العميقه ، ولكن بامكان المرء أن يشعر بهوة متزايدة بينهما كلما تقدم الزمن . وقد كان الامر على هذا النحو لأنـه ما كان بامكان ماري أن تفعل خلاف ذلك كـي تفهم بشكل أوسع طبيعة القوى الداخلية التي سيطرت على حياة زوجها أكثر مما يمكن أن يتوقع من امرأة ، اهتماماتها بعيدة عن اهتماماته ولغتها الأصلية ليست اللغة الفرنسية ، وعندما عاد ليعيش في باريس ، كان على مالارميء أن يجد رفيقة أخرى ، وهي (ميري لورينت) ، ولكن يبدو أن هذه العلاقة بما كانت على مستوى سطحي نوعاً ما ، ولهذا السبب لم يكن لها أي تأثير على حياته العائلية .

وأول منصب تدريسي مالارميء كان في (تورنون) على نهر الرون ، تحت مدينة ليون . وقد انتقل إلى (بيزانسون) عام 1866 ، والى (آفينيون) عام 1867 ، وأخيراً ، في 1871 ، إلى باريس ، ليقوم بالتدريس ، أولاً في الليسية فونتان (كوندورسيه) ، ثم في الكيسـيه جانـسون - دو - سـاي . وخلال تلك السنين في البراري الإقليمية ، مـرت به الأزمـات النفـسـية التي غيرت بذلك مـزيـة شـعرـه . ولا رـيبـ أن عدم وجود رـوحـ متـفهمـة لـيـناـقـشـ معـهاـ القـضاـياـ ، الـتيـ تعـذـبهـ ، جـعـلـ منـ لـوعـتهـ الروـحـيـةـ أمـراـ شـديـداـ ، وـلـكـنـ مـثـلـ هـذـهـ الأـزـمـاتـ كانـ عـلـيـهـ انـ يـتـغلـبـ عـلـيـهـ لـوـحـدـهـ ، وـرـبـماـ رـيحـ مـالـارـميـهـ منـ سـنـوـاتـ العـزلـةـ هـذـهـ بـاـبـتـعـادـهـ عـنـ أـصـدـقـائـهـ وـالـحـيـاةـ الـادـبـيـةـ الـبـارـيـسـيـةـ .

□ ستيفان ما لاومييه □

ففي البداية ، كان يحس بالمرارة من جراء وحشه ، وهو يكتب من مدينة (كورنون) : « **ها هنا الخنزير هو الروح المألوفة في البيت كما هي الحال مع القلط في مكان آخر** » ولكن بمرور الوقت ، قبل نصيبيه بسبب التأثير الملطف للراحة المنزلية التي كان ينعم بها ، وكذلك لم تكن عزلته مطلقة تماما كما يتضح من شعوah . فقد كانت هناك على الدوام رسائل من الكتاب الآخرين - (فيبير دو ليل - آدام) ، (فيرلين) ، (كاتول منديس) (فرانسوا كوبيه) ، (مسيترال) ، (تيودور أوبانييل) و (هيردياد) ، وأجرى اتصالات مع شعراء حركة الـ (فيليبراج) (٢) في آفينيون . وتلقى زيات من أصدقائه ، وفي الصيف كان يتيسّر له الهروب لبعض الوقت إلى باريس . وفي الوقت نفسه كان مالارميه يكتب وينشر القصائد . وقد ظهرت أحد عشرة قصيدة منها في (البرناس المعاصر) ١٨٦٦ وكلا (هيرودياد) و قصيدة إله الريف بدا بكتابتهما في تورنون ، مع أن الكتاب الأول لم ينته أبدا ، والكتاب الثاني وجد شكله النهائي بعد عدة سنوات . ولكن ، كما أشار السيد شيرر ، فإن شدة الأزمة التي مر بها مالارميه عام ١٨٨٦ ، تبين بجلاء حقيقة أنه منذ ذلك الحين وحتى حوالي عام ١٨٨٤ أنتج الشاعر ثلاث قصائد جديدة فقط : (Le Tombeau d'Edgar Poe) (النخب الحزينة) و (Toast funèbre) (ادجاريو) السوناتا (... Sur les bois oubliés) (في الغابات المنسيّة) . وهذا يتعارض تماما مع غزارة الانتاج التي عرفها في الأعوام الخمسة السابقة .

(٢) مدرسة أدبية تأسست عام ١٨٥٤ من قبل جماعة أدبية ، بينهم Félibrige (ميسترال ، دماتي ، أوبانييل) لمنع اللغة المستعملة في الأقاليم صفة اللغة الأدبية . « المترجم »

□ ستيفان مالارميه □

وعندما استقر في باريس ، أتيح له متسع من الوقت لرؤية أصدقائه وليلعب دورا متزايدا في الحياة الأدبية في العاصمة ، مع أنه بقي يتذمر بسبب الزمن الذي يذهب هدرا تبعا لواجباته التدريسية . وفي عام (١٨٧٥) انتقل إلى الشقة الشهيرة في (٨٧ رو دو روما) ، وبدأ يقضي أيام الصيف في موضع آخر أصبح مأولاً لأصدقائه والمعجبين به : وهو الكوخ في بلدة (فالفان) بالقرب من (فونتنبلو) حيث امتلك قاربا صغيرا (وهو الزورق في قصيدة *Le nénuphar blanc*) (النيلوفر الأبيض) ، مما سمح له أن يطلق العنان لمزاجه ويمضي الوقت وهو يحلم فوق صفحة الماء .

وفي عام ١٨٧٩ كان موت (آناتول) ، ابن الشاعر البالغ من العمر ثمانية أعوام ، أشد لحظات الحزن قتامة بالنسبة لمالارميه ، ذلك الحزن العميق الذي لم يعانيه منذ موت شقيقته . واللحظات غير العادية التي كان يسجلها وهو يجلس بجوار سرير موت ابنه تعتبر أكمل أثبات عن لوعته العميقه وانشغال باله بمشكلة الموت والتي لا يمكن تناسيها حتى بالألم . « جمالي - يقول الموت - يتكون من اللحظات الأخيرة ، والوضوح والجمال ، وجه ما سيكون أنا بدوني - لأنني حاتما أكون (حاتما يموت المرء) - فأنني أكف عن الوجود . » .

ويمكن أن تظهر هذه الواقعية الحارقة وكأنها غير إنسانية في محاولتها لتجريد ما هو خاص ، ولكنها تبدو في حالة مالارميه كإشارة مؤكدة لفاجعة أثرت على كيانه بأكمله . وموت آناتول يمكن اعتباره دعماً لذلك التفكير العميق بالموت نفسه الذي حمله مالارميه في كل عمله الابداعي .

وخلال تلك الأعوام التي قضاها مالارميه في باريس قادته صداقته مع الكتاب والفنانين والموسيقيين (خصوصاً فيليبي دو ليل - آدام ،

فيرلين ، ومانيه) أولا الى « المارديس » حيث استقبل مع زوجته الاصدقاء ، ثم تحول ذلك الى ما يشبه المؤسسة ، وفي تلك المناسبات كان باستطاعة المعجبين الشبان ان يقدموا له الطاعة ويستمعوا الى تعاليم الشخص الذي اعتبروه سيدا لهم بسبب نقاط مقاصده وشعوره الفياض . وليس من السهل ان نستجمع فحوى المحادثات التي كان مالارمي يقوم بادارتها من الاوصاف المعاصرة له ولشلته . أما عن تأثير تلك المحادثات والجلسات ، فلاشك حول ذلك ابدا . وربما كان افضل وصف لها ما قدمه شاعر شاب ، وهو جورج رودينباخ .

« صوت لطيف . اشارات وكأنها طقوس عبادة . وخطاب رائع لا تحس بالتعجب في نبراته ، يضفي نبلًا على كل موضوع يطرقه بتزيينيات نادرة : الادب ، الموسيقى ، الفن ، اتحياة ، وحتى مواد الاخبار ، ليكشف عن التنازرات الكامنة بين الاشياء ، وترتبط بين الابواب الموصلة والاشكال الخفية . ويصبح الكون بسيطًا عندما يلخصه بالاقلام ، كما يحدث مع البحر عندما يتم احتواؤه بانهمس داخل صدفة » .

ويمكن اعتبار هذا الوصف ايضا وصفا جيدا لتأثير كتابات مالارمية النثرية على القارئ ، ويمكننا ان نتخيل اقواله في (الصالون) في شارع (رودو روما) وكان لها مزية التأمل الخفي تم كشفه لبعض المريدين من شلته . ولا بد أن يكون للنفحة ذاتها نفس التأثير ايضا ، ونظرًا للرونق الذي تنجلبي به ، فان نشر مالارمي يذكرنا دوما بالصوت الانساني ، والسرور الذي أفصح عنه ذلك الصوت يمكن تخيله من قوة الانتباه الذي كان يصفى له الكتاب الشبان الذين قدر لهم أن يكونوا اعظم الاسماء في الادب الفرنسي في القرن العشرين : (اندريه جيد ، كلوريل ، فاليري) .

□ سيفان ما لارميء □

وفي جو التمجيد الذي أحاط بمالارميء خلال السنوات العشرين من حياته ، هناك بعض التواريخ الجديرة باللحظة . فقد ظهرت قصيدة (بعد ظهر إله الرعاعة L'Après - Midi d'un Faune) عام ١٨٧٦ ، الكلمات الانجليزية (Les Mots Anglais) ١٨٧٧ ، (الآلهة القديمة Les Dieux Antiques) ١٨٨٠ ، و (أشعار Poésies) عام ١٨٨٧ ، وترجماته لادخار آلن بو عام ١٨٨٨ ، و (Divagations) هذيان) عام ١٨٩٧ . ولكن الاعترافات الحقيقة لعظمته كانت ماتزال وقفا على مجموعة منتقاة من تلاميذه وأصدقائه الذين لم يستطعوا دائما إخراج أصوات النقاد الذين يدعون بأن قصائده كانت « عقيمة » أو « لا يمكن فهمها ». وبعد أن تقاعد من مهنة التدريس عام ١٨٩٤ ، كان قادرًا على أن يهب نفسه كلية لعمله ، ولكن العمر لم يمهله طويلا . ففي ٨ أيلول عام ١٨٩٨ ، بينما كان في مدينة (فالكان) ، أصيب فجأة بنوبة مفاجئة من الاختناق . وعندما شعر بدنو أجله ، جلس ليكتب لزوجته وابنته ، يوصيهمما ان يحرقا الملاحظات التي كان قد دونها :

فلتحرصوا الا يستفيد أحد من تلك الملاحظات – وهذا صحيح تماما – وأنتما ، يا أعزائي المتعلمين ، اتوحيدان انلنان باستطاعتكم احترام ، وبدرجة كبيرة ، حياة فنان مخلص بأكملها ، وتتصدقوا انها ستكون جميلة جدا بعملكما هنا » .

وفي اليوم التالي مات مالارميء ، وبقي الكتاب النموذج الاصلي الذي حلم به غير مكتوب . وشاهدت قبره نطق بها (رودان) ، المثال الشهير ، وهو عائد من الجنائز :

«كم من الوقت سيمضي قبل أن تستطيع الطبيعة خلق عقل مثله؟».



لكي ندرس شعر مالارمييه ، فمن الضروري اولاً أن نتفحص طبيعة الأزمة الفكرية والروحية التي اتخذت شكلها الأصلي . ولحسن الحظ ، فان الأدلة والشواهد لاتنقضنا في هذا المجال ، وخلال الاشهر التي قضتها مالارمييه في صراع داخلي مرير ، فقد اضطر بسبب عزلته في (تورنون) ، (بيزانسون) و (آفينيون) ، ان يسجل الصراعات الفكرية التي واكبته وذلك برسائل طويلة الى أصدقائه . وأولى اعراض تلك الأزمة يمكن تأريخها بدءاً من الاشهر الأخيرة التي قضتها في (تورنون) . وفي ١٤ مايس ١٨٦٧ كتب الى (كا زاليس) :

« لقد مررت تتوي بسنة مريعة : لقد امعنت افكاري بأفكاري ووصلت الى مفهوم نقى . وقد أثر كل شيء على كياني وجعلني أقاسي ، نتيجة لذلك ، خلال هذه المحنـة الطويلة ، مما يستحيل علي البوح به ، ولكن ، لحسن الحظ ، أنا ميت تماماً ، والخلود هو المنطقة الأكثر قلة نقاط حيث بامكان روحي أن تخاطر بدخولها »

ومما يزيد الامر دلالة في هذا المجال انه كان قد كتب اولاً في هذه الرسالة كلمة مفهوم سماوي مقدس (divine) ثم غيرها بكلمة (نقى) . وكل رسائله في تلك الفترة تؤكد على النوعية المتهورة والتي تكاد تكون تجديفية لهذه المحاولة الوعائية لتنقية افتراضه الخاص ، الذي يستدعي نجاحه أن يجلب معه فقط الرعب واللوحة الواسعة الى حد كبير .

« بالنسبة إلي ، فقد انقضى عامان منذ ان ارتكبت خطيئة رؤية الحلم في عريه المثالي . . . والآن ، وبعد أن وصلت الى آرؤية المرعبة للعمل النقى ، فقد فقدت تقريباً فهم سبب ومعنى معظم الكلمات المألوفة » .

ومن جديد نسمعه يقول : « إن المرأة التي عكست كياني بالنسبة إلي قد كانت هي الرعب وبامكانك أن تخمن اذا ما استطعت ان اعوض بقصيدة عن هذه الجوهرة ذات الليالي التي لا اسم لها » .

□ سيفان ما لارميه □

و « الخطيئة » و « التكبير » — هذه الكلمات ذات الدلالة الدينية (اللاهوتية) ، تعكس الاصل الميتافيزيقي لازمة مالارميه . وقد كان مالارميه في هذا الامر واحدا من شعراء كثيرين في القرن التاسع عشر ممزقا أمام مشكلة الایمان ، التي حاول أن يحلها بطريقه بروميثية (٤) لكي يتجاوز الحالات الانسانية اليومية . وفي رسالة الى (كازاليس) تكلم أيضا عن « نصاله المرير مع حزمة الرئيس العتيقة والشريرة ، التي تم التقلب عليها ، وهي الاله » .

ولكن الانتصار جلب معه العقوبة :

« ويمكن بما ان هذا الصراع قد اتخذ مسرحا له جناحه العظمى ، الذي حملني الى الفلال ، بمحة اكتر شدة عما ظننت انه قادر عليها ، وسقطت منتصرا ، بلا امل وبشكل نهائى — حتى وجدت نفسي اخيرا في أحد الايام امام مرآتي الفينيسية (نسبة اتى فينيسيما) ، تماما كما كنت قد نسيت نفسي منذ عدة أشهر قبل ذلك » .

واذا ما تم اقصاء الاله ، فان ما بقي كان مجرد هوة ابتلعت معها كل حقيقة . وعلى هذا النحو استطاع مالارميه أن يكتب في نفس الرساله انه « لن يصبح شيئاً ما بعد ذلك » ، بعد ان تم مواجهة خواء مرعب في نهاية بحثه الدؤوب عما هو مثالى .

ويمكن تتبع الحالة التي كانت تسسيطر عليه في اصل بحثه وقد انعكست في قصائده الاولى . والشيء الاكثر تميزا لهذه القصائد هي العاطفة

(٤) نسبة الى (بروميثوس) الذي سرق النار التي كانت حكرا للالله وعلم البشر استعمالها ، معاقبة الالله .
(المترجم)

□ ستيفان مالارمييه □

الرقابة لاعمال الشباب الاولى وقد استبدلت — ربما بسبب موت اخته
— بشعور من عدم المقدرة الذي يتخذ شكل الحنين الى هدف أعلى لا يمكن
الارتقاء اليه أو الدنو منه .

هذه الفكرة يمكن الكشف عنها من قبل في قصيدة « قلعة الامل » ،
وهي من الاعمال التي تعود الى فترة الصبا ، حيث صور المجموع
تتلذذ في تراث وكسيل وبلا ايلام في السنانوا الاخيره : « بدون اي نجم
صاحب ينطلق كالسهم » . وفي قصيدة أخرى مثل « الشفق » تتضح
الفكرة بشكل جلي . فالشاعر هنا تملكه حالة ادراك واقعي متعال وهو
الذي لا يمكن الحصول عليه او النجاة منه . انه يهرب منه ، ولكن عبثا .
والقصيدة الاكثر دلاله من جميع تلك القصائد ، مع ذلك ، هي «(النواخذة)» ،
حيث نواجه صورة مريض في مستشفى يراقب عبر زجاج النافذه غياب
الشمس وهو غير قادر على أن يجرؤ ذلك مباشرة ، وهي تدل على مصيبة
الشاعر الخاصة :

اهناك ثمة طريقة ، ايتها النفس انطافحة بالمارارة ،
كي اكسر البالور انشفاف الذي دنسه الوحش
وكي اهرب مع جناحي منتوفي الريش —
وبخطر السقوط عبر الابدية ؟

وفي محاولته لإخراق الجدار ، شفافا كان أم صلبا ، ذلك الجدار
الذي يفصله عن التفوق ، السمو ، والذي ، مثل « الشفق » ، اجبره
على تركيز انتباهه وأرعبه جدا حتى ان مالارمييه وجد هوة فاغرة فاما
في طريقه ، هوة وجود يمكن الاحساس بها في الابيات الشعرية التي تجلب
الدوار في مقدمته لميرودياد ، وهي قصيدة مرتبطة تمام الارتباط بأزمته .

□ سيفان ما لارميء □

« ان الصمت الابدي لهذه الفراغات اللا متناهية يرعبني ». هكذا كتب (باسكال) ، ومراسلات مالارميء توضح بان احساسه بالرعب كان مطابقا تماما لما تحمله هذه الكلمة من معنى . ولكن ، اذا كان مالارميء يشارك هذا الرأي مع باسكال ، فان طريقته لحلها كانت تدين بالشيء الكبير لديكارت ، كما اشار م. بوليه . وفي الرسالة الاولى التي كتبها الى كازاليس حول ازمه ، يمكن ان يتبيّن الطريقة التي خرج منها من جوف هذه الهوة :

« نعم ، ابني اعرف ، انا اشكال فارغة من المادة ، وتكتننا اكثر رفعة ، لأننا خلقنا الانه وروحنا . اجلاء جدا ، يا صديقي ! حتى ابني اريد ان أحضر نفسي بهذا المشهد من المادة ، مدرك لوجودي ، ومع ذلك اندفع بحمية نحو الاحلام ، التي تعرف انها لا توجد ، محتفلًا بالروح وبكل هذه التأثيرات الاتهمية التي تجمعت فينا منذ الفصور الاولى ، والتي تظهر ، في وجه التفاهة التي تتخذ لباس الحقيقة ، هذه انتزيفات الجيدة ! » .

« التفاهة التي تتخذ لباس الحقيقة ... ، هذه انتزيفات الجيدة » وفي حالة عكس القيم التي تنتهي بها هذه العبارة الرائعة عن الاعتقاد ، هناك الارضية التي يستطيع مالارميء ان يبني عليها شعره ، وهو الكوجيتو الذي يمكن ان ترتكز عليه القيم . فلو ان الواقع عصي على فهمه ، حينئذ ، عندما يلتفت نحو نفسه ، فإنه يستقبل الحقيقة الوحيدة التي عرفها : وهي الخيال الراقي الذي تولد في داخل وعيه الخاص . وعلى مستوى الاسطورة يمكن رؤية هذا الالقاء المتعتمد للعالم « الحقيقى » كمعادل للقبول بالموت واعادة الميلاد . ومثل هذا التعريف قام مالارميء بتقديمه بنفسه في وصفه (ومن جديد لصديقه كازاليس) لمحاولته التغلب على الدوامة التي احاطت به :

«... دماغي ، وقد غزاه الحلم وهو يرفض أن ينجز مهامه الخارجية التي لم تعد تثير انتباذه ، كان على وشك أن يتلاشى في الارق الابدي ، واستعطفت التلليل الواسع الذي استجاب لصلواتي ونشر ظلاله علي . لقد انتهت المرحلة لاولى من حياتي . ووعيي ، الذي أتعقبه الرؤى ، أخذ يستيقظ من جديد ببطء ، مشكلا رجلا جديدا ، وعلى أن أجده حليبي من جديد بعد أن يتم خلق هذا فيما بعد» .

ويعود السبب الى أن القبول بالموت يجلب معه بعضا اكيدا . «لقد كنت ميتا ونهضت من جديد مع المفتاح المرصع بالمجوهرات المخصوص الآخر صناديقي الروحية» . ويصبح الموت شرطا للحياة ، نفيا للوجود . وهذه هي الاسطورة التي تكمن خلف الشظايا الموجودة في قصيدة *Igitur* (اجيتور) ، وهي دراما حاول مالارمييه أن يجسد بها تجربته الخاصة بخصوص أزمته التي وصفت بأنها «المثال الكامل عن الانتحار الفلسفي» ، والشخص الذي يتخذ اسم هاملت ، وهو بطل الدراما ، يؤكد هويته الخاصة بانتحار يتلاشى معه الزمن والفرصة التي تسمح بالانجاز النهائي لعمل ما :

«هو نفسه في النهاية ، عندما تخفي الاصوات ، سوف يقدم دليلا عن شيء عظيم (بدون نجوم ؟ أن يلغى دور المصادفة ؟) من هذه الحقيقة البسيطة التي يسمح بواسطتها للظل بأن ينفتح على الضوء» .

ان بعث بطل اجيتور ، بعد ان القى برعية زهر ، أغلق كتابه ، اطفا شمعته ، واستلقى فوق رماد اسلافه ، والنقاء الذي ينسى ان يحصل عليه يشار اليه اشاره فقط . وفي (رمية زهر) (*Un coup de dés*) تتضح حركة الانبعاث من جديد بشكل اقوى من ذي قبل . ويمكن لرمية الزهر التي القى بها البطل الفار من (والذي يمكن التعرف على هاملت من

□ ستيفان ما لارمييه □

خلاله أيضاً) أن تصبح مجموعة متألقة من النجوم . وتنبعث من جديد أيماءة برومثية من ظلام الموت ورهبته وكأنها ضياء .

« كوكبة من النجوم وقد لفتها برودة التنسيان وعدم الاستعمال – وليس يعني هنا لا تحسب حساباً للصدمة التي تتالي على طريقة النجوم التي تتشكل ، فوق سطح ما فارغ ومرتفع » .

وأن مايرى في (إجيتور) كنتيجة لاختيار فلسفى ومتعمد يظهر في (رمية زهر) كعقل يائس يقوم بهوعي إنساني يجد نفسه على الدوام في النزاع الأخير .

والحالة النفسية أقل جبرية ، مع أنها ليست أقل المكافأة التي تأتي مع الفعل .

« القمر ، فوق الأzman ، وسوف يزبح الستائر أمامه . » .

وبما أن والارمييه قد انطلق من التجربة المريرة لعدم كفاية الروح الإنسانية ، فإنه انتقل بعد ذلك باتجاه تأكيد إنسانية واثقة من نفسها ، بالنسبة إلى انحداره السابق نحو الخواء . وفي السوناته ذات الاسم (...) (Quand l'ombre menaça) (عندما هددت الظللا...) نجد وصفاً للعملية التي بواسطتها يظهر اعتقاد الشاعر بخياله الأعلى تسبب أولاً تضاؤل الكون ثم تقلصه ، في الإبيات الثلاث الأخيرة ، بعد ذلك يتمدد بشكل لا يمكن قياسه مثل كل النجوم الدوارة التي تعتمد على كرة أرضية يتم التعرف عليها بوجود عقل حي⁽⁵⁾ .

(5) إنني أتبع هنا شرح (م . بوليه) للقصيدة . ولكنني أظن ، أنه في الإبيات الأخيرة ، يمتد احتفال عالم العقل إلى كافة جوانب الحياة الإنسانية .

وبعد أن تثبت المزية الخيالية للخبرة الإنسانية ، فإن ما لارمييه ، بعملية عكسية للمشاعر ، يحتفل بعظمته – تلك العظمة التي تتالف بشكل رئيسي من ادراك ذلك الوهم .

□ ستيفان ما لارمييه □

وبلا شك ، فإن عملية عكس القيم التي تحدد شعر مالارمييه يمكن أن يعبر عنها بتعابير فلسفية .

فمن الممكن التعرف عليها عن طريق مبدأ (نفي النفي) الذي يقود باتجاه ظهور قيمة إيجابية ، يمكن أن يكون الشاعر قد جمعها من قراءته لهيجل ، الذي تعرف على أفكاره بواسطة صديقه (يوجين لوفمير) . حتى قصيدة (الشيء المكتوب) نفسها محددة بهذه التعابير : «المحبرة ، شفافة مثل الشعور ، وفي الواقع ، مع نقطة ظاللها ، تدل على وجود شيء ما ٠٠٠» .

ولكن ، وبالرغم من أن عادات مالارمييه العقلية كان من الممكن أن تقويه للبحث عن تعابير فلسي للافكار التي كانت جزءاً جوهرياً من وجوده الخاص ، فإنه كان يستطاعه أن يصل إليها حتى بدون تأثير فكري خاص ليرشده . إن السلسلة التي تضم (الحياة - الموت - البعث) ، مع التناقضات التي تتضمنها ، هي سلسلة مألوفة لدى معظم أنماط التفكير الديني ، وكان تحقيقها على مستوى الوعي ، من الناحية التقليدية ، جزءاً من طقوس الصوفية الناهضة . وعلاوة على ذلك ، فإن هذه السلسلة متفقة مع نغمات الطبيعة من شروق والى غروب الشمس والقمر وحتى التحولات السريعة جداً للفعل الجنسي .

وقد كان هناك أيضاً المناخ الأدبي : فقبول مالارمييه بالظلم كان جرياً على تقليد جيلين من الشعراء الرومانسيين . وحتى تسليمه بأن للخيال القيمة العليا ، فإنه مستمد بشكل جلي من تعلقه بالتأكيد الرومانتي بخصوص فعالية التجربة الذاتية . وبالنسبة لمالارمييه ، لم يعد وعي الشاعر يعكس الواقع التغير حوله ، ولكنه يخلق واقعاً جديداً ، وبفعله هذا يثبت ذلك إلى الأبد . وبهذا المعنى ، فقد تبني وجهة النظر

□ ستيفان ما لارمييه □

الرومانسية للحياة الى نهايتها المنطقية ، ولكن بمعنى آخر ، فان انجازه كان من الطرف المعاكس من الحركة الرومانسية . وبعيدا عن ذلك ، هناك في عالم مالارمييه انسىاب للواقع يقوم مقام قسيمة في حد ذاتها ، فوعي الشاعر الخاص يعود وينبعث من جديد . انه الواقع الحقيقي الوحيد الممكن الذي يوسعه ان يعرفه ، وخلقه لخيال يكون الفایة الوحيدة التي بامكان المعرفة ان تخدمه . وهناك ، لهذا السبب ، لا يوجد اي صراع بين الحياة والفن . وتماما مثلما كانت كتابة الرواية بالنسبة (لبروت) تعني التحرر من قبضة الزمن ، فان القصائد بالنسبة لمالارمييه كانت الصدق الوحيد المستمد من المطلق والذي بدونه كان هو نفسه سيتردى في الهوة التي حدق في أعماقها فيما مضى برعشديد .

«**الشعر هو التعبير ، بوساطة لغة انسانية ادت الى نفمتها الاساسية ، تعبير عن الاحساس الفامض تلوجود ، وهكذا فالشعر يمنع اقامتنا على الارض أصلة ويولنه المهمة الروحية الوحيدة**» .

فعند هذه النقطة ، يصبح الادب وسيلة – الوسيلة الوحيدة – للخلاص ، وخيالا مساويا للحياة .

* * *

ان علاقة مالارمييه بعمله الادبي الخاص تظهر الحاجة الماسة الى اسطورة تبريرية ، وهي شائعة بالنسبة لعدد من شعراء فرنسا في القرن التاسع عشر بدءا من التركيب الفلسفی الجامد (لو كنت دوليل) وحتى (correspondances) (تطابقات) بودلير ، واستعانة رامبو بالقوى السحرية للغة . وكان جوابه عن السؤال (ما الفائدة من الشعر ؟) تأكيدا على ان الشعر وحده هو الذي يملك نفعا او معنى ، وتخيله عن انهيار المفهوم الروماني الاصلي للشاعر على اساس انه «**مشروع للبشرية**

غير معترف به » كان أكثر راديكالية وأكثر منطقية من ذلك لدى اتباعه . وان مخاطر وقوع وجهة النظر هذه ضمن نوع من السحر يمكن تتبعها في حالة رامبو ، الذي يبدو صنمته المفاجيء وكأنه انهيار الإيمان بأسطورة ابداعه الخاص .

لم يتم الفراق أبداً بين عقل مالارميه وغريزته الشعرية بهذه الطريقة ، ولكنه كان على الدوام يريح نفسه من عناء الأزمة التي مرت به . والتسلسل الوارد في كلمات مثل : الحياة - الموت - البعث - الضوء - الظلام - إعادة الولادة - الضوء - اللعنة - العقم - والخلق .. يظهر في نسق معقد عبر الكثير من شعره . ففي السوناته الشهيرة (اليوم الجميل ، الحي ، والبكر ...) مثلاً ، نجد أن محنة البجعة المتجمدة في الجيد نتيجة حقيقة أن المحنة لم تكن من صنع مالارميه . وكما يقال ، فقد طال به العمر ، وعقوبة الجدب والعقم قد لحقت به . وتحدم صور الضياء التي تتکاثر في القصيدة فقط الى تحديد وجود مثال ، كما هو حاصل في قصيدة (الشفق) ، لا يمكن الارتفاع اليه بواسطة الطائر السجين وتعذيبه . ومع ذلك ، فهناك تلميح في عبارة « منفى لانفع منه » أنه كان عليه اختيار ذلك المنفى ليجد له ملذاً . وفي السوناته بـ « اظافرها التقية ترفع عقيقها عالياً » التي كتبها خلال سنوات الازمة نجد السلسلة المذكورة أعلاه كاملة الحضور . ومن غرفة مظلمة يسكنها العقم والفياب يولد شعاع من ضوء يظهر نفسه كمجموعة من النجوم ويمكن التعرف عليه بسهولة مع النجوم المذكورة في « رمية زهر . » .

ان نفس ميلاد الضياء الجديد في غرفة مظلمة يرى في سوناته « هل يصدر الدخان عن كل كبرىاء في المساء ! » وهي الاولى من ثلاث سونيات تعامل مع أفكار تتعلق بوفرة الانتاج والعقم . والسوناته الثانية «ناهضا

□ سيفان ما لارميء □

من بين القاع والفوهة» تمثل رفضا متصلبا (كما حدث مع البجعة) للانتقال عبر الموت الى بعث خلاق . فأنية الزهر لن « تلفظ » وردة وتلقى بها الى الظلال ، وان اختيار الكلمة الغامضة (يتوفى) (expirer) مع النغمات التوافقية للموت تحدد الارتباط باسطورة مالارميه الرئيسية . وفي السوناتة الاخيرة « قطعة دانتيل تختفي ... » نجد ان الحركة اكثر تعقيدا . فالستائر التي تتحرك الى الامام والخلف كأشباح تشير الى وجود عقم ونشاط غير هادف ، ولكن ، في عالم النوم (الذي هو ايضا عالم الموت) ، تقوم عملية عكس الا دور الخلاقة بالاستعداد ، وترمز لها آلة موسيقية تود ان تكون عملية البعث على شاكتها . وهنا يكون اختيار عالم الاحلام الطوعي كرفض آنية الزهر في القصيدة السابقة . واذا ما أخذنا السونيتات الثلاث معا ، فإنها تشكل سلسلة متتالية حيث التوهج حديث الولادة في السوناتة الاولى تواجهه النهاية المسببة للاجهاض في الثانية ، فقط كي تجد كمالها في الوفرة الموعودة في الابيات الاخيرة من السوناتة الثالثة .

وكما يمكن أن يتوقع ، فان الاتجاه نحو اعادة عملية الولادة الخلاقة غالبا ما يرتبط من قبل مالارميه بالافكار الجنسية . ففي « بنجاح هربت من الانتحار الجميل » يأتي الوهج في الغرفة الفارقة في الظلام من انعكاسه على شعر امرأة ، بينما في قصيدة « الشعر » ، يقترن الشعر بالشمس التي تغرب ، وأخيرا يتخد حياة جديدة ، مثل « مشعل يضج بالفرح ويقوم بالحراسة ... » .

والشخصية المميزة للعميان تتأكد بكونها مرتبطة بالضوء الذي يسطبع في نهاية القصيدة ويناسب من الشعر و مدحه . « هي ، التي لا تحرك نجما ولا نارا فوق أصابعها ... » .

ويتبين أن نذكر أنه في السوناته « اي حرير مع بضم الزمن ..» يبدو شعر الرأس في المقطع الثاني وقد تحول إلى نمط ذي مغزى وأكثر جنسية حالما يصل إلى الأبيات الثلاثة الأخيرة . وفي نهاية «آلة القطعان ..» - وهي قصيدة من انتاج مبكر نسبيا - نجد هذا البيت : « ايها الأزواج : دعاء ، إبني ذاهب لأرى الظل الذي أصبحته » الذي يقترح أن الطريقة الوحيدة من أجل آلة الحقول والقطعان كي يتغلب على العوائق الغامضة حتى اتمام العملية الجنسية التي تلمح القصيدة لها ، هذه الطريقة هي أن يدخل طوعيا داخل الظلام من العجز الجنسي الكسول لضوء الشمس الواهن الذي طارد فيه حلمه اليقظ . ونجد في شعر مالارمييه الصورة التقليدية للفعل الجنسي كموت ، وهي مرتبطة باللب القابع في مركز أسطورة الخلق لدى الشاعر (١) .

ولكن ، اذا كان لازمة ١٨٦٦ وتصميمها على الدوام ان تعود وتنشط في الافكار المتكررة وفي صور شعر مالارمييه ، بالرغم من حقيقة أن كثيرا من قصائده ، بمعنى ما ، تعد « شعر مناسبات » ، فان تأثيرها العام القاطع كان يهدف الى تقديم تبرير فلسفى لاعتقاد غريزي فيما كان فاليري قد دعاه «الوقار الدائم للشعر ، الذي لم يخلقه سوى المصادفة» وهذا صحيح ، لأن التنظيم البائس الذي قدمه الشاعر للكون لم يلغ الصدفة ولكنه خلق على الأقل شيئاً أبعد من متناوله . وهي كوكبة نجوم « رمية زهر » وفي وقت مبكر ، كان مالارمييه قد كتب الى فرانسوا كوبيه : « لاتمس المصادفة بيتأ واحدا من الشعر ، وهذا هو الشيء الرائع ..» ولا يمكن الفاء الصدفة برمية من نرد ، بعيدا عن كل التعديلات

(١) هناك شيء الكثير حول صور مالارمييه أكثر مما يمكن أن يقال هنا . والصور التي يستخدمها وارتباطات بعضها بعض ينافقها المستتر . ديشارد بشكل واسع .

□ ستيفان ما لارمييه □

المحتملة للغة ، تلك التي تخلق قصيدة ، وكذلك فإنها لا تستطيع التأثير أيضا على العمل الفني بعد أن يتم خلقه ويبقى خارج سلطة الصدفة .

ان الإيمان الراسخ بالشعر الذي قاد مالارمييه الى اعتباره (*raison d'être*) سبب الوجود بالنسبة للإنسان جره أيضا ليشارك بالطموح ، الذي كان معروفا جدا في فرنسا إبان القرن التاسع عشر ، المنصب نحو انجاز عمل يتضمن جميع الفنون الأخرى . ان التفوق الواضح للشعر من وجهة نظر مالارمييه اعطى الشعر الحق باستخدام الفنون الأخرى كخدم له . ومثل هذه الفرضية التي توحد الفنون كان على مالارمييه أن يجد لها لدى الموسيقار فاجنر^(٧) ، ولكنه لم يقع في الخطأ الذي وقع فيه أتباع المدرسة الرمزية من أجل المساواة بين الشعر والموسيقى وقد جهز نفسه للكتابة الى رينيه جيل :

« سوف أوجه لك اللوم لشيء واحد فقط : وهو أنك في هذا العمل العادل للاسترداد ، الذي يجب أن يكون لنا ، استرداد كل شيء من الموسيقى قد سمحت لمبدأ البيت القديم للشعر أن يختفي بعض الشيء »

وقد بقي المظهر المطبعي الجميل الذي يلفت النظر والتأثير السيمفوني الوعي (لرمية الزهر) كدرجات على طريق الوحدة الاكثر شمولا بين الفنون ، وقد أمعن مالارمييه الفكر من أجل دمج كل الكتب في كتاب واحد الذي سيكون « العمل ، العمل العظيم ، كما اعتاد اسلافنا

(٧) يشير المؤلف هنا الى الفكرة التي ابتدعها وحاول تطبيقها في معظم أعماله الاوبرالية الموسيقار العظيم (ريتشارد فاجنر) ١٨١٣ - ١٨٨٣ ، ويعرف هذا التعبير بالألمانية GESAMTKUNSTWERK اي (عمل الفن الذي يوحد كل الفنون) .
(الترجم)

□ سيفان ما لارميء □

الكيميائيون أن يقولوا . » وبما أن الشعر قدم شرحاً كافياً عن العالم ، فسيكون من المناسب أن تكون العبارة الوحيدة عن الحياة البشرية ، تلك العبارة الممكن صياغتها ، ظاهرة في مجلد واحد . وهذا الكتاب وضعه مالاربيه في الملاحظات التي دونها من أجل ذلك وفي مكان آخر :

« اعتقاد ان الادب ، الذي يؤخذ من مصدره انتدي هو الفن والعلم، سوف يقدم لنا مسرحاً ستكون عروضه اتشكل اتحقيقي العصري للعبادة، كتاباً سوف يكون توضيحاً للانسان كافياً من أجل أحلامنا الاكثر جمالاً »

فالعمل سيكون في الحال كتاباً وتلاوة (ربما مثل ذلك الوارد في « البيان المتنقل ») ، والذي تفاصيله (ترتيب الصفحات ، الامكانات المادية ، عدد المترجين ، الخ . . .) يتم اخراجها بأدق عناية ، والذي فكرته ، التي تم الاشارة اليها بشكل عابر في الملاحظات ، تستعيد من جديد (اجيتور) او (رمية زهر) . . . ، رجل عجوز يموت جوعاً ويجد في ذلك الموت بداية جديدة .

« الموت بسبب الجوع يعطيه الحق ليولد من جديد » .

وربما لن يكون من المدهش ان مالاربيه تصور الكتب على شكل درامي . فكلا « الله الحيوانات » و « هيروديار » كانتا في الاصل مجهزتين للمسرح ، وهناك خاصية درامية في وجهة نظر مالاربيه للحياة تنعكس في معظم شعره .

ولكن الكتاب الذي كان سيجد بشكل هائل الدراما الاسطورية التي شففت تفكير مالاربيه بالكاد أن بدأ التحضير له ، وقد كان في موقف الشاعر الخاص تجاه هذا العمل نوع من التردد ، واعتراف بالنوعية الافتراضية لتراثيه العقلية المتزايدة في علوها . « إن كل اعجبابي منصب نحو

المجوسي (Mage) العظيم ، الذي لا يعزّأ له وهو باحث عنيد وراء غموض سر لا يعرف أنه يوجد أصلاً والذي سيتابع الجري وراءه ، إلى الأبد لذلك السبب ، مع حزن دائم يأسه الشفاف ، لأنّه بذلك سيكون هو الحقيقة

وربما كانت تلك حالة محاولة مالارمييه للتغلب على أزمته النفسية الخاصة مما جعله يتصرف كما لو أن بعض الأمور كانت صحيحة ، ومن وقت لآخر ، فإنه يصبح مدركاً مثل هذا العمل . وكان على الشعر في القرن التاسع عشر ، قضية رئيسية ، أن يقوم بخلق أسطورة ، ولكن ، بالنسبة للشعراء ، كانت النتيجة جهداً يهشم عملهم أو يترك ذلك العمل ناقصاً . وما لارمييه ، بالرغم من كل عظمته ، لم يستطع أن ينجو تماماً من رباط القيود المفروضة على جيله . وإذا كان الخلق الشعري بالنسبة له إعادة الولادة الوحيدة التي كانت الإنسانية قادرة عليها ، فقد كان أيضاً تاجاً محاولة متعمدة ليترك وراءه حياة « حقيقة » غير مرتبطة بالموت ، وبقيت في الوقت نفسه عقوبة هذا التلاقي : تردد أمام العمل الابداعي المتضمن فشلاً مبدئياً لتحقيق وحي الشاعر في هذا الجانب من الظلام .

لقد كان هناك تردد مشابه في وجهة نظر مالارمييه حول وسائل التعبير المناسبة لـ « السر » الذي كان يبحث عنه . لقد كان يهدف إلى وصف شيء ما ، معتم فقط داخل التجربة الإنسانية ، نوع من التعميم الذي يمكن أن تعزى له قيمة مطلقة . ولذلك ، فإن شعره غالباً ما ينتقل من العام إلى الخاص ، بخلاف شعر الشعراء الآخرين حيث ينشأ التجريد من الخبرة المباشرة . ومع مالارمييه ، قد ينشأ احساس لدى المرء بأن الخبرة هي التي تقوم بالتنظيم – وغالباً ما يتم ذلك اعتباطاً – بالنظر إلى روياً شديدة تكمن في مستوى الواقع الرفيع :

« أقول : زهرة ! ومن النسيان ، حيث يختفي صوتي وراء أي محيط ، وبغير ما هو شيء آخر غير كأس الزهرة ، تنشأ بشكل موسقي ، كفكرة في حد ذاتها واربع ، الواحدة الفائبة من كل باقات الزهر . ».

ولكن مثل وجهة النظر اللغوية هذه كتعبير مباشر عن شيء ما تقترب من الأفكار الأفلاطونية والتي لا يمكن الاحتفاظ بها من الناحية العملية ، وفي قصيدة (نشر من أجل إيسانيت) تلمح اقتراحاً يشير إلى أن التجريد الملتهب الذي رغب مالارميه في ايجاده بالكلمات ، يمكن الوصول إليه بطريقة غير مباشرة فقط . وتقدم عبارة « زهرة سيف الفراب الكبير جداً » في المقطع الأخير تعليقاً نقدياً حول المقطع المقتبس أعلاه . وبطريقة هامة ذات مغزى ، فإن مثل هذه الزهرة تنبت فوق قبر منقوش عليه اسم (بولشيري) ^(٨) :

الجمال . وهنا نجد أنفسنا من جديد في حضرة مثال مالارمي لا يمكن تحقيقه إلا وراء حدود القبر . ولنست اللغة فقط ، بل أيضاً شهرة الشعراء ، التي تحصل على خاصيتها المجردة الكاملة بعد أن تكون قد عبرت « جنولاً ضحلاً سيء السمعة ، الموت . » ومن وراء تلك الحدود يمكن للأسلوب أن يصبح كامل التجريد ، ويصبح الشاعر نفسه « غير شخصي » ، أو ، كما قال مالارميه : « مقدرة يملكها الكون الروحي من أجل رؤية نفسه وكيف يتطور عبر ما كنته أنا نفسي . » .

ومع ذلك ، فأسلوبه ليس غامضاً كما كان يعتقد بعض معاصريه ، أو كما كانت تظهره طبيعة المادة / الموضوع الصعب بشكل أصيل . فهو

(٨) (Pulchérie) القديسة بولشيري ، ولدت في القسطنطينية (٤٥٣-٣٩٩) ، وهي ابنة إيماديوس ، تزوجت من هارسيان ، وكانت شاركة الحكم . عيدها في ١٠ أيلول . (المترجم)

□ ستيفان مالارميه □

نفسه قد انكر بشدة أن يكون أسلوبه غامضاً ، بينما يعترف بأنه طلب من قرائه :

« اذا اطعتم دعوة ذلك الفضاء الآيض الواسع المتبقى بشكل متعمد في أعلى الصفحة كما لو انه يدل على انفصال عن شيء ما ، عن اي شيء ما ، عن اي شيء قرأ من قبل في مكان ما ، واذا وصلتكم بروح جديدة وظاهرة ، حينئذ سوف تفهمون انني اقدم بعمق وبدققة القواعد ، وان كتابتي خالية من الفموض ، وأن جملتي هي ماينبغي ان تكون وان تكون الى الأبد »

ولكن أسلوبه مرّ عبر تطور طويل قبل ان يصل الى الكمال المعقّد للقصائد التي تنهي كتابه المعروف باسم « اشعار ». ففي قصيدة أولى مثل « الشفق » نرى ان تأثير بودلير مايزال موجوداً ، ليس في مجال الفكر فقط ، ولكن ايضاً في الابيات البطيئة والشديدة ، وفي التقدم المستمر والمتأنى للصور الشعرية . فقصيدة « المهرج الذي تلقى عقابه » ، التي تحوي في شكلها الاخير كثيراً من الاضافات وتحريفات قواعد اللغة المرتبطة بطبيعة اسلوب مالارميه ، كانت في البداية شكلاً مباشراً ومستقيماً في مدلولها ، ولم تكن قصيدة اصلية حيث يمتزج فيها تأثير بودلير وشعراء البرنامج . ولم تبدأ المزايا الخاصة الاكثر التصاقاً بأسلوب مالارميه بالظهور حتى قصائد مثل :

(نسيم البحر العليل) و (هدية القصيدة) . وهناك تراكيم الصور الشعرية المتعلقة بصورة تخيلية لكل قصيدة على حدة بالإضافة الى كونها من الناحية اللغوية مرتبطة بموضوع القصيدة ، (ففي قصيدة « نسيم البحر العليل » يدل البياض الموجود في الصفحة على حبيب الزوجة الشابة التي ترضع طفلها ، وفي قصيدة « هدية القصيدة » ، يسترجع صوت

المرأة نفم الفيولا « ضرب من الكمان » ولا يفعل الصوت ذلك لأنه مجرد موسيقى ، بل لأن تلك الآلة ، مثل آلة المندور « آلة تشبه العود » التي يذكرها مالارمييه فيما بعد ، رمز للولادة عبر شكلها الخاص نفسه . وهنا تصبح الصورة الشعرية متعددة القيم والمعاني بطبعيتها الخاصة وكذلك بسبب مكانتها في القصيدة . وفيما بعد ، اندمجت الصورة الشعرية الفردية بشكل عميق داخل القصيدة ذاتها . وفي « قطعة دانتيل تختفي » تصبح آلة المندور أكثر من رمز للولادة وتزيد عن كونها آلة موسيقية ، ويقاد يختفي عملها الأصلي كأداة لخلق الموسيقى .

وفي الادراك البطيء لامكانات اللغة والقواعد التي تحاد تطور أسلوب مالارمييه ، فان قصيدة « آلة الحيوانات » لها مكانة خاصة في كونها شكلا دراميا وفي محاولتها لتمثيل عالم نصف مستيقظ يستمح للشاعر بأن يخفي حداثة ما يحاول القيام به وذلك بوساطة الایمان بواقعية تأثيرية . ومن جديد، أصبحت القصيدة معقدة بشكل متزايد في تفاسيرها المتعاقبة ، وحتى في شكلها النهائي نجد أن العبارات التي تتردد على فترات طويلة تستقل بشكل تام حتى تصير تعبيرا عن الحركة البطيئة للرغبة الحسية . وكان باستطاعة مالارمييه أن يحكم على سرعة تطور شعره بشكل تام ، ونفس الحالة التي انتشرت في القصيدة المذكورة أعلاه ، تعود لتظهر من جديد في صفحة ما كما في الأبيات الستة الأخيرة من « بانتصار هرب الانتحار الجميل » ولكن بتباوط النغم فيها . أما كيف استطاع مالارمييه السيطرة على العبارة الشعرية الطويلة بشكل حسن ، فان ذلك يمكن رؤيته ايضا في « النخب الحزين » ، حيث عظمة النغمة ونبالتها ليست بدون تأكيد بلاغي ما ، وتعيد للذهن بشكل جلي القصيدة الرائعة التي كانت تدور حول موت « جوتييه » : وهي مرثية فيكتور هوجو .

□ ستيفان ما لارمييه □

وفي الحقيقة ، كان الجزء الكبير من شعر مالارمييه شعر مناسبات ، حيث أن سببه المباشر كان حادثة ما يمكن الاستفادة منها : مثلا ، الرغبة في تقديم الاحترام لذكرى شاعر ميت أو نظم قصيدة حول مروحة ابنته . ولكن الفائدة التي استمدتها من هذه الفرص والمناسبات يمكن رؤيتها في كتابه « إجلال وقبور » حيث الحاله السائد في « النخب الحزين » تصبح أكثر دقة وذات متانة في حبكتها وسبكها . وفي أسلوبه الكامل ، نجد أن كل سطر منه محسو على حدة ، والصور الشعرية مصطفة ومرتبطة بشبكة من الامور الفامضة التي تسمح لتلك الصور بتغيير اشكالها أمام عين القاريء .

ان قراءة قصيدة من قصائد مالارمييه الاخيرة تشبه مراقبة تتبع الاوضاء المتحركة والالوان المتتالية التي تظهر وهي تتغير من لحظة لآخرى ، بينما يبقى النمط المميز لتلك الاشكال شيئا واحدا ثابتا . ان الاربط الحاصل بين الكلمات المتنافرة ، واللغة التي تبدو وكأنها تشير الى جهة ما وفي النهاية تقود الى جهة معايرة ، وكذلك وجود نوع من الذكاء الحاد في اختيار الكلمات . كل هذه الملامح في أسلوبه تعطي للقصيدة ، من أمثال Prose (Pour des Esseintes) (نثر من أجل انسانيت) (٩) ، سرعة تسبب للقاريء الاصابة بالدوار والتي يمكن ان تحدث في القاريء أيضا تأثيرا مرهقا حتى في حدود الجسم ، بينما الصور الشعرية تطور كل احتمالاتها المتقلبة الالوان .

(٩) اسم شخصية في رواية هويسمان (A Rebours) (بالعكس) حيث يود أن يعيش حياة نقية في الفن ، وتعد هذه القصيدة من القصائد الفامضة جداً لمالارمييه .
(المترجم)

ومثل هذا الشكل المركز للكتابة لابد أن يقدم الصعوبات في فهمه، ولكن هذه القصائد الأخيرة يمكن اعتبارها بدقة بعضا من اعظم انجازات مالارمييه حيث المهارة المبهرة للاسلوب قد وضعت في خدمة عنف المشاعر والاحاسيس وحدة الذهن ، ومثل هذه الامور نادرة جدا حتى في الفترة الفنية بالشعر كما في فرنسا القرن التاسع عشر .

* * *

نماذج من شعر ستيفن مالارمييه

ملاحظة :

لقد سمعنا كثيرا باسم هذا الشاعر الصعب ، بل وقرأنا عنه بما فيه الكفاية ، ولكن المحاولات الجادة ، التي لا استطيع حصرها بهذه العجلة، التي حاولت تقديم شعره نفسه الى القراء العرب قد اصطدمت بصعوبته وغموضه بل وتقرع تعبيره – واغراقه في الرمزية . وما هذه المحاولة البسيطة هنا لتقديم « عينة » من نصوصه الشعرية « السهلة » الا خطوة لابد منها ليتجروا على ترجمة شعره كاملا – او قصائد كاملة على الاقل – من يجد في نفسه المقدرة والرغبة معا للقيام بذلك .

لقد اعتمدت اعتمادا شبه كلي على الترجمة الانكليزية المرافقة للنص الفرنسي الاصلی ، واستأنست – بما يسمح به المامي باللغة الفرنسية – بهذا النص .

إنه شاعر متعب فعلا عندما نصطدم بنصوصه الشعرية مباشرة . وكما وصفه (هوجو فريدریش) ، الذي ترجم كتابه الدكتور عبد الغفار مكاوي باسم « ثورة الشعر الحديث » ، بأنه شعر « يوحى ولا يفهم » .

« المترجم »

(Le Chateau De L'espérance)

قلعة الأمل

شعرك الشاحب يتموج
وسط عطر جلنك
مثل راية بيضاء مرحمة ،
يشع حريراً أصفر في الشمس

قلبي ، وقد تعب من عزف لحن
بالدموع فوق طبل ،
ينكر ماضيه ، ويستعد للهجوم
يحل ضفائرك في الماء ،

ويتسلق - او يتدرج بشمالة
في مستنقعات الدم -
كي يغرس هذه الراية الذهبية الندية
فوق تلك القلعة النحاسية المظلمة

حيث ينتصب الأمل فاتر الهمة
ويبتعد عن جادة الصواب ،
ويبرز الليل البهيم
مثل قطة سوداء بدون
نجم شاحب ينطلق الى الامام .

(Salut) النخب

لاشيء ، هذه الرغوة ، قصيدة عنراء
معدة فقط لوصف القدح ،
تندفع بعيداً مع شلة من حوريات البحر
ورؤوس تلك الحوريات إلى الأسفل .

إننا نبحر ، يا أصدقائي الكثير
وأنا فوق مؤخرة السفينة
وأنتم مثل القيدوم الفخم
تقطعون موج الرعد والشتاء .

ثماله لذينة تجبرني
حتى بدون الخوف من سورتها
كي يبقى هنا النخب مشرعا

العزلة والصخور الخطرة والنجم
او مهما يكن -

مما يستحق اهتمام شراعنا الأبيض .

* * *

(Renouveau) تجدد

الربيع الشاحب قد أخفى بحزن
الشتاء ، فصل انفن الهادئ ، الشتاء الشفاف
ومن خلال كينونتي ، راقبت بدمي الكثيب
حيث الضعف يتمطى بتشاؤب طويل .
شفق أبيض دافئ تحت ججمتي
المكبلة بقيد حديدي مثل قبر عتيق ،

وبحزن أتجول وراء حلم جميل غامض
عبر حقول هائلة حيث النسخ يتباهى بناهه .
ثم أسقط ، وأعصابي تبلغ مداها مع رائحة الأشجار
متعبا ، وافتتح بوجهي قبرا لاحلامي ،
اعض بناجذبي الأرض حيث ينمو الليلك ،
وانتظر ، وقد قيدت ، كي يظهر سئمي للعيان
بينما يضحك الازرق الألزوردي فوق العافية
وتستيقظ طيور عديدة مزدهية ترفرف في الشمس .

* * *

لوعة (Angoisse)

لست قادما هنا المساء لاغزو جسدك ، أيها الوحش
حيث تنفر فيه خطايا الناس ،
ولا لأحفر في شعرك الملوث عاصفة حزن
اضفيه على السام الذي لا شفاء منه
الذي تحده قبلي .

كل ما اطلبه من سريرك ، نوما خاليا من الاحلام
يتارجح تحت ستائر الندم المنسيه
نوما قد تتلوقه بعد كذبك الاسود ،
انت يا من تعرف عن العدم اكثر مما يعرفه الموتى ،
لان الخطيئة ، وهي تلتهم نبلي الاصلبي ،
قد دفعتني كما فعلت بك بقممها ،
بينما ما يزال ثديك الحجري جاثما
بقلب لم ينهشه ناب آية جريمة .

إني أهرب ، شاحب الوجه ، أشعث الشعر
وقد احتواني كفني ، خشية
الموت وإنما استلقي وحيداً .

* * *

(Brise Marine) نسيم البحر

إن الجسد لحزين ، وآسفاً ، وقد قرات كل الكتب .
لكي أهرب ، أهرب بعيداً !
أشعر وكان الطيور ثملي لكونها
بين زبد مجھول والسماء !
لا شيء - بلا حدائق قديمة تتعكس في العيون -
سيكبح هذا القلب من أن يتلاشى في البحر .
آه ، أيتها الليالي ! ولا انعكاس مصباحي
فوق صفحة الورق الفارغة .
يدافع عنها بياضها ذاته ،
ولا الزوجة الشابة تعقم ولیدها .

سوف أغادر ، أيتها الباخرة ذات الصواري المترنحة
أرفقي مرساتك لتنطلق نحو مناظر خيالية !

سام ، أحزنته آمال قاسية
ما يزال يؤمن بالوداع الأخير المنبعث عن المناديل الملوحة !
وربما تكون الصواري داعية للعواصف ،
بين تلك الحطام التي ضاعت ،
بدون صوار ، بدون صوار أو أراض خصبة ..
ولكن ، آه ، ياقلبي ، فلتتصفح لاغاني الحياة !

(Eventail) مروحة

ورود متجمدة لكي تعيش
كلها متشابهة ، سوف تقاطع عبير الازهار
بكأس الزهرة ولفافتها الخارجية
عندما تصبح صفيعا .

ولكن ، اذا ما استطاعت ضربتي ان تحرر
الباقية بوساطة صدمة عميقة
هذه البرودة سوف تنتصر
وتتحول الى ضحكة تفتح ازهار ثملي .

ولكي تفتت السماء قطعا قطعا
عليك ان تشاهد ان مروحة جيدة
لها نفع اكثر من نفع القارورة .
ولا احد يفلقها بسذادة
بدون ان يفقد او ينتهك حرمة
(Méry) الرائحة التي تبعث من (ميري)

* * *

(Le Cantonnier) مصلح الطريق

إنك تسدي هذه الحجارة
ولانني مفن جوال ،
فانا ايضا
علي أن افتح مكعبا من الادمغة كل يوم .

* * *

□ سيفان ما لا ميسه □

قبر ادجار بو (Le Tombeau D'Edgar Poe)

كما كان في قرارة نفسه ، غيرته الابدية أخيرا
والشاعر بسيف عار يوقف
زمانه ، وقد خشي الا يعرف
ان الموت هو المنتصر في ذلك الصوت الغريب !

وهم ، مثل هيئرا متعددة الرؤوس
تستيقظ فجأة بازدراء لدى سماع الملائكة القديم
يذهب معنى أكثر نقاء لكلمات القبيلة ،
يعطون بصوت عال عن السحر الذي ابتلع
داخل الموجة الملوثة لمزيج ما داكن اللون .

الارض المعادية والفيوم ، يا حزن !
إن لم تنشق نقشا ضئيل البروز معهم
من أجل تزيين قبر بو المبهر للنظر ،
كتلة حجرية هادئة هنا وقد سقطت على الارض
من كارثة مختبئة ،
ترك هنا الجرانيت يظهر على الاقل
والى الابد حدوده لطيران الانجان المظلمة
وقد تبصّرت في المستقبل .

* * *

□ ستيفان ما لارمييه □

(Le Tombeau De Charles Baudelaire) قبر شارلز بودلير

المعبد المدفون ينشر بوساطة الفتحة المقبرية ،
الوحل الملوث والياقوت ،
وبشكل مقين وثن الإله الزائف ،
والفكان ملتهبان مثل وعاء بري ،
او عندما يحرف الغاز الحديث
الفتيلية النابلة ، التي كما نعرف ،
تكتسح الاهانات التي قاسيناها طويلا ،
وبهله تشعل عظم العانة غير الخالد
الذى يتحرك بطريقه مثلما المصباح .
اية اوراق ، وقد جفت في مدن بدون مساء ،
مقدمة كرغبة ، يمكنها ايضا ان تبارك ،
وقد جلست بنفسها عبشا على رخام بودلير ،
غائبة ومرتجفة من الوشاح الذي يطوقها كحزام
وهي ، ظله الظليل ، كالسم الحارس ،
ينبغي دوما ان يستنشق
مع انتا نموت بسببه .

* * *

L'Aprés - Midi D'un Faune
Eclogue

كم أرحب في تخليد هذه الحوريات .
ضوؤها البراق جداً لحمها الوردي
حتى أنها تحوم في الهواء وقد نعست
بسبات ذي خصل .
هل وقعت في هوى حلم ؟
شكى ، كتلة من الليل القديم ،
تنتهي بفرع رائع ، والذي
يبقى كالغابات الحقيقية نفسها ،
يشبت ، ويا للأسف ! ابني
الوحيد الذي عرضت نفسي
كخطا مثالي للورود
بدلاً من الانتصار . دعنا نتفكر ...
او اذا كانت المرأة التي تخبر عنها
تمثل رغبة من رغبات حواسك الخرافية !
إله القطعان ، وهم ينساب مثل نبع بالك
من العيون الزرقاء الباردة
للاكثر طهراً :
ولكن الاخرى كلها تنهدات ،
هل تستطيع ان تقول بانها تتعارض مثل النسيم النهاري

وقد ازداد دفنا على جزتك الصوفية ؟
كلا !

عبر الخدار الكسول الذي لا حرراك فيه
وقد خنق بالحرارة الصباح البارد
اذا ما ناضل ،

هناك لا يندم ماء ولا ينسكب
من الغلوت الذي أعزف عليه فوق الآيكة
وقد تزين بالنغم العنبر :
والريح الوحيدة ، سريعة في خروجها من
بين القصبتين ،

قبل أن تبعثر الصوت في مطر مسفوغ بالحرارة
تلك الريح ، فوق الأفق بدون تعصبات
هي النفس الواضح الهادي والاصطناعي
لولي عائذ إلى السماء .

آه ، أيتها الشيطان الصقيلية لبركة هادئة
تفوض فيها كبرياتي وخيلاني ،
تنافس مع الشمس ،
صامتة تحت ازهار ذات ضوء متلالي ،
فلتخبri :

« أني كنت اقطع القصب الفارغ وقد أخضعته الموهبة ، عندما
يتموج بياض حيواني حتى يرتاح فوق خضراء مذهبة بعيدة الغور التي
تعرض كرمة عنها إلى الجبال : »

وأنه عند الافتتاحية البطيئة لهذه المزامير مجموعة البجع هذه ،
كلا ! ،

مجموعات الحوريات التي تهرب أو تفوص

بلا حراك ، كل شيء يشتعل في الساعة ذات السمرة المصغرة .
بدون أن يبدي بأي فن تسربت معا هذه الأعداد الكبيرة من الترتيلات
وقد رغب فيها ذاك الذي يبحث عن الطبيعة :

حينئذ ، سوف استيقظ لدى التوهج الأول ،
منتصبا ووحيدا ، تحت طوفان ضوء عتيق ،
زنابق ماء ! وكلكم اهديتם للسداقة .

أيتها الحوريات ، دعونا نفتخر ببعض الذكريات المختلفة مرة أخرى:

« عيني ، تخترق دفل القصب تلمس كل عنق خالد
يدفن لهيبه في الموج مع صرخة غضب
نحو سماء الغابة ،

وهمّام الشعر الفخم يختفي في الضوء والرعشة ،
آه ، أيتها الحجارة الثمينة !

إنني أحلق ، بينما عند أقدمي تتلاقي
(وقد أرهقتها الكسل تكونها ذات قمع الثنائية)

فتيات نائمات وحيدات انزعهن الخطيرة ،
احملهن وابعدهن بدون فصلهن ،
واطير إلى هذه الضفة ،

وقد كسبت عداوة الظل اللعوب ،

والورود تجفف كل عطر في الشمس ،
حيث تشبه رياضتنا اليوم المنصرم .
اعبك ، يا غضب الغناء ،
آه ، ايتها البهجة المتوحشة للحمل العاري المقدس
ينزلق بعيداً كي يهرب من شفتي المتنبهة
التي ، ترتجف كالبرق ، ترشف الرعب السري للجسد :
فمن قدمي الجبان الى قلب الخائف ،
وقد تحظت عنه البراءة ،
وقد بللتني النموع المتوحشة او الابخرة الاقل حزنا .
« وبعد فرحي لنقهي هذه المخاوف الخادعة ،
وجريعيتي اني قسمت القبلات البعضرة
التي احتفظت بها الآلهة ممتزجة ،
لأنني اخفيت سراً الفصحك العاطفي
تحت التعرجات السعيدة لفتاة واحدة
(ماسكا بالصفيرة التي تحظت بالسداحة
ولم تحرر خجلا ، بمجرد اصبع
حتى ان بياضها الرئيسي قد تشوّه
حمرة عاطفة اختها وهي تلتهب)
ومن بين ذراعي ، وقد تلحللت برميات غامضة ،
وهذه الضحية غير الشاكرة تحرر نفسها ،
بدون شفقة للدموع التي ما زلت ثملأ بها . »
لائهم ! آخرون سيقودونني

بواسطة خصلات شعرهم المعقودة بأطراف جبهتي :
 كما تعرفين ، يا عاطفتني ، ان الزهري والناضج
 من قبل ، وكل الرمان يتفجر ويتمتم مع النحل ،
 ودمنا ، وقد تيم بكل ما يتمسك به ،
 ينساب مع اندفاع الرغبة الخالدة .

وفي الساعة التي تتلون هذه الغابة فيها بالذهب والرماد يتمجد عبد
 في الأوراق الميتة :

إتنا ! لقد زارت فينوس منحدراتك ،
 وهي تضع كاحلها البريء فوق صمم بركانك ،
 بينما يدوي هجوع حزين يموت فيه اللهيب .
 وانا أمسك بالملكة !
 آه ، أيتها العقوبة المؤكدة ...
 كلما ، ولكن الروح فارغة من الكلام
 وهذا الجسد الثقيل يستسلم لصمت القمر الفخور :
 وبدون ضجة علينا ان نختد للنوم ،
 وقد نسيينا الكفر ، ونستلقى فوق الرمل العطش
 وكما احب أن افتح فمي لنجم الخمرة الفعال !
 ايها الزوج ، وداعا ، إبني ذاهب لزيارة
 الظل الذي تحولان إليه .

* * *

هيرودياد (Hérodiade)

الافتتاحية القديمة (Ouverture Ancienne D'Hérodiade)
لهيرودياد

المربية (تعويذة)

مقضي عليه ، وجناحه المخيف في دموع
البركة الملغاة ، التي تعكس المخاوف ،
ضاربا الفراغ القرمزى للذهب العاري ،
فجر" ، ريش طائر مبشر ،
اختار برجنا القرباني والمدفني ،
قبر" ثقيل هجره طائر جميل ،
نزة الفجر الوحيد بريش
غامق اللون وفارغ
آه ! مقعد أراضٍ حزينة ونخرة !
لا ارتظام للأمواج برفق الصخور !
الماء داكن اللون مذعن ،
لم تعد تتردد عليه البعثة التي لا تنسى :
يعكس الماء خراب الخريف
ويضئ مشعله عليه :
عن البعثة عندما ينغم رأسها
وسط القبر الشاحب أو الريش ،
وقد أحزنه الالماس النقي لنجم ما ،
ولكن بشكل أبكر ولم يتلالاً أبداً .
جريمة ! محرقة جنة ! فجر قديم ! عذاب !
أرجوان سماوي ! بركة ، شريك للأرجوان !

و فوق ألوان الورود ، مفتوحة على مصراعيها هذه النافذة الشعرية
(الشبكية) .

الغرفة الغريبة ذات المشهد المعد
فخمة لعصر يشبب الحرب ،
شكل ذهبي باهت ، كانت فيما مضى
بلون الثلج لصيتها العتيقة ،
ونسيجها المزدان بالصور ، وزجاجها اللؤلؤي كالصدف ،
بطيات لانفع منها مع الأعين المدفونة
للعِّرافات يعرضن أظافرهن القديمة للمجوس .
إحناهن ، بماضي الأغصان فوق ثوابي
وقد أبيض بالعاج نحو السماء
المزданة بالطيور وسط الفضة المظلمة ،
تبعد و كانها تهرب كشبح ذي صورة زائفة ،
رائحة ، آه أيتها الورود ، تحمل من السرير الفارغ
أخفته شمعة مطفأة ، رائحة ذهب بارد
يتلکأ فوق كأس النرور المطر ،
باقة زهر حائنة بقسمها للقمر
(واحدة ما تزال تلقى بتوجاتها على الشمع الميت) ،
حيث أسفها وسيقانها تتبلل بزجاج مفرد
مع بريق باعث على الوهن والتراخي .
فجر يجرء اجنهته في الدموع !

* * *

(Un coup de Dés)

رمية زهر

(Préface)

مقدمة

ابداً

حتى عندما يلقى بظروف خالدة
من أعماق حطام سفينه

فيما إذا

ازدادت

الهوة يypressاً

بموجة متوازية

وعنيفة تحت مقنم

صعوبة هزيمة طير انها

وتقطي الفلال

المدفونة في العمق

بها الوشاح البديل

إلى المركب الرئيسي

متكتنا على جانب او الجانب الآخر

"مينل" يرفرف بياس

باجنحة خاصة به

وقد تراجع باندفاعات يقطع الفغرات

يستأنف بعيدا جداً

داخل الرجفة المعتادة

عمقها فاغر الفم

كثيراً يقترب بين السفينه

ربان السفينة
خارج حسابات عتيبة
تنسى فيها المهارة
احتراق عند قدميه
للافق الجماعي
حيث هناك مصير
والرياح مهددة
الرقم الوحيد الذي يقسم
ويتابع بخبرباء
يتrepid
جثة بقيت منفصلة باعbury جنوبي
الشريك باسم الأمواج
واحد
يغزو الإنسان بدمن سفينة
عيشاً إلى لا مكان
متقللاً بالعمر
وقد نهض
متدخلًا
 أمسك بالقيديوم مرة
موشوم ومحاط مع القبضة
التي ربما تمسك به
لا يمكن أن تكون أخرى

احترس ان تلقي به
داخل العاصفة
وتعيد طية النراع
من السر الذي تتمسك به
اكثر من رأس اشتعل فيه الشيب
يتسلل داخل اللحية الخاصة
يوجه حطام السفينة
كعلاقة قديمة الا يفتح اليد
المطبقة وراء الرأس
الذى لا فائدة منه
وحش ممعن في القلم
قد استمال من بلاد خالية
ظله الطفولي
ربئت ولئع وصيئر
وضاعت العظام بين الألواح الخشبية
وقد ولد من العربية
البحر يحاول فرصة
خطبة زواج
قناع او هامها يندفع قدمًا ثانية
من الأرض الداخلة في البحر

* * *

الامبراطور شاكا العظيم

(ملحمة من الزولو)

شعر: مازيسى كونيني
ترجمة: محمد عدوان

كتب الشاعر مازيسى كونيني هذه الملحمه بلغة الزولو . ثم قام ،
هو نفسه ، بترجمتها الى الانكليزية .

الملحمة عن القائد العظيم شاكا الذي له في نفوس الافارقة ما لقيصر
في نفوس الاوربيين من مكانة . وقد جمع كونيني مادة الملحمه من التراث
الشفوي لشعب الزولو ولم يستطع في البداية طباعتها باللغة الاصلية
طبع النسخة الانكليزية اولا . وبالتالي فنحن نقرأ ملحمة الشعب قبل
ان يتمكن الشعب نفسه من قراءتها بسبب الاحتلال والتمييز العنصري .

الكتاب الاول

النبوءة

يقدم هذا الكتاب ظروف ولادة شاكا . ويتحدث باختصار عن
الاسلاف الذين تشكل مآثرهم التاريخ المجيد الذي يلهمه فيما بعد لبناء
الامبراطورية الزولية . وقد انتقى سلفه الشجاع الرائع جاما كشخصية
محورية تفقد حلم البطل العظيم الذي سيولد . وتواجه هذه الرؤيا عقبات

□ الامبراطور شاكا العظيم □

في أيام الملك المستهتر سينزائفاخونا . فهو لا يرى هذه الفكرة بغرضه وحسب بل انه يحاول ماديا أن يقضي على الطفل شاكا . وهو فظ بشكل خاص مع زوجته الاميرة الآبية ناندي التي تنتمي الى عشيرة لانجيني . غير ان الصوت المتبنيء يلح . وتكشف رمزية الحلم الحوادث التاريخية وبالتالي يتحول الخيال الى واقع . ولم يعد الحال الثاني نبيا يتصور احداثا بعيدة بل صار شارحا لواقع آني . واعادة صياغة الحال في هذا الجزء مفصلة للتأكيد على هذه النقطة .

* * *

أيتها الترنيمة العظيمة ، حطمي بقوتك حدود آفاقنا
وعبي مدى الارض الشاسع بأغانيك الخرافية !
ثم قولي : ان للشعب قوة ، والشعب يمزق حجب الليل
وبقادمه يخط على الارض حياة جديدة .
الكل يهتفون ! لقد وصل المعينون
وراءهم الاسلاف

يهمسون : « مهرجان عظيم سيتكرر مرة بعد اخرى ! »
جيـل بعد جـيل ياتـي إلـى هـنـا ليـلـبـ .
هـا هـم : أجـدادـنا الـأـولـون . أـنـهـم يـبـرـزـون منـ الضـبابـ .
يعـبرـون الـأـرـضـ إلـى لـا مـكـانـ ،
وـهـم يـنـادـون الـأـسـمـ الـذـي يـشـيرـ مـقـدـسيـ لـلـمـهـرـجـانـ .
وـالـكـلـ يـعـيـحـون أـنـهـارـ الـأـصـيلـ الـمـرـتـعـشـةـ !

* * *

بعد أن غطى الليل الارض
ايقظنا من كابوس النسيان
لكي نحكى حكاياتنا .

سترونهم ، اجدادنا في القمر .
سترون مواكبهم الفظيمة وهي تدخل الجبال !
وخلدة تتصاعد ترنيماتهم .
فكيف نستطيع ، عندها ، أن نصمت أمام الشمس المشرقة ؟
يا للعجب ! إننا نستطيع أن نغنى أغاني اجدادنا المقدسة !
بملاحمنا القديمة تحملنا .
الافاعي الفاححة تأتي وتلعق اقدامنا .
ستستعاد كبرياتُنا من جديد ،
وستتجاوب البراري باغانينا !
سنتوجه إلى الشمال ، منبع حياتنا ،
حيث مسقط رأس امتنا يتدلّى مع الفلال الراجفة .
من رحم ناتدي تأتي لغة أسرارهم
مرتعشة على جبين ذلك الذي سيكون عظيماً .
لقد كان السبب نبوءات اجدادنا هذه ، أصفينا ؛
فتتحدثوا إلى آذان الفيلة عن الأيام القادمة .
مثل مالانديلا ، ابن مدلاني من تكوزينكولو ؛
مثل فونغا وماجيما من العصور القديمة ،
الذين كانوا يجتsson ليتحققوا بتحقق عظمتهم في عصرنا .
كانت ذريتهم مصدر تضحياتهم .
وأقسموا : « ستظل سمعة جاما ملتمعة تحت الشمس »
وتبنـا العـرافـون بـعـظـمة بـيـتهـ ،
وبـكلـمـتهمـ الحـاسـمةـ قالـواـ انـأـمـةـ منـالـحـرـابـ الـحـمـراءـ سـتـولـدـ .

* * *

تكلمت العرافة في بيت جاما الملكي وقالت :
« انظروا ! صراع الانهار المتدافعه القاسي ؟

فهو يبتلع الآخر قرب المحيط

ويتحول نفسه الى نهر جبار

لكي يدخل المحيط مزهوا

وهو يشير جيلا عاليا من الامواج .

حولوا اعينكم الى اضطراب الرياح

راقبوها وهي تجوب المنطقة الوسطى مثل اسد صياد

راقبوها وهي تقفز مثل الرؤوس الفاضبة للزوايا

الاشجار تقتلع من جذورها

وتلقى على التلال

لتعطي خصبا ابديا للارض الحمراء .

على هذه الارض سينمو نبات النار الفتني .

وحين يبلغ النضج ستأتي العصافير

لننتقي اسرار المتعة من تحت الاوراق »

هكذا تكلمت العرافة ملقيه بنبوءاتها على المجلس

وتدخل جاما نفسه وقال : « يكفي يا كاهنتي !

لاتقلقينا باشياء لا نعرفها !

ما من حاكم يكون سعيد او هو مرهق بالكثير من الحقيقة

او وهو يسمع عن عصر اعظم من عصره »

لكن العرافة تابتت و كان شيئا لم يقل .

« أرى رؤيا لبيوت تلتهمها جبال من النيران

ذات يوم سينهض هؤلاء الناس الصغار

وسيغزون الارض كلها من بوابة (الديك)
 ارى حشودا من الارواح السلفية تتبادل الكلمات عند الفجر .
 يعر احدهم بالآخر وهم يحملون حرابا متلامعة
 وحين يصلون الى الخرائب يبدأون بالتحدى الى :
 (تحذثي عن هزيم الترسوس السوداء
 واخبر بهم عن الجهة التي جاءت منها)
 ارباب ابيض تحمله بعيدا طيور أبي منجل
 انها تأخذه لتبني اعشاشها الصيفية
 ومن هنا سيلولد الفتى الجميل . . .
 ومرة اخرى حاول جاما ان يسكت كلمات الكاهنة المروعة
 قال ان عليها ان لا تنسى اولئك الذين يعيشون
 والذين يعتزون بامجاد عصرهم
 والذين لا يعرفون الا مشهد انجازاتهم .
 وكانما قد حثها من جديد
 القت بنفسها الى الارض
 وهي تحترق ، بضحكه ، اولئك الذين يسمونها .
 اخبرتهم كيف كانوا يخدعون انفسهم
 وهم يدعون المساواة مع الاракخ الحالدة
 متجاهلين اشرارك أصلع لفنه .
 « الذين لا يعرفون نعومة الارض بتبتاعهم الارض .
 ينخسف الوسط فيفرقهم في ابديتها .
 اما اولئك الذين يقاومون او الذين يبحثون عن خلودهم
 فسيفنون تماما ! »

بعثرت الكاهنة كمشة من التراب وقالت
«هي ذي صلاتكم !
وهاهم أولئك الذين كانوا يحتفلون في العصور القديمة !
نحن ، الذين هنا ، نمشي فوقهم
لقد عاشوا بحمامة مع رؤى أيامهم القادمة
لكن الحجر وحده يبقى ليحكى حكاياتهم ؛
ان حارس الحياة ينتظر الى الابد لكي يفتح الجبل !»
ولم تكد تنتهي حتى جمعت حوانجها
وتلاشت في ظلمة الجبال ،
مختفية مع ارواح الاسلاف
التي تتطلب تطلب من الرياح ان تغنى اغنية جديدة .

* * *

وقف احدهم ليعلن طائفة العرافين كلها
راغبا في جعل صوته اقوى من صوت الملك .
كان هستيريا ، مثل كل من يتزلف للمدحع
والذي تنحنى حياته كلها للارضاء .
جاما ، نفسه ، اعترض عليه قائلا :
«لا ترفضوا كلمات العرافات رفضا كاما
فك كل حكم ، في النهاية ، يرسى أساس حكم آخر
من مآثرنا سيبيني اطفالنا نصبهم
اضافة الى ان اقوال السلف لم تأت عبثا
حتى لو صدرت عن شفاه الحمقى»
وفيما كان جاما يتكلم سمع الاصوات البعضرة لتبثواها :

«الجيل القادر سوف يحكم الأرض»
وأثارت أصوات الربيع عقله .
لان من يأمل في ولاء تابعيه
عليه ان يكافح الكلمات الآتية من الجهات كلها
ويحاول ازالة الشكوك من تابعيه
زارعاً كلمات حكمته في عقولهم
ليجعلهم يرون عظمتهم القادمة من خلال كلماته .
ليس من الحكمة ترك الرعایا
يتهمون عن مثالب الحكم القائم .
ويجب ان تمنع أغانيات كهذه :
«العظمة التي ستأتي كان يجب ان تكون لنا
كان يجب ان نولد بعد مئة عام .»
كان جاماً يتذمّر بهذه الأفكار كلها
وتحدى المستشار الحكيم :
«ما رأيك في هذه الكلمات التي تدفنا أحياء ؟
انها تحفر لنا قبراً عند اقدام الآزمنة القادمة .»
كان الحكيم صامتاً يجني من اعماقه حكمة عقله
واخيراً تكلم : «هكذا هي دورات الحياة -
الزمن يلقي ظلاله على الرمال
لا عصر ولا حكم يظل على ما هو عليه .
احياناً ينمو عصر من حكاية بهجته ذاتها .
والا فانه لا يقدم الا ذكرى تزيد خرائطه .
محسود هو الجيل الذي يورث عظمته

وستقول الاجيال الاخرى عنه :

(بفضل أولئك الذين وضعوا الحجر على الصوّة
نرت اغاني الجبل المقدسة))

وفيما كان يتكلم كان جاما يهز برأسه موافقا
على الرغم من انه لم يرحب بهذه الكلمات .

نظر بامان الى ابنه ، سينز انفاخونا

وهو يتساءل ما اذا كانت هذه النبوءات ستتحقق على كاهله .

ثم لام نفسه لانه ، على الرغم من مهارات سينز انفاخونا ،
لم يكن مثل الجامحين الذين يشقون دروب الانسان .

راح يراقبه وهو يلتفت ليتحقق الى ظله .

وابعده وهو يتأمل جسده باعجاب

ويفكر : ليس المفضلون لدى الآلهة هكذا ابنا
ان الاسلاف حربصون ؟ يبدأون مع الفجر

بتلصص الى القلب

وعند المساء فقط يختارون .

عندها فقط يقررون : « لم ينزل على الحمامة أن يولدوا »

وحينما يتكلمون تتلاشى المبادىء والخيالات .

وتتفذى أصول ايمان الانسان على حكمتهم .

* * *

سينز انفاخونا ، ابن جاما ، « حزمة الرماح القاسية »

التقى بالحسنا ، بالاميرة ناندي ،

قال لنفسه : « سأثير هذه المرأة بالفاضلين »

وتحدث عنها ، عن ناندي ، ابنة بهيسهي .

حين كانت تمشي كانت تهز الأرض
لقد كانت خوف الجناء ،

وعنها كان الشعراء الملكيون يفون :
«المراة ذات الالسنة العديدة ،
وريثة المراكز السامية في المجلس»
لم تكن تخاف احدا .

كانت تقتتحم مجالس الرجال وتقول متحدية :
«انا ابنة امير عشيرة ابا سيمالانجيني»
ظن بعضهم ان لديها روحأ ثائرة .

وحتى في ذلك اليوم ترافق هذا العاشق المتعجرف
كانت عيناها تلتمعان غضبا .

بصقت على كلماته وعيناها تناقضان كبرباء .
ولكن سينز انفاخونا ، ايضا ، تحدث بغضبه :
«لم يسبق ان ظلل الغرباء بيت أبي» .

وشق طريقه وسط جمع اصدقائه
وهو يصرخ : «ابعدوا ! دعوني ار هذه المرأة بعيوني»
ولكن ما ان اخترقهم
حتى اوقفته القوة القاسية لابنة بهيمبي .

وارتعش جسده رغبة ، وتعلقت كلماته متسلية على شفتيه
كان حضورها مثل لهيب النار المتاجحة
مثل اللهيب الجائع الذي يلتهم الالهة الاخرى
وخفق قلبه مثل حلق ضفدع خائف .
وبنعومة ولطف كلمها : «ايتها المرأة العنيدة

انا امنعك ، واتبعاك ، من التقدم
دعيني اعثر على صخرة كبيرة أضعها في الماء
لامنك من العبور بأمان الى اراضينا
فلتسرعي ! ولتجبي كل عطايا قبيلتك
وليكن جمالها مثل الظباء المنطلقة فجرا
ومثل قطعان الوحوش الظامئة التي تشرب من بركة الى بركة .
حين نشبع من طعام يديك
سنضطجع لنحتفل على ظلال المساء الطويلة .
امتحني هنا لبيتنا ، امنحيه لعشائرنا الملكية ، لنا جميعا .
وحين تسير الاجيال التالية في طريقنا
فلتسر مع اصداء حكاياتنا »

حتى ناندي قالت لنفسها : « نقد التقيت الان بقرین روحي »
كلمات العشاق تخلق اوهامها الخاصة بها
وفي كل جيل تتألق طازجة
وكان كلمات الحكماء وحدها هي التي ترسو في قلب الارض
وهي وحدها التي تفدي ، فعلا ، كل جيل
تخلت ناندي عن تظاهرها وبدأت تضحك
ظللت تضحك بصوت مرتفع حتى تلاشت الجبال عن النظر
وقالت لسيزرانفاخونا : « لقد افسدت ،
كنت تصفي لاولئك الذين لا يعرفون الا جانب واحدا منك
انهم لم يروا النتن الخبيء في عظامك »
واحس الشاب من ارض الزولو انه قد طعن
لفتح حدة كلماتها عقله .

وحتى ناندي هيمن عليها الحزن .
قالت تواسيه : « اعذرني أيها الغريب
واغفر للسانى اللاذع
انني اجرح به فيدمى قلبي للضحية »
ومدت يدها اللطيفة وهي تتكلم
وشردت بعينيها الجميلتين .
فالتنفط سينز انفاخونا اترسائل التدافئة من رغبتها

وشفيت جروحه
وسقطا معا خلف الشجيرات النامية
وتحابيا و كانواهما يحتفلان باخر يوم لهما على الارض
وكانه ما من شيء سيعود لازعاجهما في نشوتهما
وحتى أولئك الذين حرمتهم الحياة من متع كهذه
فليساهموا الآن بفنى أخيلتهم .
هناك حالات حب عديدة - بعضها كبير وبعضها صغير
بعضها يجسد كمال الحياة وبعضها يلقي بنوره في الالم .
ما اجمل منظر العشاق

حين يكونون ما يزالون يفنون أغانيهم السحرية عن نومالومبو !
هي ، الفاتنة الليلية ، تشد اطفالها بخيط مرئي
وتقودهم بحكمتها الى حقول الخصب
 الا أنها لا تظهر غبطتها الى الابد .
وهكذا كان حين لعنت الصبايا سينز انفاخونا
« لقد لوثت شرف قريتنا
فاخرج اذن وهدىء الفضب

الذي انزلته علينا انت وناندي
لقد انتهكت عادات اجدادنا القديمة))

هكذا آلت حالات الحب التي كانت ذات يوم حديث المهرجانات
التي كانت أغانيها تغنى من قبل رجال ارض نغوني ونسائها

لقد ابتلع سينزانفاخونا ونيندا عشبا ساما .

صرخت النسوة كان الجنون حل بعقولهن .

حملن الحراب لينحرن عجول جاما السوداء .

وخرت الماشية على الارض وهي تخور خوارا رهيبا

وامتلا الوادي كله بانيتها .

كانما سينزانفاخونا بفعلته هذه

قد استنزل غضب الآلهة .

ان رابطة العائلات هي النسبة المقدسة للاجيال القادمة .

ومنها تشق الاصوات الجميلة لارض

راشقة اصداءها عبر ابوابات الالفية لايام المستقبل

هذا هو القانون الذي دنسه سينزانفاخونا

وعنفت النسوة ناندي قائلات : « لقد ختننا ! »

لعنها وادرن لها ظهورهن

وتركتها في عارها .

وجلست ناندي كثيبة بين الغرباء .

وهكذا كانت بدايات مصير ناندي .

في البئر اهينت ، ولكنها فيما بعد وقفت تحدي الرياح

وفي كل يوم كانت ناندي تنتظر سينزانفاخونا

كانت تأمل ان عودة شملهما ستتشعل جبهم من جديد .

لعله يتذكر
لحظاتها العظيمة المليئة بالحب والأحلام .
ولكنها ظلت تنتظر عشاً
في المختلي المعتم لقرى أبيه الملكية .
كانت الظلال تتماوج جيئة وذهاباً في الضريح الذي أصبح الآن ييتها .
وهسنهات الأفاعي الرهيبة التي تتماوج من حولها ،
كانت تحيط بأضلاعها ، وتكتسم صوتها .
وبدأت تفقد عقلها وهي تهتف باسم حبيبها
كانت تنادي باسمه ولا يجيب .
وكانت الأصداء وحدها تأتي متقارفة من المهاوي البعيدة .
وفي جنونها كانت تسمع خطى
كأنها صادرة عن حشد عابر
أحياناً كانت تبدو مثل أصوات اليفة لأصدقاء .
وهكذا كان خيالها يخادعها .
مرت شهور عديدة من التبؤ والانتظار
حتى سمعت الناس يوتون معندين موت شخص ما
أرهفت أذنيها مصفية ، فسمعتهم يهتفون باسم الملك جاما .
وراحوا يصرخون مرة بعد أخرى : « مات الملك ! مات الملك ! »
وأعلنت الجبال الشاهقة أحزانهم إلى السماء
وعبات الأفاق أناشيد العشائر والاقوام المتحدة
واهتزت المدن والقرى الفخمة من أصوات العزن
وبدأت ناندي ، أميرة أبا سيملا لانجيني ، تصرخ :
« فليختسم مصيري أخيراً بالدموع

في الماضي البعيد كان يجب أن يتغذى على الآمال الجديدة .
ولكن حين ينوب يومي من ضباب الغد
لن أكون وحيدة بعد ، بل سأكون مع حاميَّ
وله سانظم أغنية ، وسأرقص له .
أولئك الذين نبتوني كأشباب الشتاء سيبتلعون كلماتهم
وسيزحفون ، باسمه ، على بطونهم »)
هتفت بكلمات المرارة ضد أعدائها
ولم يفهم مشيعو الملك تنبؤاتها
وهي وحدها التي فهمت الفجر المعلق فوق الليل .

* * *

بسبب ناندي وصل اللانا والزولو الى حافة الحرب
ارسل اللانا رسلا الى جاما ملك الزولو
ولكن هؤلاء الرسل عادوا يقولون :
« لقد انكروا مسؤوليتهم عن الطفل
وادعوا ان حملها لم يكن إلا مرضًا ناجما عن حشرات مؤذية
وهو مرض يصيب العقل بالجنون »

هذه الإهانات هي التي جعلت ناندي تنكمش على نفسها بمرارة
ولم تعد تهتم بالحزن الذي تسبب به موت الملك .

لقد انسحق حبها له تحت عزلتها
لأنه يصعب ان تندب مع الآخرين وانت مشغل بحزنك .
وأقسمت ان تحكي لابنها هذه الامور الجارحة
وكان لابد لرابطهما ان تصبح خالدة بسموعهما .

وَظَلَتْ نَانِدِي تُصْرَخُ بِكُلِّهَا :
« عَقْلِي يُلْتَهُم الْوَرْقَةُ الْمَرْأَةُ
وَلَكُنْيَى ، غَدَا ، سَاجْلَسُ إِلَى جَانِبِ الْحَكَامِ »
وَجَاهُلُوهَا مَكْتَفِينَ بِالْتَّعْقِيبِ :
« كَثِيرًا مَا تَوَلَّدُ الْعَزْلَةُ خَيَالَاتُ كَهْذِهِ
فَتَمْسَكُ مَعَ الْجَنُونِ بِالْجَنَرِ الْعَفْوِيِّ لِلتَّسَانِ »
وَاجْتَمَعَ الْمَجْلِسُ الْكَبِيرُ لِعُشِيرَةِ (أَبَا سِيمَا لِأَتْجِينِي)
لَقَدْ وَلَدَتِ الْأُمِّيَّةُ (نَانِدِي) صَبِيًّا
وَدُونَ إِبْطَاءِ أَرْسَلَوْا رَسُولًا إِلَيْهِ (سِينْزَانْفَاخُونَا)
لِيَقُولَ لَهُ : « هَذَا هُوَ ، اذْنُ ، الْمَرْضُ الَّذِي حَاوَلْتُمْ نَبْذِهِ »
وَمَعَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْفَاضِبَةِ أَرْسَلَوْا نَانِدِي وَابْنَهَا إِلَيْهِ (سِينْزَانْفَاخُونَا)
وَكَانَ (مُولَدِي) ، أَحَدُ أَفْرَادِ عُشِيرَةِ الْمَلِكِ ،
الَّذِي اعْتَرَفَ بِذَنْبِ الْعَائِلَةِ حِينَ رَأَهُمَا .
وَهُكُنْدَا بَقِيتِ نَانِدِي فِي مَكَانِ نَيْسِ فِيهِ حُبٌّ وَلَا فَرَحٌ .
وَكُلُّهَا سَمِعَتِ الْحَشْوَدُ تُحْتَفِلُ فِي الْأَرْضِ الْمَلَكِيَّةِ
تَنْطَوِيُ عَلَى نَفْسِهَا وَتَنْكُمُشُ فِي ظَلَمَةِ بَيْتِهَا .
وَمَعَ رَسْلَهَا أَرْسَلَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ إِلَيْهِ الْمَلِكِ :
« حَيَّ الْمَلِكُ بِاسْمِي ، وَقُلْ لَهُ مَا زَلَتْ حَيَّةً .
وَمَا أَزَالَ أَحْتَفِظُ بِذَكْرِيَّاتِ حَبِّنَا فِي بَالِي
وَقُلْ لَهُ أَنَّهُ حِينَ يُحْتَفِلُ بِمَا يَرْضِي قَلْبَهِ
فَانِّي عَلَيْهِ أَنْ يَتَذَكَّرَ أَنَّهُ لَيْسَ وَحْدَهُ الْمُوْجُودُ عَلَى الْأَرْضِ
إِنَّا نَنْتَظَرُ وِلَادَةَ يَوْمٍ أَفْضَلُ فِي ظَلِيلِ رَحْمَتِهِ
فَنَحْنُ مَانِزَالٌ نَحْتَفِظُ بِذَكْرِي مَا كَانَ جَمِيلًا .

وذات يوم ستنجز الشمس وعدها بالحراب اللامعة
ومن المناطق كلها ستأكل النصال الأحياء
وستكتمل أيامنا باستعدادنا للمعركة »
وارسلت هذه الكلمات أتى (سينزا نفاخونا)
وهي تلومه على إهماله لابنه الجميل .
وطالما ان في القلب حياة فانه يظل مفتوحا لسهام الحزن ،
ويضم بين جوانحه تورمات الالم النابض .
يتالم ليلا ويحسد من ينامون
في اعشاش الأحلام السعيدة .

* * *

ذات ليلة اسرع (سينزا نفاخونا) الى (مخابي) ولية العهد
وقال لها : « احمل نوبة ترفض الشفاء »
وكلما حاولت أن أضيع نفسي في النوم
أسمع صوت (ناندي) يخترق الظلمة .
كأنها قد سلطت علي سحرا »

التفت الأميرة العظيمة لتططلع الى (سينزا نفاخونا)
وحدقت إليه بعينين محققتين كأنما تدين جيله الواهن
الذي يلعب باليدين بينما المصائب تحل .

واخيراً أجبت : « يا ابن أبي !

العدة الملكية التي تراها معلقة على الجدار
كانت ذات يوم تحمل من قبل أسلافك في العصور القديمة

* * *

* : الجزء الأول ، وسيلي الجزء الثاني في المدد القادم
(التحرير)

حَكَايَةُ الْلَّيْلَةِ الثَّانِيَةُ وَالسَّبْعِينُ بَعْدَ السَّقْمَائَةِ

للكاتب المسرحي: هوغو فون هوفرمانستال
ترجمة: صلاح حاتم

كان ابن تاجر شاب على جانبٍ كبيرٍ من الحسين وكان يقيم الأب والأم ، وما بلغ الخامسة والعشرين حتى ملأ مجالس الأنس وحياة الضيافة . فأغلق معظم غرف داره وأخلى سبيل خدمه كلهم إلا أربعة أحباب فيهم تعلقهم وطبعهم . ولما لم يكن يهمه أصدقاؤه في شيء ولم يأسره جمال إية امرأة بحيث تصوّر الشيء مستحباً أو حتى مطاقاً ليكون أبداً في صحبتها فإنه عاش حياة اقرب الى العزلة ناسبت اكثراً ملائكته مزاجه وطبعيته . لكنه لم يكن إنطوائياً ينفر من الناس أبداً ، بل كان يطيب له أن يتذكر في الشوارع أو الحدائق العامة ويراقب وجوه الناس ، كما أنه لم يهمل العناية بيده ويديه الجميلتين وزينة داره ، بل إن جمال السجاد والنسيج والحرير وجمال الجدران المنحوتة والمبطنة بالخشب والشمعدانات والأحواض المعدنية والأواني الزجاجية والخزفية بدت له ذات معنى و شأن على نحو لم يخطر بباله قط . واتضح له شيئاً فشيئاً كيف كانت أشكال

الوجود والوانه كلها تعيش في أدواته . ورأى في زخارفه المشابكة صورة فاتنة لاعجیب الدنيا المشابكة . واهتدى الى أشكال الحيوانات والزهور وتحول الازهار الى الحيوانات، الدلفين والاسود والزنابق واللالىء ونبات الاقنثا . واكتشف النزاع بين نقل الاعمدة ومقاومة الارض الصلبة وتطلع المياه الى اعلى ثم الى أسفل . واكتشف غبطة الحركة وعظمته المهدوعوالرقص والموت . واهتدى الى الوان الزهور والوراق والوان جلود الحيوانات البرية ووجوه الشعوب والوان الاحجار الكريمة ولون البحر في هيجانه وتألق هدوئه ، لابل إن اكتشف القمر والنجوم والكرة .

الصوفية الفامضة والحلقات الصوفية الفامضة التي نمت عليها اجنحة السيرافيم نموا شديدا . وانتشى طويلا بهذا الجمال العظيم ذي المعنى العميق الخاص به . وسارت أيامه كلها على نحو أجمل وأقل فراغا وسط هذه الأدوات التي لم تعد تمثل شيئا ميتا او وضيعا ، بل كانت إرثا كبيرا وعملا اليها للاجيال كلها .

على انه احس بعدمية هذه الاشياء كلها ، كما احس جمالها ايضا . ولم تفارقه فكرة الموت على المدى الطويل . وكثيرا ما داهنته وهو بين ناس يضحكون ويصيحون ويصخبون ، تارة في الليل وتارة في اثناء تناول الطعام . ولما لم يكن فيه مرض فان الفكرة لم تكن رهيبة مخيفة ، بل كان فيها شيء مهيب مبهج وكانت تأتيه بشكل زائد حين كان ينتشى بالتفكير بأفكار جميلة او بحسن شبابه وعزلته . اذ كثيرا ما استمد ابن التاجر اعتدادا كبيرا من المرأة ومن أبيات الشعراء ومن ثروته وحكمته . ولم تكن تشغل على روحه الاقوال المأثورة الفامضة . كان يقول : « قدماك تسيران بك الى حيث تموت » ، ورأى نفسه في حسن ، ملك ضل في اثناء الصيد وهو يواجه في غابة مجهولة تحت اشجار غريبة مصرجا عجينا غريبا ، وكان

يقول : « حين يكون البيت جاهراً ياتي الموت » ، ورأى الموت يصعد ببطء من فوق جسر القصر الذي تحمله أسود مجنحة ، جسر البيت الجاهز الذي امتلاً بفنانم الحياة الرائعة .

وطنَ أنه كان يعيش وحيداً كلَّ الوحدة ، لكنما خدمه الأربعة كانوا يحيطون به كالكلاب . ومع أنه لم يكن يتحدث معهم أذ قليلاً فانه أحسن على نحو ما أنهم كانوا يفكرون باستمرار بأن يقفوا على خدمته أحسن خدمة . وبذا هو أيضاً يفكر بهم بين الحين والحين

كانت مدبرة المنزل إمراة مسنّة . وكانت ابنتها المتوفاة مرضعة ابن التاجر كما أن أبناءها الآخرين كلهم كانوا قد ماتوا . كانت جدَّهادئة . ومن وجهها الشاحب ويديها الناصعتين انبعثت برودة السن . ولكنها كانت قريبة من نفسه لأنها كانت دائماً في منزله ولأنَّ ذكرى صوت امه وطفولته التي أحبها في لهفة كانت ترافقها في حلها وترحالها . وبإذن منه كانت قد أحضرت إلى البيت قريبة لها في الخامسة عشرة من عمرها . وكانت هذه شديدة الإنطواء على نفسها وكانت تقسو على نفسها وكان صعباً فهمها . وذات مرة القت بنفسها في فورة غضب مفاجئة غامضة من أحدى النوافذ في الفناء ، لكنها سقطت بجسدها الذي يشبه جسد طفل فوق تربة حديقة كانت مكومة بالمصادفة فلم ينكسر فيها إلا الترقوة لأن حجراً كان مغروزاً هناك في الأرض . وحين وضعها المرء في سريرها بعث ابن التاجر طبيبه إليها . وفي المساء جاء هو بنفسه إليها ليستفسر عن صحتها . وبقيت مغمضة العينين . ولاول مرة انعم النظر فيها وعجب من وسامته وجهها الغريبة المبكرة النضوج . والشفتان وحدهما كانتا دقيقتين جداً وكان فيهما شيء قبيح ورهيب . وفجأة فتحت عينيهما ونظرت إليه بنظرة باردة شريرة . واستدارت إلى الحائط وهي تعزم

على شفتيها من الفضب متقلبة على الالم بحيث إنها استلقت على الجانب المجروح . وفي طرفة عين تلوّن وجهها الباهت كالأموات بلون ابيض مائل الى الخضراء واغمى عليها وعادت الى وضعها السابق .

وحين استعادت صحتها لم يبادرها ابن التاجر بالكلام زمانه طويلا اذا التقها ، وسأل المرأة العجوز غير مرأة ان كانت الفتاة تكره وجودها في داره ، لكن هذه نفت ذلك دائماً وأبداً . أما الخادم الوحيد الذي كان قرر ان يستيقنه في داره فكان قد تعرف عليه لما تناول ذات مرة طعام العشاء في منزل مبعوث ملك الفرس في هذه المدينة . وأنذاك قام هذا على خدمته وأبدى من الأدب والحضر والعزلة الكبيرة والتواضع ما جعل ابن التاجر يسر بمراقبته أكثر من الانتباه والإنصات الى احاديث الضيوف الآخرين . واغتبط كثيراً لما تقدم منه هذا الخادم في الشارع بعد أشهر كثيرة وحياة بنفس الرزانة العميقه التي عهدها فيه في ذلك المساء . ومن دون إلحاح عرض عليه خدماته . ومن فوره عرفه ابن التاجر من وجهه الكالح ذي اللون التوتى . وبسبب حسن أدبه قبله في خدمته على الفبور وأخلى طرف خادمين شابين كانوا لايزالان يعملان عنده ، ومن هناء لم يسميه لأحد آخر أن يقدم له الطعام الا لهذا الإنسان الرزين الهاديء المتواضع . وقلما كان هذا الإنسان يغادر المنزل في المساء رغم السماح له بذلك . فلقد أظهر تعلقاً نادراً بسيده الذي كان يلبى له رغباته ويحرز بصمت ما يحب وما يكره بحيث إنَّ ابن التاجر هذا صار يكن له أيضاً مودة صارت تكبر مع الأيام .

ولئن سمع لهذا الخادم أن يقدم له الطعام فان صحاف الفاكهة والحلوى اعتادت أن تحملها خادمة تكبر الصفيرة بعامين أو بثلاثة . وكانت هذه الفتاة من أولئك اللواتي اذا ماراهن المرء عن بعد او يرفض في ضوء

الشاعل لم يدهن جميلات جدا لأن الملامح تفقد عندئذ دقتها ونعومتها . ولما أنه كان يراها كل يوم عن كثب فقد هزّه جمال أجفانها وشفتيها الذي ليس كمثله جمال . أما جسدها الجميل فكانت له حركاته المترافقـة الكثيرة التي كانت في نظره اللغة الفامضة الملغزة لعالم مبهم عجيب .

وإذا اشتدَّ قيظ الصيف في المدينة وسبح الوجه الضعيف على طول المنازل وعقدت الريح في الشوارع الخالية سحائب غبار بيضاء نزح ابن التاجر مع خدمه الاربعة إلى البيت الريفي الذي كان يملكه في الجبال في وادٍ ضيق تحيط به جبال سوداء حيث كان للاغنياء هناك بيوت ريفية كثيرة من هذا النوع . فمن كلا الجانبيين كانت الشلالات تتتساقط في الأودية العميقة وترتبط الجو . وكان القمر يتخد مكانه دائمًا وراء الجبال تقربا ، على أنَّ سحائب بيضاء كبيرة كانت تصاعد من وراء الجدران الصخرية السوداء وتسبح بمعبأة فوق السماء المعتمة ثم تختفي في الطرف الآخر . وهنا عاش ابن التاجر المألف من حياته في منزل كان يطوف بجدرانه الخشبية دائمًا عبر الحدائق الرطب والنفحات الرطبة الآتية من الشلالات الكثيرة .

وفي العصر كان يجلس في حديقته إلى أن كانت الشمس تغيب وراء الجبال ، وكان يقرأ أكثر ما يقرأ في كتاب اشتمل على حروب ملك عظيم من ملوك الماضي . وفي بعض الأحيان كان يضطر إلى التوقف فجأة وسط وصفِّ لآلاف من فرسان الملك المعادي وهم يلوون ، بين صرائح وصياح ، أعناتِ خيولهم أو وسط وصفِّ لعرباتهم الحربية وهي تهوي عند منحدر نهر ، إذ أنه كان يحس من دون أن يرفع بصره أن أعين خدمه الاربع مسلطة عليه وكان يعرف من دون أن يرفع رأسه أنهم ينظرون إليه بصمت ، كل واحد منهم من غرفةٍ غير غرفة الآخر . لقد عرفهم حق المعرفة .

واحس بهم يعيشون أشد وأكثر الحاحا من احساسه بنفسه وهو يعيش . واحس بين الفينة والأخرى بتأثير خفيف أو تعجب من نفسه ، لكنه احس بسبب هذا بانقباض غامض . واحس في وضوح كابوس كيف عاش كل العجوزين حياتهما وجها لوجه مع الموت في كل ساعة وفي التغير المستمر البطيء للاممهمما وحركاتها التي عرفها معرفة جيدة . واحس كيف عاشت الفتاتان بلا اكترات الحياة الخالية القفر الخاتمة ان صلح التعبير . وكالرعب والمرارة القاتلة لطم مرعب طواه النسيان عند الاستيقاظ احس بوطأة حياتهما التي لم تعرفها اي شيء .

وكان عليه احيانا ان ينهض ويتجول لكي لا يكون في قبضة فزعه . وعلى حين كان ينظر الى الحصى الفاقع عند قدميه ويفكر بجهد كيف كان اربع القرنفل يتتصاعد اليه من نفحة العشب والتراب الرطبة في انفاس صافية ويتخلله شذى النبات في سحائب منعشة مفرطة في الحلاوة احس بأعينهم ولم يستطع ان يفك بشيء . ومن دون ان يرفع الرأس عرف ان المرأة العجوز كانت تجلس عند نافذتها ويداها الشاحبتان على الافريز الذي غمرته الشمس باشعتها ووجها الشاحب المقنع وطن يزداد هولا، فيه العينان السوداوان العائرتان اللتان لم تتمكنا من الموت . ومن دون ان يرفع الرأس احس بالخادم وهو يرتد لدقائق عن نافذته وينشقفل بالخزانة . ومن دون ان يتطلع توقع في رعب مخيف اللحظة التي سيعود فيها الى مكانه . وعلى حين كان يرمي بكلتا يديه بفروع لينة وراء ظهره لكي ينزو في اكثر اركان الحديقة تشابكا والتتفافا وافكاره كلها تلحف بطلب جمال السماء التي سقطت من عل قطع صغيرة من فيروز مبلل من خلال الشبكة السوداء المكونة من الافنان والاغصان المتسلقة ، عندها

سيطر على قلبه وتفكيره شيء واحد وهو أنه عرف أن أعين الفتاتين كانت مركزة عليه وأن في عيني الكبرى الخامعتين العزيزتين مطلباً مزعجاً وفي عيني الصغرى كان انتباه واحتراس أزعجه أكثر من أي شيء آخر لما فيه من قلق وقروع صبر وسخرية واستهزاء . وفي أثناء ذلك لم يخطر بباله فقط، إنما كانتا تُنظران إليه مباشرة ، إليه هو وهو يتجلو خافض الرأس أو يرتفع عند قرنفلة لكي يربطها بلحاء أو ينحني تحت الأفنان ، بل خيل له إنما شاهدتا حياته كلها ونظر إلى أعماق نفسه ورأتا قصوره الإنساني الفامض .

وتملكه انقباض مخيف وخوف قاتل من الحياة التي لا سبيل إلى الهرب منها . والشيء الأرعب منمن كانوا يراقبونه باستمرار هو إنهم أكروهوه على أن يفكر بنفسه على نحو عقيم ومرهق . حتى إن الحديقة كانت صغيرة جداً بحيث يهرب منهم . ولكن خوفه كان يتلاشى نهائياً إذا ما وجد نفسه على مقربة منهم بحيث انه كان ينسى الماضي تقريباً . ثم انه لم يكن في وسعه ان يراقبهم أو ينظر ملياً في حركاتهم التي كان الفها جيداً فاستشف منها اشفافاً على حياتهم أو ينظر ملياً في حركاتهم التي كان الفها جيداً فاستشف منها اشفافاً على حياتهم وعطضاً مستمراً وجسدياً عليها أن صح التعبير .

ولم تقابله الفتاة الصغيرة إلا بين الفينة والأخرى على السلم أو في الفناء . أما الثلاثة الآخرون فكانوا دائماً إلى جانبه في غرفة واحدة . وذات مرة لمح الكبرى في مرآة مائلة ، فقد مرت من غرفة جانبية مرتفعة ، أما في المرأة فقد جاءت صوبه من تحت ، من العمق . سارت في تؤدة وباجهاد ، لكنها سارت منتصبة القامة . وحملت في كل ذراع إلهة

□ حكاية الليلة الثانية والسبعين □

هندية نحيلة العود ثقيلة الوزن من البرونز الاسود . فكانت أقدام التمثالين المزخرفة في باطن اليد ، ومن الخصر الى الصدغ بلغ طول الإلهتين السوداويتين أما الرأسان الاడكتان بضم الثعابين الخبيث والاعين الثلاث الوحشية في الجبهة وبالزينة الرهيبة في الشعر القاني الاشيب فقد تحركا الى جانب او جنتين التي انبعثت منهما القوة والحيوية ولامسا الصدغين الجميلين في ايقاع الخطوات البطيئة ، لكنه في الحقيقة لم يبد عليها انها كانت تنوء بحمل الإلهتين وانما كانت تنوء تحت وطاة جمال رأسها هي المزین بشقيق الحلبي من الذهب الاسود الحالص وبضفريتين حلزونيتيں كبيرتين مقوستين على جانبي الجبين الوضاء كملكة في الحرب . وتتأثر بجمالها العظيم . لكنه في الوقت نفسه عرف بوضوح ان هذا لن يعني انه سيحتويها بين ذراعيه وعرف تمام المعرفة ان جمال خادمتة قد افعم صدره بالشوق ، لكنه لم يفعمه بالرغبة او الشهوة فلم يركز نظراته عليها طويلا ، بل غادرت الغرفة الى الزقاق وتابعت سيرها بقلق عجيب بين البيوت والحدائق في ظل رقيق خفيف . واخيرا توجه الى شاطئ النهر حيث كان يقيم البستانيون وبائعو الزهور وببحث طويلا ، مع انه عرف انه يبحث من غير طائل ، عن زهرة شكلها وعطرها ، او ربما عن تابل يمكن ان تمنجه رائحته المتطايرة لحظة واحدة نفس الاغراء الحلو لتملك هاديء انطوى عليه جمال خادمتة الذي بلبل افكاره واقلقه : وعلى حين كان ينعم النظر بلهفة وشوق في البيوت الزجاجية وينحنى في العراء فوق أحواض الزهر المتبددة التي حل الظلام فوقها فان عقله راح يردد عن غير قصد ورغم ارادته كلمات الشاعر : « في سوق القرنفل المتمايل وفي نفحة الحب الناضج تشيرين شوقي . ولكن لما وجدتك لم تكوني تلك التي كنت بحثت عنها ، بل بنات روحي » .

- ٢ -

وفي تلك الأيام جاءته رسالة ألققته بعض الشيء : ولم تحمل الرسالة أي توقيع . وعلى نحو غامض اتهم كاتب الرسالة خادم ابن التاجر بأنه ارتكب في بيت سيده السابق ، المبعوث الفارسي ، جرماً شنيعاً . وبذا المجهول أنه يكن بفضاً شديداً للخادم وضمن الرسالة سيلاً من التهديدات . على أنه لم يكن في الامكان استشفاف نوعية الجرم الذي المت إليه الرسالة ولا الفایة التي ابتفاها كاتب الرسالة من رسالته هذه حيث أنه لم يذكر اسمه ولم يطلب شيئاً . وقرأ ابن التاجر الرسالة مرات ومرات واعترف أنه شعر بخوف شديد لدى التفكير بأنه سي فقد تابعه على نحو بشع مقيتاً . وكلما انعم التفكير ازداد انفعاله واضطرابه وقل احتماله لل فكرة بأنه سي فقد أحد هذه الكائنات التي نشأ وترعرع معها بالعادة وبواسطة قوى أخرى خفية .

ومشي جيئة وذهاباً وأهابه الانفعال الساخط كثيراً بحيث أنه رمى سترته وحزامه وداس عليهم بقدميه . وبذا كان شخصاً ما قد اهان خاصة نفسه وهدده وأراد اكرابه على أن يهرب من ذاته وينكر ما كان محبياً إلى نفسه .

اشفق على نفسه وشعر كما كان يشعر دائماً في مثل تلك اللحظات بأنه طفل . ورأى خدمه الاربعة وهم ينتزعون من داره انتزاعاً وخيل إليه كان حياته افرغت من معناها كله بهدوء وصمت وكان كل الذكريات الحلوة المفعمة بالالم وكل توقعاته التي يغلب على بعضها الشعور وعلى بعضها الآخر اللا شعور وكل ما هو عظيم ويجل عن الوصف قد طرح جانيا في مكان ما لكي لا يكتثر له كحزمة من الطحالب والاعشاب البحرية ، وأدرك

للمرة الاولى ما كان يثير فيه الفيظ والفضب وهو صبي ، ذلك الحب المليء بالخوف الذي كان يشد أباه الى ما كان قد اقتناه ، الى ثروات متجره المقنطر وأطفال بحثه وهمه الحسان القساة والى الفامض من وليد رغباته المبهمة العميقه في حياته وأدرك ان الملك العظيم في الماضي كان لا محيد له عن الموت لو أن المرأة كان سلبه بلاده التي كان قد اجتاحها وأخضعها من البحر غربا الى البحر شرقا والتي حلم بأن يسيطر عليها وكانت ، مع هذا ، واسعة الارجاء بحيث انه لم يسيطر عليها ولم يتلق اية جزية منها ما عدا الفكرة بأنه كان أخضعها وما من ملك آخر غيره كان ملكا عليها .

وعزم على ان يفعل كل شيء لكي يهدىء ذلك الشيء الذي أفزعه فرعا شديدا . ومن دون ان يبوح للخادم بكلمة عن الرسالة سافر وحده الى المدينة حيث قرر ان يقصد قبل كل شيء الدار التي كان يسكنها مبعوث ملك الفرس ، اذ انه كان لديه الامل الفامض بأن يجد هناك ، بطريقه ما ، دليلا ومستندا . ولكنه حين وصل كان الوقت قد دخل في الاصليل وما من احد كان في الدار ، لا المبعوث ولا احد من مرافقه الشباب ، الا الطاهي وكاتب صغير عجوز كانا يجلسان في المدخل في الظلمة الوانية الرطبة . ولكنهما كانوا في غاية من الفوضاعة واعطيا اجوبة مقتضبة فطة فأدار لهما ظهره بقلق وفروع صبر وقرر ان يعود في اليوم التالي في ساعة انساب وأفضل .

ولما كانت داره مقلقة ولم يكن قد ترك خدمها في المدينة فقد كان عليه ان يفكر كفريب في البحث عن مأوى له يقضي فيه هذه الليلة . ومشى في الشوارع المعروفة مستطاعها مثله مثل اي غريب .

ووصل في نهاية المطاف الى شاطيء نهر صغير كانت مياهه على وشك الجفاف في مثل هذا الوقت من السنة . ومن هناك سار ، شارد الافكار ،

في شارع حقير كانت تسكنه الكثيرات من البغایا اللواتي كن يمارسن البغاء والعمر علينا . ومن دون أن يلقي بالا الى طريقه انعطف الى اليمين ووصل الى زقاق مفتر ساكن سكون الاموات انتهى بسلم مائل وعال تقريبا علو الابراج . وبقي واقفا على السلم ونظر وراءه الى طريقه . واستطاع ان يرى على ارتفاع البيوت الصغيرة . وكانت هنا وهناك ستائر حمراء على النوافذ وزهور كريهة يقطنها الغبار . وكان مجرى النهر العريض الجاف يوحى بكآبة قاتلة . وتابع صعوده حتى وصل حيا لم يستطع ان يتذكر انه رأه من قبل . ومع هذا بدا له تقاطع طرق وضياعة سفلية كان يعرفه فجأة في الحلم . وواصل سيره حتى بلغ حانوت صائغ ، وكان حانوتا متواضعا جدا يليق بهذا القسم من المدينة وكانت واجهته مليئة بمثل تلك الحلي التافهة التي يبتاعها المرء لدى المرهقين ومتلقي المروقات أما ابن التاجر الذي كان خبيرا ممتازا بالجواهر فقد صعب عليه أن يجد حبرا جميلا بعض الشيء بين هذه الحلي .

وفجأة وقع نظره على حلية قديمة الطرز مصنوعة من الذهب الدقيق ومرصعة بزبرجد ذكرته بطريقة ما بالمرأة العجوز . ويحتمل انه كان قد رأى عندها ذات مرة قطعة مماثلة تعود الى تلك الايام التي كانت هي فيها امراة شابة . كما بدا له ايضا ان ذلك الحجر الباهت الذي كان يمبل الى الكآبة مناسب على نحو غريب لسنها ومظهرها . وكان للطار العتيق الطرز الكآبة نفسها . وعلى هذا دخل الحانوت الوضيع ليبتاع الحلية . وشر الصائغ سرورا عظيما اذ رأى زبونا حسن المندام يدخل حاناته فاراد ان يعرض له أحجاره الاكثر نفافة التي لم يضعها في واجهة الحانوت ومن باب المجاملة للرجل العجوز تركه يعرض له الكثير ، لكنه لم يكن يرغب في أن يبتاع المزيد ولم تكن له في حياته ، حياة الانفراد والعزلة ،

معرفة او خبرة في استعمال مثل هذه الهدايا . واخيرا فرغ صبره وحار في الوقت نفسه ، اذ انه اراد ان يتخلص ولكن على الا يسيء الى الرجل العجوز . ورأى ان يبتاع شيئا آخر غير ذات قيمة ثم يفادر الحانوت بعد ذلك . ونظر ، وهو شارد الفكر ، من فوق كتف الصائغ فرأى مرأة يد فضية صغيرة عوراء ثم طالعته من مرأة اخرى في داخل صورة الفتاة ذات الرأسين الاذكين للالهتين المعدنيتين على كلا الجانبين . واحس احساسا سطحيا عابرا ان في ذلك الكثير من فتنتها وجاذبيتها لما حمل الكتفان والعنق في رشاقة طفل متواضعه جمال الرأس ، رأس ملكة شابة . وعلى نحو سريع خاطف استحسن ان يرى سلسلة ذهبية صغيرة ناعمة تطوق هذا العنق وتذكره تذكرة طفل وبدرع ايضا . وطلب رؤية مثل هذه السلسلة . وفتح الرجل العجوز بابا ورجاه ان يدخل الى حجرة اخرى واطئة حيث عرضت حلبي كثيرة في خزانات زجاجية وعلى رفوف وحوامل مكسوفة . وسرعان ما وجد هنا السلسلة التي اعجبته وطلب من الصائغ ان يخبره بسعر الحليتين كلتيهما . ورجاه الرجل العجوز ايضا ان يلقى نظرة على بعض السروج القديمة المدهشة المطعمه بالاحجار الكريمه غير النفيسة . لكنه اجاب انه ابن تاجر لم يتمتع بقط بالخيول ، حتى انه لا يجيد ركوب الخيل ولا يستحسن لا السروج القديمة ولا الجديدة . ودفع له قطعة ذهبية وبعض النقود الفضية لقاء ما ابتهاعه وأبدى شيئا من القلق ليفادر الحانوت . وبينما كان الرجل العجوز يفتش صامتا عن قطعة ورق حريرية جميلة ناعمة ليلف السلسلة وحلية الزبرجد ، كلا على حده ، صادف ان تقدم ابن التاجر من النافذة الوحيدة الواطئة المشبكة ونظر منها . ولمح حدائقه خضراءات تابعة ، كما يبدو ، للبيت المجاور وقد تم الحفاظ على جمالها وشكل خلفيتها بستان زجاجيات وسور عال . ورغم من فوره في ان يرى هذين البيتين الزجاجيين . وسائل الصائغ هل

في امكانه ان يدلle على الطريق . وناوله الصائغ كلتا الصرتين وسار به عبر غرفة جانبية الى الفنان الذي كان يصله بالحديقة المجاورة بباب صغير مزود بشعرية . هنا توقف الصائغ عن السير وضرب بمطرقة حديدية على الشعرية . ولما ان كل شيء في الحديقة بقي هادئا وما من احد في البيت المجاور حرك ساكنا فانه دعا ابن التاجر الى ان يتفقد البيتين الزجاجيين من غير حرج وأن يتعلل به لو أزعجه احد ما فهو يعرف صاحب الحديقة جيدا . ثم فتح بسقاطة من خلال قضبان الشعرية . وسار ابن التاجر من فوره على طول السور الى اقرب بيت زجاجي . دخل ووجد كثرة من النرجس والشقائق النادرة وأوراقا نادرة كل الندرة وغريبة عنه بحيث انه لم يستطع ان يشبع نظره منها طوال الوقت . واخيرا رفع نظره فرأى ان الشمس كانت قد غابت وراء البيوت من دون ان ينتبه الى ذلك . عندها لم يرغب في ان يبقى وقتا اطول من ذلك في حديقة غريبة غير محروسة واكتفى بان يلقي نظرة من الخارج من خلال الواح زجاج بيت النباتات الثاني ثم يمضي في حال سبيله . وما من بالجدران الزجاجية متهملا منعما النظر حتى ذعر فجأة ذعرا شديدا وتراجع . اذ ان شخصا ما كان وجهه على الواح الزجاج وكان ينظر اليه . وبعد لحظة هدا روعه وعرف ان هذا كان طفلة صغيرة في الرابعة من عمرها على اكثرا تقدير . وكان ثوبها الابيض ووجهها الشاحب مرصوصين على اللوح الزجاجي . ولكنه ما نظر عن كثب حتى ذعر مرة اخرى وقد تملكه احساس ممض بالخوف والفزع يخنقه شيئا فشيئا ويتعصر صدره في اعمقه ، اذ ان هذه الطفلة التي نظرت اليه نظرات هامدة غاضبة شريرة اشبهت على نحو غامض الفتاة ذات الخامسة عشرة التي عنده في الدار . كل شيء كان متشارها . الحاجبان الابليجان والختابتان المرتعشتان والشفتان الدقيقتان وكان للطفلة كتف أعلى من الأخرى كما هي الحال لدى الفتاة الأخرى .

كل شيء كان متشابهاً . على أن كل شيء في الطفلة عبر عما ألقى في روعه الهول والفزع . ولم يعرف مما خاف وفزع فزعاً شديداً . لكنه عرف أنه لم يطيق صبراً على أن يلتفت . ويعرف أن هذا الوجه خلفه كان يحدق من خلال الألواح الزجاجية . وفي خوفه غز الخطي نحو باب البيت الزجاجي لكي يدخل . كان الباب مغلقاً وموصلاً من الخارج . وانحنى في عجلة على الملاج الذي كان واطئاً جداً ودفعه بعنف شديد بحيث أنه جرح أحدي عقد خنصره واتجه مهولاً صوب الطفلة . ومشت الطفلة صوبه . ومن دون أن تنبس ببنت شفة دفعته من ركبتيه بقوة جسدها وحاولت اخراجه بيديها الصغيرتين الضعيفتين ووجد مشقة في الا يدوسها لكن خوفه تضاءل في القرب منها وانحنى فوق وجه الطفلة الذي كان ممتنعاً وارتعدت عيناه من الغضب والكراهية على حين التصقت أسنان الفك الأسفل الصغيرة بالشفة العليا في غضب رهيب . وتلاشى خوفه لحظة من الزمن لما لطفها بالمسح على شعرها الناعم القصير . على انه تذكر في تلك اللحظة شعر الفتاة التي في داره وكان قد لمسه ذات مرة حين كانت لازمت فراشها بوجه شاحب شحوب الاموات وعيينين مغلقتين . وعلى هذا سرت قشعريرة في أوصاله فتراجع عن يده . كانت قد تراجعت عن رغبتها في دفعه إلى الخارج وتراجعت بعض خطوات وسرحت ببصرها . وشق عليه تقريراً منظر وجه الطفلة المتყع المفرع الذي امتلاً بالاحتقار والازدراء . كان صدره مفعماً بالخوف والفزع حتى أنه أحس بوخر في الصدغين والحلق حين لامست يده شيئاً بارداً في الجيب . وكان لهذا بعض تقويد فضية . أخرجها وحنا على الطفلة واعطاها النقود لأنه كان لها لمعانها ورنينها . وتنولتها الطفلة والقت بها أمام قدميه فاختفت في شق في الأرضية الخشبية . ثم أدارت له ظهرها وانصرفت ببطء . وقفبرهه من الزمن من دون حراك وخنق قلبه خفقاناً شديداً من الخوف من أن تعود

مرة أخرى وتنظر اليه من الخارج من خلال الواح الزجاج . وكان في امكانه الانصراف في تلك اللحظة . لكنه آثر أن يتربى ببرهة حتى تكون الطفلة خرجت من الحديقة . وحل الظلام بعض الشيء في البيت الزجاجي وأخذت النباتات تتحدى اشكالاً غريبة . وعن بعد برزت من الفسق على نحو مزعج فروع سوداء مهددة لامر ما ، ومن ورائها تألق بياض كما لو كانت الطفلة تقف هناك . وكان على لوح خشبي أصص فخارية فيها زهور مصنوعة من الشمع . ولكي يخفف من وطأة الزمن قليلاً عد الزهور التي غابت في جمودها الا زهار الحياة وكان لها شيء من الاقنعة ، اقنعة خبيثة ذات ثقوب للعيون ملتحمة . ولما انتهى توجه الى الباب يريد الخروج . ولم ينفتح الباب . فالطفلة كانت قد أوصده من الخارج . وأراد ان يصرخ ، لكنه خاف من صوته . وضرب بقبضتيه على الواح الزجاج . وبقيت الحديقة والدار صامتتين صمت الاموات . الا وراءه فقد انزلق بين الشجيرات شيء ما محدثاً خخششة . وحدّثه نفسه ان هذا كان صوت توقف عن الطرق وتفحص بعينين ثاقبتين الخشخشة الفامضة للأشجار والفصوص . ثم رأى في الجدار الخلفي الاغبشه شيئاً أشبه بمرربع ذي الاوراق التي وصلتها هزات الريح الرطبة فسقطت أرضاً . ومع هذا خطوط سوداء .

وزحف في ذلك الاتجاه غير مبال لأن انه كان يحطّم الكثير من الاوصص الفخارية وان الجذوع الرفيعة العالية وذؤابات الاشجار المروحة الورق كانت تتحطم فوقه ووراءه على نحو رهيب . وكان المربع ذو الخطوط السوداء جزءاً من باب انفتح امام الضفت . ولفع الهواء الطلق وجهمه وسمع وراءه الجذوع المكسرة والاوراق المهشمة تنھض مخشخشة خشخشة خافتة كما هي الحال بعد عاصفة .

وقف في ممشى ضيق مسور . ورأى فوقه السماء الرحبة . ولم يكن ارتفاع السور على كلا الجانبين ليزيد على القامة . أما الممشى فقد كان ميسورا على بعد خمس عشرة خطوة تقريبا . وفي حيرة من أمره خطأ إلى الامام . وهنا كان السور متقويا على الجهة اليمنى بمقدار عرض الرجل . ومن الفتحة امتد لوح خشبي في الهواء إلى بسطة درج قبالة السور . ولكن هذا المنبسط كان مقلقا بشعرية حديدية واطئة على الجهة الواقعة إليه وعلى كلا الجانبين الآخرين من الجهة الخلفية لمنازل عالية مسكونة . وهناك ، حيث استقر اللوح الخشبي على الحافة مثل جسر متحرك كان للشعرية باب صغير .

وبلغ من شدة قلق ابن التاجر ليخرج من نطاق خوفه انه وضع من فوره رجله على اللوح الخشبي وخطا الخطوة الثانية مركزا أنظاره على الناحية الأخرى وراح يقطع إلى الجهة الثانية . ولكنه ، لسوء الحظ ، أدرك انه كان معلقا فوق حفرة مسورة عميقه عمق طوابق كثيرة . وشعر بالخوف والاضطراب في باطن القدم وباطن الركبة وبالدوار في اتجاه جسمه كله وباقتراب الموت . وجثا وأغمض عينيه . واذ ذاك اصطدمت يداه اللتان كانتا تتلمسان إلى الامام بقضبان الشبكة . وشد قبضته عليها . واستجابت له . وبصريح خافت قطع جسده كأنفاس الموت انفتح حياله نحو الهاوية باب تعلق به . وفي الشعور بالكلال والقنوط أحس مسبقا كيف تملصت القضبان الحديدية الملساء من بين أصابعه التي بدت كأصابع طفل وهو مرتطما على طول السور . على ان افتتاح الباب البطيء توقف قبل ان تغادر قدماه اللوح الخشبي . وبدفعة واحدة رمى بجسده المرتعش من خلال الفتحة إلى الأرض الصلبة . وصعب عليه ان يفرح . ومن دون أن يلتفت ، وباء حساس غامض أشبه بالكره لتفاهمه هذه الآلام دخل أحد البيوت وهبط سلاما هملا وخرج إلى زقاق كريه حقير . ولكنه كان حزينا جدا ومتعبا ، فلم يستطع ان يتذكر شيئا بدا له

جديراً بأي سرور . وعلى نحو غريب ضاع منه كل شيء . وأحس بالفراغ والوحشة وهو يسير من زقاق إلى زقاق . ومشنی في اتجاه عرف منه انه سيعود به إلى حيث كان يسكن أغنياء المدينة وسيكون في امكانه ان يجد مبيتاً لقضاء هذه الليلة . اذا انه كان في رغبة زائدة إلى سرير . وبسوق صبياني تذكر جمال سريره الواسع وخطرت بباله كذلك الاسرة التي كان الملك العظيم في الماضي قد نصبها له ولاصحابه حين تزوجوا ببنات الملوك التابعين ، فكان للملك العظيم سرير من ذهب وللآخرين اسرة من فضة تحملها ثيران مجنة وحيوانات خرافية نصفها نسور ونصفها أسود . وفي اثناء ذلك كان قد بلغ البيوت الوضيعة التي كان يسكنها الجنود . ولم يعر ذلك انتباها . فالى نافذة ذات قضبان جلس بضعة جنود بوجوه مصفرة وعيون حزينة وصاحبوا به . عندها رفع رأسه وتنفس الرائحة الفئنة التي جاءت من الحجرة وكانت رائحة خانقة على شكل استثنائي . ولكنه لم يفهم قصدهم .

ولما كانوا قد أزعجوه وهو سائر في طريقه سادراً مشيت الافكار فقد نظر إلى داخل الساحة حين مر بالبوابة . كانت الساحة كبيرة جداً وكثيبة . ولما ان الدنيا ادغشت فقد بدت أرحب وأكثر كابة . كما ان قلة من الناس كانوا هناك . أما البيوت التي أحاطت بها فكانت واطئة وضيعة وذات لون أصفر كلون الطين . وهذا ما جعلها أكثر خواء ورحابة . وكان في أحد الموضع عشرون حصاناً تقريباً مربوطة في صف مستقيم إلى أوتاد . وأمام كل واحد منها جثا جندي في رداء من الخيش القذر وكان يفسل له الحافر . وعن بعد خرج من أحدى البوابات آخر من كثيرون مشنی مشنی ببزات مماثلة من الجنسين ومشنوا ببطء وتشاقل وحملوا اكياساً ثقيلة على الاكتاف . وحين دنووا منه رأى أن في الاكياس المفتوحة التي عتلوها خبراً . وراقبهم وهو يختفون شيئاً فشيئاً في مدخل ويواصلون

□ حكاية الليلة الثانية والسبعين □

مسيرهم كأنهم حملوا حملاً مهلكاً كريهاً ويحملون خبرهم في مثل هذه الاكياس مثلها مثل تلك التي اكتست بها كآبة أجسادهم .

ثم اتجه إلى أولئك الذين جنوا أمام خيولهم ليغسلوا حوافرها . كما أن هؤلاء شابهوا الذين كانوا عند النافذة والمذين كانوا حملوا الخبر . لا بد أنهم جاؤوا من القرى المجاورة . كما أنهم لم يتبادلوا الكلام مع بعضهم . ولما كان صعباً عليهم أن يمسكوا بقائمة الحصان الإمامية فان رؤوسهم تمايلت وارتقت وجوههم المتعبة الشاحبة وانحنى كما لو كانت عرضة لريح قوية . وكانت رؤوس معظم الاحصنة كريهة وأظهرت خبثاً من خلال آذانها التي أمالتها إلى الخلف ومن خلال الشفاه العلوية المرفوعة التي كشفت عن الانينات العلوية ، كما أنه كان لها عيوب تقلب النظر ترسل أغلبها نظارات شريرة . وكان لها طبع غريب في دفع الهواء من مناشر مائلة دفعاً ينم عن قلق وفروع صبر واحتقار . وكان الحصان الآخر في الصف قوياً بصورة خاصة وقبضاها . وحاول أن يغض الرجل من كتفه على حين انحنى هذا أمامه يجفف له حوافره المفسولة .

كان للرجل وجنتان غائرتان وعيينان مرهقتان تعبران تعبراً حزيناً حتى أن ابن التاجر غمرته شفقة عميقة اليمة . وأراد أن يروح عن البائس التعيس لحظة من الزمن بهدية وبحث في جيبيه عن نقود فضية . ولم يجد شيئاً وتذكر أنه كان أحب أن يهب الطفلة في البيت الزجاجي آخر نقوده الفضية وكانت قد رمتها أمام قدميه بنظرة ساخرة ماكرة . وأراد أن يبحث عن قطعة ذهبية ، إذ أنه كان قد دس في جيبيه سبع أو ثمانين قطع للسفرة .

وفي هذه اللحظة أدار الحصان رأسه ونظر إليه بأذنين مرفوعتين إلى الوراء في مكر ودهاء وبعینین متحركتين بدت أكثر خبثاً ووحشية لأن غرة سقطت فوق الرأس القبيح حجبت العينين . ولدى المشهد الكريه خطر بباله في لمح البصر وجه إنساني كان منسياً زمناً طويلاً . ولو أنه بذلك

قصاري جهده لما استطاع أن يستعيد ملامح هذا الإنسان بصورة دائمة . لكنها كانت الآن حاضرة . أما الذكرى التي بزرت مع الوجه فلم تكن واضحة كل الوضوح . لكنه عرف أنها تعود إلى زمن طفولته قبل بلوغه الثانية عشرة حيث ارتبطت ذكراه بطريقة ما برائحة اللوز المقشر الحلو الدافئ .

وعرف أن هذا الوجه كان وجهًا مشوهاً لانسان قبيح فقير كان رأه ذات مرة في حانوت والده . وعرف أن هذا الوجه كان شوهه الخوف والفزع لأن الناس توعدوه وهددوه لأن قطعة ذهبية كبيرة كانت في حوزته ورفض أن يقول من أين كان قد حصل عليها .

وعلى حين اضمحل هذا الوجه من جديد فقد راحت أصبعه تبحث في ثيابه . ولما أوقفته فكرة مفاجئة غامضة أخرج يده متربدة وأسقط في أثناء هذا الحليمة الملفوفة في الورق الحريري والزبرجد تحت حوافر الحصان . وانحنى . فسدّد اليه الحصان ضربة قوية بحافره أصابته في الخاصرة فوقع على ظهره . وتعالى أنينه وارتقت ركبته وأخذ يضرب بعقبيه على الأرض . ونهض بعض الجنود ورفعوه من كتفيه وباطن ركبتيه . وأحس برائحة ثيابهم ، الرائحة نفسها النتننة الباعثة على الحزن واليأس التي كانت انبعثت قبل ذلك من الغرفة وجاءت إلى الشارع . وارد أن يتذكر أين كان تنفسها قبل ذلك بزمن طويل ، طويل جداً .

وفي أثناء ذلك فقد وعيه . وحملوه على سلم وطيء عبر ممشى طويل نصف معتم إلى أحدى الغرف ووضعوه على سرير حديدي واطيء . ثم فتشوا ثيابه وأخذوا منه السلسلة والقطع الذهبية السبع ثم ذهبوا أخيراً ليحضروا له أحد أطبائهم الجراحين رحمة ورافة بأنينه المستمر . فتح عينيه بعد حين وشعر بالآلام المبرحة . والشيء الذي أخافه وأفزعه

□ حكاية الليلة الثانية والسبعين

أكثر وأكثر هو أنه كان وحيداً في هذا المكان الموحش المهجور . وبصعوبة مشقة أدار عينيه في المحجرين المؤلين إلى الجدار ورأى على لوح خشبي ثلاثة أرغفة من ذلك الخبز الذي كانوا حملوه على الساحة .

وما من شيء كان في الغرفة إلا إسراً وطيبة قاسية ورائحة حلقاء يابسة حشيت بها الأسرة ، ثم تلك الرائحة العفنة الكريهة التي تقبض الصدر . ولم يشغله برهة من الزمن إلا ألمه والخوف الخانق من الموت هذا إذا قيس الألم بهذا الخوف كان فرجاً . واستطاع أن ينسى هذا الخوف من الموت لحظة ويفكر كيف حدث هذا كله .

وهنا شعر بنوع آخر من الخوف ، خوف حاد أقل وطأة أحس به غير مرره . أما الآن فقد أحس به كأنه شيء ثم التغلب عليه . وكور قبضته ولعن خدمة الذين كانوا ساقوه إلى الموت . أحدهم قاده إلى المدينة ، والمرأة العجوز إلى حانوت الصائغ والفتاة إلى الغرفة الخلفية والطفلة بواسطة شبهاها الخبيث الماكر إلى البيت الزجاجي الذي رأى نفسه ابتداء من هنا يتعرّج ويترنح فوق سلالم مخيفة وجسور حتى انتهى تحت حافر الحصان . ثم عاوده خوف شديد خانق . ثم انتحب مثل طفل ، لامن الألم ، بل من الاسى والبوس . واصطككت أسنانه .

وبمرارة شديدة حملق في حياته الماضية وانكر كل شيء كان حبيباً إلى نفسه وكره موته المبكر كرهاً شديداً بحيث انه كره حياته لأنها ساقته إلى هذه النهاية . وهذا العنف الداخلي استهلك آخر مالديه من قوة . وأصابه دوار . وراح لحظة من الزمن في سبات مضطرب رديء . ثم أفاق من نومه وأراد أن يصرخ لأنه كان لا يزال وحيداً في الغرفة ، لكن صوته خانه . وأخيراً تقيناً مرة ثم دماً ومات مكشر الوجه . كانت الشفتان مهترئتين بحيث ان الأسنان واللهة كانت عارية وأضفت عليه سماء شريرة غريبة .



هُوَ فَمَا نَسْتَالُ وَ«أَلْفُ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٌ»

دراسة بقلم: صلاح حامد

يمزى نجاح «ألف ليلة وليلة» في الغرب الى المستشرق الفرنسي انطوان جالان الذي بدأ ترجمة «الليالي» في سنة ١٧٠٤ وفرغ منها في سنة ١٧١٧ واخرجها في اثني عشر مجلداً . ومع أن ترجمته كانت حرة وغير أمينة للنص وغير كاملة فقد صارت أساساً لكتير من الترجمات الأوربية الأخرى . وبناء على هذه الترجمات الاوربية توصل ادباء الغرب الى تقدير قيمة الليالي الادبية ، بل انهم ما كانوا يعالجونها على أنها عمل أجنبى ، بل وصل الامر بهم الى أنهم كانوا يعدونها عملاً من أعمال لفتهم التي أغنثى بها أدبهم وعمرت بها مكتباتهم ، والحق أن كتاب «الف ليلة وليلة» يعد من الكتب الاكثر انتشاراً في العالم ، اذ يكاد لا يخلو بيت او مكتبة من هذا العمل الادبي الفريد .

وتعد شهرة حكايات شهرزاد العظيمة الى اهميتها من حيث بناء الفكر وتنقيف الانسان وتهذيب النفس البشرية ، وهذا ما جعلها ترقى الى مصاف القوى التثقيفية الكبرى وتحتل منزلتها الى جانب الإنجيل وهو ميد ودانتي وشكسبير^(١) .

□ هوفمانستال و «الف، ليلة وليلة» □

هذا وان كتاب «الف ليلة وليلة» حكايات لافنى للمكتبات الاوربية عنها ، وهي مصدر متعة لانهاية لها ، بل انها اجمل هدية قدمها الشرق الى العالم ، كما أنها اغنى كتاب بالصور في العالم ، كما يقول الكاتب الروائى الكبير هيرمان هسه (١٨٧٧ - ١٩٦٢) (٢) .

ومن هنا كان اثر الكتاب في الادباء والكتاب والشعراء واسعاً متشعباً فالحكايات لاتخاطب طاقة الانسان الفكرية وحدها ، بل تخاطب الانسان الكلى . اذ ان الخيال الذي يبتكر هذا الفن القصصي يشمل الانسان والعالم الانساني والكون كله ويواجهه بالروح والعقل وقوانين الحياة .

وشاعرنا هوغو فون هوفمانستال ، النمساوي الاصل ، (١٨٧٤ - ١٩٢٩) واحد من هؤلاء الشعراء والكتاب الكثريين لم يكفهم انهم ادركوا اهمية هذه الحكايات العربية فحسب ، بل فتحوا نوافذ تفكيرهم لحكايات شهرزاد ليتلقوا شتى مؤثراتها الحية (٣) .

ان المقالة التي كتبها الشاعر النمساوي في سنة ١٩٠٧ بعنوان «الف ليلة وليلة» وقدم بها للترجمة الالمانية التي انجزها المستشرق الالماني إيتوليتمن (٤) لاتحدد علاقة الشاعر النمساوي الوثيقة بالليلي فحسب بل تقدم الدليل الحي على ما يكتنه الفرب من تقدير كبير وتمجيد عالٍ لهذا الكتاب الذي لم يلق في الشرق الا ازدراء ، وهذا ما ابعده عن دائرة البحث في الشرق وحال دون معرفة القيمة الادبية لحكايات شهرزاد ، على حين يرى هوفمانزتال في الحكايات كتاباً أدبياً لا غنى عنه لكل قاريء ، وتلك ظاهرة أساسية للأدب العالمي (٥) .

على أن السن التي تصلح للاستحواذ على حكايات شهرزاد ، وهذا يعني فهماً فهماً صحيحاً ، هي سن الرجولة ، سن النضج والوعي ، اذ أنها ليست مغامرات وأحداثاً فحسب ، بل «ان هنا عالم شعرياً» ،

□ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

« انها قصيدة شارك في نظمها أكثر من شاعر ، لكنها تبدو وكأنها انبثقت من روح واحدة . انها كل واحد ، انها عالم ليس الا . » وفي هذا العالم « الوان متعددة ومعنى عميق وخیال فیاض وحكمة لاذعة » وترتبط فيه « أجرأ الروحانيات بأكمل الشهوانیات » . وتتأثر حواسنا كلها من الأعلى الى الأدنى ، وكل ما فينا ينتعش هنا ويدعى الى الاستمتاع . انه كتاب « يجب أن يتمكن المرء من نسيانه نسياناً كلياً لكي يعود الى قراءاته بمتعة متتجدة . » .

الحق أن الشاعر التمساوي ينظر الى الحكايات ، حكايات الماضي القديم وأساطيره ، نظرة جديدة ، كما رأينا ذلك حين حللنا قصة « حکایة اللیلة الثانیة والسبعين بعد الستمائة » التي كتبها في سنة ١٨٩٥ وذلك قبل أن يكتب مقالته عن الف ليلة وليلة بعقد ونيف . ويستعين بهذه الحكايات لكي يفك رموزا دلت عليها ظواهر عصره . وعلى هذا كانت الحكايات مادة للاستعمال . فهي ليست بحكايات خيالية فحسب ، بل هي أيضاً واقع له فعاليته المستمرة ، وليس هي استحضاراً لعالم خيالي ، بل يتخذ بها موقفاً من عصره ، كما سبق لنا في تحليلنا للقصة الآنفة الذكر (٤) .

هذا وإن الشاعر الغربي لا يخفى تحفظه إزاء الترجمات الالمانية او غير الالمانية لـ«الف ليلة وليلة» ، اذ يقول في مقالته : « ان الشيء الذي سبق لنا أن شاهدناه كان ت نقحات وتعديلات وحكايات أعيد سردها . ومن ذا الذي يستطيع أن ينصح أو يصوغ من جديد كلاماً شعرياً من دون أن يحطم جماله وقوته في الصميم؟ ». .

والمحق أن الترجمات التي سبقت ترجمة إنو ليتمان كانت عديدة . فأحدث ترجمة المانية للبيالي كانت ترجمة ماكس هينينغ التي ظهرت في

□ هوفمانستال و «الف ليلة وليلة» □

ثمانية مجلدات واستغرقت أربع سنوات (١٨٩٦ - ١٩٠٠) . هذا وان غوستاف فايل (Méil) كان قد ترجمها في مجلدين ، وذلك بين سنة ١٨٤١ و ١٨٣٧ م.

ليس المهم آية ترجمة قرأ الشاعر ، بل الاهم انه ادرك ان لهذه الترجمات تقائصها . وحين قرأ الشاعر «الف ليلة وليلة» في ترجمتها الالمانية سجلت ذاكرته هذا العمل الادبي في انتقاء محدد ووجهات نظر محددة . وحين كتب قصة «حكاية الليلة الثانية والسبعين بعد الستمائة» وقصصا أخرى(*) تعود الى تلك الفترة عاد هو فمانستال الى مخزون ذاكرته وما فيه من شذرات وانطباعات ليصوغه في عملية خلق جديدة فكانت صياغة جديدة لعلم الف ليلة وليلة المتداخل المتشابك . وعلى هذا ستكون هذه القصة محور اهتمامنا ومنطلقنا الى فهم العلاقة القائمة بين الشاعر النمساوي هو فمانستال والـ«الف ليلة وليلة» ، وبيان أهمية هذه العلاقة في عالم الشاعر النثري الذي يشمل القصة والمقالة . فالعلاقة ديناميكية قوامها الحوار وتتحدد بالتملك والاقتناء .

وتحكي حكاية هو فمانستال قصة ابن تاجر اغدقـت عليه الحياة وافرـ نعمـها : الشباب والجمال والفنـى . ويموت أبواه ويترـكـان له ثروـة طائلـة . علىـ أنـ ابنـ التاجرـ الشـابـ يـأسـ حـيـاةـ الـأـنـسـ وـالـجـمـعـ وـهـوـ بـعـدـ فـيـ الـخـامـسـةـ والعـشـرـينـ . اـذـ لـمـ يـسـتـهـوـ شـيءـ إـلـاـ جـمـالـ الـأـشـيـاءـ وـالـتـأـمـلـ فـيـ الـكـوـنـ . وـعـلـىـ هـذـاـ كـرـسـ نـفـسـهـ لـتـأـمـلـ أـدـوـاتـهـ الـثـمـيـنـةـ وـمـنـسـوـجـاتـهـ الـتـيـ جـمـعـهـاـ فـيـ دـارـهـ عـلـىـ حـيـنـ كـانـ ذـهـنـهـ مـتـفـتـحـاـ لـلـمـعـانـيـ الـعـمـيقـةـ .

وكثيرا ما خطرت فكرة الموت ببالـهـ ، عـلـىـ أـنـهـ لـمـ يـكـنـ يـرـىـ فـيـهاـ شـيـئـاـ عـنـيفـاـ ، وـكـلـماـ فـكـرـ بـموـتهـ اـسـتـقـطـبـ تـفـكـيرـهـ مـوـتـ بـهـيـ "ـسـيـنـجـ زـ حـيـاتـهـ الـجـمـيـلـةـ عـلـىـ نـحـوـ جـمـيـلـ" .

□ هوفمانستال و «الف ليلة وليلة» □

وكان الى جانبه في عزلته الفردية أربعة اشخاص يشاركونه حياته وهم خدمه : إمرأة عجوز أرضعته بعد موت أولادها وكانت تذكره بأمه بعهد طفولته الحبيب ، وفتاة مراهقة منطوية على نفسها نافرة من سيدتها متجمبة نظراته ، ووصيفة أخرى في السابعة او الثانية عشرة على جانب كبير من الجمال . ومع أن فتنتها أثارت في ابن التاجر احساسا صوفيا بالجمال ، الا أنها لم تشعل في جوانحه أي رغبة أو شهوة حسية ، ثم خادم رابع كان تعرف عليه في حفل عشاء ، في دار مبعوث ملك الفرس واقيل هذا الخادم آنذاك على خدمة ابن التاجر في كثیر من الاهتمام والتواضع ، ولما ترك العمل في بيت المبعوث الفارسي استقبله ابن التاجر خادما في منزله . وكان هذا شديد التعلق بسيده وشديد الحرص على راحته .

وفي الصيف كان ابن التاجر ينزع الى الجبال الى مقره الصيفي برفقة خدمه ، على حين كان يجلس في حديقته الفتاء يطالع اسفار الحروب والفوزات .

وذات يوم تأتيه رسالة من مجهول يتهم فيها خادمه الامين بجريمة بشعة كان قد ارتكبها في منزل سيده السابق ، وتحمل الرسالة سيلا من التهديدات ، حتى ان ابن التاجر نفسه لم يسلم من لهجة التهديد والوعيد . ويغضب اذ لا يريد أن يتخلى عن أحد من خدمه الذين التحوموا به وصاروا جزءا من كيانه بحكم العادة وبحكم قوى أخرى مجهولة . ويختفي أمر الرسالة عن خادمه ويقرر الذهاب الى المدينة لعله يجد هناك ما يلقي الضوء على القصة الغامضة المزعجة . وحين يصل لا يجد في دار المبعوث الفارسي من يستطيع أن يزوده بالمعلومات فيقرر ان يعود في وقت آخر .

□ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

ولما كانت داره في المدينة مقلقة والخدم في البيت الصيفي فقد راح يبحث في المدينة عن مكان يقضي فيه ليلته مثلما يفعل الغرباء في مدينة غريبة .

وتفوده قدماء الى حي فقير لم يستطع ان يتذكر انه طرقه من قبل . ويواصل السير حتى يجد نفسه امام حانوت صائغ متواضع ، ويلفت نظره في معارضات النافذة حلية قديمة تصلح هدية للمرأة العجوز ، ويدخل ابن التاجر يشتريها مع سلسلة ذهبية اخرى لوصيفته الحسناء التي تقدم له أطباق الفاكهة والحلوى . ومن النافذة يرى حدائق خلفية فيها بستان لحفظ النباتات . ويرغب في رؤية المشتلين ويساعده الحانوتى في فتح الباب المغلق ثم يتركه يجول في الحديقة التي بدت كأنها مهجورة .

ويلوح له وجه طفلة في الرابعة تحملق فيه في غضب من وراء زجاج المشتل وتذكره سيماؤها بالفتاة الانطوانية المراهقة ، وتحاول الطفلة ان تمنع ابن التاجر من دخول المشتل ، ثم يرى وجهها حقدا دفينا موجها اليه ، ولكي يطرد الذعر من نفسه راح يتحسس شعرها ، على انها تنفر منه ، فيعمد الى ارضائها ببعض النقود الفضية ، لكن الفتاة ترمي بها ارضا وتنصرف من المشتل غاضبة وتغلق الباب عليه من الخارج .

وبعد لاي يخرج ابن التاجر من مخرج خلفي قاده الى زقاق ضيق حquier . ويجد نفسه تائها يضرب على غير هدى تدفعه رغبة في الراحة والنوم على سرير وثير في حي الاغنياء .

ويمر بشكبة عسكرية يفسل فيها الجنود حوافر الجياد بوجوه صفراء وعيون متعبة . ويرى في آخر صف الخيول حصانا بدا اكثر رعونة وأشد رغبة في العداون على حين استلقى من تحته جندي هزيل يجفف له

□ هوفمانستال و «الف ليلة وليلة» □

حوافره على حين حاول الحصان أن يعضه من كتفه ، ويرق له قلب ابن التاجر ويرغب في أن يروح عنه بهدية ولو كانت نقوداً ويذكر أنه ما زال لديه بعض القطع الذهبية .

وما أراد أن يخرج أحدها سقطت الحلية تحت حوافر الحصان الارعن . وحين ينحني ليلتقطها يسدد الحصان ضربة قوية تصيبه في مؤخرة ظهره وسقطه أرضاً . ثم يتعالى صراخه وainه . ويحمله الجنود إلى أحدى غرفهم المظلمة ويضعونه على سرير حديدي لا يصحبه إلا الفزع من الموت . ويلعن خدمه الذين ساقوه إلى هذا المصير ، كما يلعن حياته لأنها انتهت بهذه النهاية البشعه . ويريد أن يصرخ وهو في وحدته وانفراده ويخلونه صوته ، وأخيراً يتقيأ مرة ثانية ويموت مكثراً الوجه وتتعرى الأسنان واللهة وتضفي عليه سماء شريرة غريبة .

ان أول ما يلفت انتباهنا في قصة الشاعر النمساوي هو عنوانها الذي يدل دلالة واضحة على أن هناك صلة مباشرة بحكايات ألف ليلة وليلة . فالحكاية مرقطة كحكايات شهرزاد ، كما أن الثوب الشرقي ، ومكان الحادثة يكاد أن يكون شرقي الطابع حيث أنه كان يطيب للشاعر ، كما طاب لغيره أبداً ، أن يطوف بخياله في أرجاء الشرق .

وباديء ذي بدء يخيللينا أن هناك تقاربياً أو شيئاً من التقارب في الشكل والمضمون بين قصتنا هذه وقصص شهرزاد ، إذ يتكلم الشاعر الغربي كما تكلم القاص الشرقي بلغة الرموز والاطفال . ومع هذا ، ورغم أن الشاعر تزيلاً بزري مطرز بخيوط مشرقية ، بأن شخصيته بما فيها من مقومات خاصة وما اشتغلت عليه من خصائص ومشاكل لتفرض نفسها على مسار القصة وتحدد قالبها الفني من بدايتها إلى نهايتها .

□ هوفمانستال و «الف ليلة وليلة» □

ان الشيء المشترك بين ابن التاجر في قصتنا هذه وابناء التجار والامراء في حكايات الف ليلة وليلة هو لفني والشباب والجمال ورهافة الذوق ورقة المشاعر والاتصال بالحكام .

انها قصة قصيرة لا يجاوز طولها العشرين صفحة وتتألف من قسمين رقمهما الشاعر القاص ترقيما رومانيا ويختلف القسمان في الطول . فالقسم الاول اشبه بمقيدة تصور لنا المناخ العام الذي يضم ابن التاجر وخدمه الاربعة الذين تربطه بهم علاقة سرية عجز عن ان يفسر طبيعتها . بل ان القصة اشبه بلوحة فنية مؤلفة من منظرين متباينين من بعضهما في الموضوع والالوان . فالصورة الاولى تمثله في منزله وحدائقه وهي صورة مصفرة عن حياة النعيم ، حياة ملؤها الامن والاستقرار والحماية وتحف بها الطيوب ، فلا شيء قبيح يعكر صفوه ، لا هم ولا ألم ولا ذكرى ولا حاجة ، حتى فكرة الموت لم يكن يرى فيها شيئاً عنيفاً ، فابن التاجر يعيش في قناعة روحية لا يجامد احداً ولا يسيء الى احد . وتمثله الصورة الثانية في اللوحة الفنية وهو يغادر هذا العالم المألف ويدخل عالم آخر يجهله كل الجهل ، ولا يدخله عن رغبة او ارادة ، وهذا العالم هو عالم القبح والعماء . والصورة هنا بالوانها وتقاطيعها صورة مصفرة عن الجحيم . ففي هذا العالم يفقد كل شيء معناه ، ولم يعد الانا الضمان الوحيد ، فحين يتجرد العالم من المرأة يصير فيه كل شيء هاوية وقاعاً .

ان حديقة ابن التاجر الشاب صورة مناقضة لعالم الآخرين ، عالم الفقر والقبح والظلم ، وهي موجودة لكي ينسحب اليها ويلوذ بها من واقع غير متجانس ، كما ان الرسالة التي تحمل الاتهام الصريح لخادمه هي وسيلة فنية لا تحمله على السفر ولا تخرجه من حياة وادعة آمنة فحسب، بل تكسب القصة سمة الطرافه او الفجاءة ، لتقترب من حكايات الف ليلة وليلة .

□ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

ان الدافع الى سفر ابن التاجر هو البحث عن معرفة موضوعية مطلقة ؛ أما في الف ليلة وليلة فكثيراً ما كانت حياة الاسفار مبعثاً للفخر لبناء التجار وغيرهم .

ومع ان هؤلاء كانوا ينتقلون مثل ابن التاجر في قصة هوفمانستال من حالة اشبه بحالة البراءة والامن والاستقرار الى حالة اشبه بحالة الجهل والتشتت والضياع ، الا ان نهاية ابن التاجر هي الموت على حين تصور لنا حكايات شهرزاد ابطالها وقد فازوا بما خرجوا من أجله .

ان كل ما يمر به ابن التاجر ويصادفه في سفرته القصيرة يشير الى النهاية التي آل اليها . ان مصيره ليترسم في صورة الابواب المغلقة بدءاً من باب المبعوث الفارسي (*) إنْ بحثه لن يتحول الى عمل ايجابي تكتمل به حياته ويتحقق به وجوده الانساني ، بل ان ما يتخلل هذا البحث من احداث وامور غريبة يعمل عمله في تهيئه النهاية المقدرة له وهي الموت تحت حوافر حصان ارعن في فناء ثكنة عسكرية . وفي حجرة مظلمة خلت من كل شيء الا من الروائح الكريهة النتنة . فكل ما في القصة من بشر وحيوانات ونباتات وأحجار وبيوت وحدائق وابواب يوحى بأن هناك اتفاقاً على ابن التاجر الشاب حيث ان كل شيء يتم على نحو بسيط وغير ملفت للنظر (٥) .

ويضل ابن التاجر سبيلاً وكان شيئاً لم يكن ؟ ويقوم ضياعه في ان الاشياء من حوله لا تحرك ساكناً ولا تعرّه انتباها ، على غير ما نعرفه في حكايات ألف ليلة وليلة ، اذ أن البطل يجد من ينتشله من محناته ويساعده في شدته ويرشه في لحظة ضياعه . وتختلط فكرة التيه حكايات ألف ليلة وليلة ، اذ يضل ابطالها سبلهم لامر مقدر .

ويرى ابن التاجر نفسه « في حسن ملك ضل أثناء الصيد وهو يواجه في غابة مجهولة تحت اشجار غريبة مصيراً عجيباً غريباً » (٦) ؛ وفي مقالة

□ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

الف ليلة وليلة ، يتناول هوفمانستال فكرة التشبه هذه اذ يقول : « كم اشبهنا اولئك الامراء الذين تاهوا عن اوطانهم وابناء التجار الذين مات آباؤهم واستسلموا للاغراءات الحياة » (٧) . على ان كل ما يخطط له ابن التاجر او يتوقعه يتعارض مع الواقع الذي يواجهه في المدينة .

ان دكان الصائغ محطة مهمة من المحطات التي يرسمها القدر لابن التاجر الذي لم يخطط لذلك ؛ وستذكر هذه المحطة ابن التاجر بخدمه الذين تركهم وراءه ولن تكون له رجعة اليهم البتة . وهنا سيشتري الهدية التي ستكون سبباً لموته .

والحق ان البحث عن هدية من طبيعة حكايات الف ليلة وليلة . على انه ليس للهدية التي ينتقيها الطابع السحري الذي تتصف به هدايا شهرزاد ؛ ويعدم هو فمانستال هنا الى ابطال عنصر السحر بصيغته الشعبية القديمة ويستعيض عنه بشيء آخر هو الافتتان بحيث يكون للقصة مدلولها الواقعي وحضورها الادبي . على انه لا ينسى أن مثل هذه الاشياء يجب ان يكون لها قدمها ، فضلاً عن ان وسائل الاقناع عند التاجر الصائغ تميز بروح مشرقية .

هذا وان الشاعر النمساوي يلجأ الى توظيف عنصر الفضول ، كما هي الحال في الف ليلة وليلة ؛ اذ ان الفضول يدفع ابن التاجر الشاب الى دخول حديقة ليست بحديقته ، كما كان الفضول يقود ابطال شهرزاد الى عالم غريب عجيب . وفي الحديقة التي لم ينفتح بابها بسهولة في وجه ابن التاجر يجتذبه بيتان زجاجيان ، احدهما مفتوح والآخر مغلق ؛ ففي الاول « كثرة من النرجس والشقائق النادرة واوراق طبيعية نادرة كل الندرة وغربيّة عنه . » (٨) وهنا يبرز التضاد بين عالم حديقته وهذا العالم الغريب . فالاوراق والنباتات العجيبة خاصة بهذا المكان الذي

□ هوفمانستال و «الف ليلة وليلة» □

ينتمي الى عالم الحاكية التي تصفه شهرزاد . ويجب أن يكون للعالم الجديد سحره الغريب لكي يجذب البطل اليه وينساق الى المصير الذي ينتظره .

لا شك أن عنصر الجذب والتشويق هنا أضعف مما هو عليه في الليالي . كما إننا نفتقد في قصة هوفمانستال الى مشهد الاستقبال او الترحيب الحار الذي تصوره لنا حكايات شهرزاد وذلك حين يدخل البطل مقصورة الحديقة او الفسطاط او سرادق الخليفة ويفاجأ وكأنه على موعد مع المجتمعين .

ان الطفلة الصغيرة التي تعرض طريق ابن التاجر وتحاول طرده من المنشل لا تلبث أن تخفي بعد أن تؤدي دورها المتمثل في بلبلة افكار ابن التاجر الشاب واسعهاره بأنه غير مرغوب فيه بحيث يصلب عليه فيما بعد، أن تميز الجهة أو الطريق التي يسلكها .

ويعود اختفاها الى أنها لا بد ان تكون روحًا ينتمي الى عالم غير إنساني او جنية ظهرت بمظهر الفتاة المراهقة اذ يجمعهما شبه عجيب يصل الى حد الشبه في التشوّه الذي منيت به الفتاتان وهو أن أحد الكتفين أعلى من الآخر . على أنها جنية شريرة « نظرت اليه نظرات هامدة غاضبة شريرة » ، وكل ما في الطفلة « عبر عما القوى في روعة المهوو والفزع » لا^(٨) ، مثلها مثل الجنية في حكاية « علاء الدين أبي الشامات » التي تمثلت له بصورة زبيدة وتظاهرت بالموت وشقت القبر وخرجت منه «^(٩) .

اما الثكنة العسكرية ، المحطة الاخيرة لابن التاجر ، فهي المكان الوحيد المنفتح وهو نقيس للحديقة ، حديقة منزله في الجبال (*) . فبشاعة الرجال والخيول والراية الكريمة القابضة والاردية القدرة لا تشير فيه الا الشعور بالخوف من شهر يتربص به . حتى ان الحصان

□ هوفمانستال و «الف ليلة وليلة» □

القبيح المنظر ليذكره بصورة انسان تعود بها ذاكرته الى زمن الطفولة .
« كان وجها مشوها لانسان قبيح مسكون كان رآه ذات مرة في حانوت
والده » (١٠) .

وليس بمستبعد ان يكون هذا الحيوان القبيح جنبا ايضا ، حيث
ان الجن يتخذ في الحكايات هيئة حيوانية وبشرية (١١) . ويقوم دور هذا
الحيوان في تنفيذ حلم الموت في ابن التاجر ، مع ان ابن التاجر اخذ
يموت موتا بطبيئا قبل ان يغادر حدائقه الفناء او جنة نعيمه ومنذ اللحظة
التي داهمه فيها هاجس الموت .

والحق انه لا يخاف الموت الا لانه خشي الحياة ؛ كما انه لا يطمئن
الى الموت لانه لم يعش الحياة بحرارة وعمق كما يفعل ابطال شهرزاد ،
اذ تربى (الليالي) ابطالها على الحياة وتصورهم شديد الالتصاق بالحياة ،
فلا يستقر قون في الاحلام وافكار الموت ، كما يفعل ابن التاجر الذي شفله
عن الحياة تفكيره بالموت ، واستفراده في التذكرة والتوقع .

انه لم يعش لانه لم يفهم ما يمكن ان تكون عليه الحياة الحقيقة ،
انه يعيش حياة هي مرآة ذاته ، ولم يقبل على الحياة على انها شيء حقيقي
يهمه ، كما سيدرك ذلك عند مواجهة الموت ؛ وعلى هذا كانت فكرة تنبأ به
على نحو شديد حين كان ينتشى بالتفكير بأفكار جميلة او بحسن شبابه
وعزلته (١٢) .

ان الموت في مفهوم الف ليلة وليلة ليس رفضا للحياة او نقضا لها ،
بل هو باطن فيها وملازم لها ؛ وعلى هذا يدرك ابطال الحكايات ان حب
الحياة يجب ان ينطوي على حب الموت . وما غياب الخوف من الموت الا
دليل على الاحساس النابع من التوكل على الله ، وأن الرزق رزق الله .
والاتكال على الله فكرة اخلاقية تتخلل الحكايات على حين يطرحها ابن التاجر
من دون ان يلتزم بها عمليا .

□ هوفمانستال و «الف ليلة وليلة» □

ان عبارة « قدماك تسيران بك الى حيث ينبغي ان تموت (*) ». مستوحاة من أبيات الف ليلة وليلة على حين تطرح الحكايات فكرة التسليم للإيمان بالقضاء والقدر على انهما مرتزق قوي للبطل في حركاته وسكناته وهذا يعني القبول بما هو كائن موجود يخضع لمبدأ العدالة والكمال الربانيين . وهذا لا ينفي الجانب الايجابي الذي يميل الى توكييد الفعل وتوكيد الحياة عن طريق الفعل والعمل ، اذ ان الحياة ، حياة الفرد، وقف على الاشياء وعلى الاحياء الاخرى التي تستطيع ان تحدد مصيره كما يحدد هو مصيرها . ولما ان كل شيء يرتبط بالآخر بنوع من السببية فإنه يبطل التمييز بين المصادفة والاحتمالية . فالارتباط الدنيوي في الف ليلة وليلة امر مسلم به ، وليس نتيجة لعملية ادراك داخلية ، بل نتيجة للايمان باحتمالية ربانية وايمان بالله عادل قادر . انه الایمان بالمصير المقدر له من إله عادل قادر . وهذا ما سماه الشاعر النمساوي هو فمانستال بالازلي الذي يخلق بصفاء وحرية فوق آلاف المصائر المتشابكة (١٢) ؛ وعلى هذا يسلم بطل الف ليلة وليلة بقدره عن طيبة خاطر وي الخاضع له ويعرف ان الدنيا لا تثبت على حال واحدة وأن الخطوط تنقلب . ولئن كان للقدر الدور الكبير اذ يجعل من المرء أدوات مسخرة لتقبل النتائج فان ابن التاجر في قصة هو فمانستال يلعن الظروف التي فعلت فعلها كمؤشرات خارجية قادته الى هذا المصير ، لكنه ينفي بذلك الشعور بتبعيته للمصير وتسليميه للرادة العليا التي تهيمن على الاشياء ، ولما انه يلعن حياته ولا يبارك النهاية التي آل اليها فانه يرفض الحكم الذي نزل به ، مع ان ارتباط النهاية المؤلمة بالبداية الحلوة الجميلة كارتباط النتيجة بالسبب والتوبة بالذنب (١٤) . ان في لعنة الحياة تعبيرا عن انه لم يقر بالواقع ولم يقبل به . ان الكيفية التي مات بها ابن التاجر الشاب لتلقي ضوءا على طبيعة حياته .

□ هوفمانستال و «الف ليلة وليلة» □

وللموت هنا دور مزدوج : انه ينتقم للحياة التي اعرض عنها ابن التاجر اعراض المزدرى ، لذلك كان خوف ابن التاجر من الموت تعبيرا عن غياب المشاركة في الحياة ودليل على فراغ هذه الحياة . وعلى هذا يقول هو فمانستال في هذا الصدد : « ليس على المرء ان يقف موقف المشاهد ، انه سيمرض مما لم يعش » . فالحياة ليست تلك التي منحت للمرء ، بل ان الحياة هي التي يعيشها هذا المرء . كما ان الحياة لا تسمح بأن تكون موضع سخرية ولا مبالغة . فاذا نفذناها ارتدت علينا خصماً لدوداً والقت جبالها حول اعناقنا(١٥) .

هذا وان الحياة نسيج من المسؤولية والذنب . فمن يحاول أن يتخلص من الحياة لكي لا يقع في الذنب توأن عن الحياة من دون أن يتبعده عن ارتكاب الذنب . فالمسألة هنا ليست مسألة القيام بعمل ينطوي على الشر ، بل هي مسألة وجود زائف وذنب ارتكبه ابن التاجر بحق نفسه وحياته . فتهربه من الحياة يعني تهربه من امكانية القيام بأي عمل يكون فيه اختبار للنفس بأنها أمارة بالسوء . مما هو في هذه الحال إلا مأفوك أحمق وضع نفسه خارج كل اغراء وكل مسؤولية وهذا يعني خارج الاخلاق .

ليس من شك ان ابن التاجر بريء ؛ على أن البراءة التي يتسم بها ليست ضمانا له من الخطر . بل أنها الخطر نفسه (١٦) .

هذا وان للموت ايضا دور القاضي الذي يقضي في أمر حياة ضائعة . والخوف من الموت صفة للانسان الذي لم يأخذ كفايته من الحياة ولم يدرك أن الوجود الانساني موجود من أجل الموت حيث ان هذه الحقيقة يجب أن تقوي تصميم الانسان على الحياة فيعيشها منعما « بفنائهم الحياة الرائعة » كما يفعل ابطال ألف ليلة وليلة الذين يفوزون باللذة ويعيشون

□ هوفمانستال و «الف ليلة وليلة» □

في هناء الى ان يأتي « هازم اللذات ومفرق الجماعات » . فمن اجل الحب والخير والاحسان لا يتركون فكرة الموت تسيطر على تفكيرهم ؟ انهم يؤمنون ان الموت بيد الله ، ولا بد انه آت بحسب الاجل المحدد . ويدرك هوفمانستال هذه الحقيقة ، وعلى هذا يكتب في يومياته : « حين اعتقد اني تعلمت ان احيا سأكون تعلمت ان اموت (١٧) » .

ان الموت في نظر هوفمانستال نهاية لكل الاكاذيب والنسبيات والاوهم والاخاديع . ويموت ابن التاجر ، على ان الوجه المشوه يحتفظ بذلك التعبير الغريب وتلك السيماء الفاضبة الشريرة ، ويكسو الوجه قناع مخيف ، وهذا يعني ان الموقف لم يتم عن وفاق مع الحياة والموت ، اذ ان ابن التاجر لم يكن ليتمنى هذا الموت . فما اوصله الى هنا ليس جسرا تحمله اسود مجنة ، بل معبر ضيق فوق حفرة مسورة ، وتبين قصر الموت بأنه ليس الا حجرة مظلمة كريهة في ثكنة عسكرية تملؤها الروائح النتنية (١٨) .

لقد أراد الشاعر الغربي ان يكون لقصته هذه طابع الحكاية كان تقرأ مثل اية حكاية اخرى ، فتتمتع القاريء من جهة ، كما تفعل حكايات الف ليلة وليلة ، وتحادثه بلغة بعيدة عن التزويق والتنميق لتفتح عينيه على مالا يراه .

لقد افاد الشاعر التمساوي من حكايات شهرزاد في انها ، رغم جنوحها الى الخيال ، لا تفارق ارض الواقع ، وبرى ان « الحياة الشديدة الروعة تسود هذا الكتاب كلبا » ، وفضلا عن ذلك ففي عالم الف ليلة وليلة « الوان متعددة ومعنى عميق وخیال فیاض وحكمة لاذعة » .

ان لحكاية هوفمانستال معنى حسيا ، كما هي الحال في الف ليلة وليلة ، على ان وراء هذا المعنى الحسي معنى آخر رفيعا . ونحن نتارجح

□ هوفمانستال و «الف ليلة وليلة» □

بين هذا المعنى وذاك الى ان نصل الى ما هو سام ورفيع ، وعلى هذا فحكايات الف ليلة وليلة ليست للتسلية فحسب ، بل ان فيها معانٍ رمزية وترمي لفتها الى ان « تجعل الحسي أكثر حسية والحيوي أكثر حيوية » ومن خلال مسامات اللغة الشعرية البسيطة تتنفس نسيم عالم قدسي تزدحم فيه العفاريت والجن والملائكة وتظهر فيه « حيوانات الغابة والصحراء وثورة مهيبة كالآباء الاولين والملوك . ٠ ١٩) »

ومع ان هوفمانستال ، الفنان المرهف الحس ذا النزعة الجمالية ، عاش في بداية حياته الادبية حياة الصالونات ترفا وفكرا ، الا انه خبر الطرد المفاجيء العنيف من هذه الحياة الجميلة الى عالم كريه خانق ، اذ نجده بين خريف سنة ١٨٩٤ وصيف ١٨٩٦ جنديا تطوع بمحض ارادته في فرقة الخيالة في الارياف وهو ابن مدينة فيينا وشاعرها المدلل وسليل أسرة بورجوازية غنية وكان نجمه تالق في اوربا وهو لم يجاوز الثامنة عشرة مثل ابن التاجر غني وموهوب وصفير السن ٠

والقصة التي بين أيدينا تعود ، اذا ، الى سنة ١٨٩٥ ، وقد كتبها الشاعر وهو في الواحدة والعشرين . وتشكل تلك الفترة التي أمضاها في الجنديه الاختيارية عطفة مهمة في حياة الشاعر وفكره .

ويشير الى هذا التحول في احدى رسائله تاريخ ٤/٥/١٨٩٦ اذ يقول : « كل شيء قبيح وبائس وقدر : الناس والخيول والكلاب والاطفال ايضا . ٠ ٢٠) »

وفي رسالة أخرى تاريخ ١٨٩٦/٥/٢ يكتب ايضا : « إني لا صبح مفهومي عن الحياة ، مما هي الحياة في نظر معظم الناس انها أكثر كآبة وعتمة وأحط مما يطيب للمرء ان يتصوره ، بل أكثر حقاره وضعفه . ٠ ٢١) »

وفي القصة يعدل الشاعر من ملامح الجنود الذين لبسوا اردية الخيش القدرة ليقوموا بالعمل اليومي المألف الذي يتمثل في تنظيف الاسطبلات وحس الخيول بالمحسات وتنظيف حوافرها ، ويعرضهم أمامنا وكأنهم جنود شرقيون بوجوه منغولية صفراء .

ويكتب في يومياته تاريخ ١٨٩٤ : « عمل كثير في الاسطبلات نهوض في الرابعة صباحا . الخيالة والخيول ينامون كالآموات على القش . » .

لقد خرج هو فمانستال بتجربة جديدة تتنافى مع الواقع الاستقرائي وارستقراطية الفكر . وادرك أن الحياة الجميلة تجرد الإنسان من كل قوة وتضعفه أمام الواقع ، وبذلك أدرك ضعف جيله وقصور الحياة الجميلة .

فالواقع لا يكشف عن وجهه المخيف الا اذا ادار المرء له ظهره واختار ذلك النوع من الحياة الحلوة الناعمة المترفة ، كما هي الحال لدى ابن التاجر . وعلى هذا يصور لنا هو فمانستال خطورة هذا النوع من الحياة التي تتنكر للواقع وتعالى عليه .

وابن التاجر شبيه بهو فمانستال الذي ينتمي الى الجيل الذي تربى تربية انحصر اهتمامها في تقوية ميول الطفل الفنية أكثر من تشجيعها له على الانخراط في الحياة العملية والقيام بعمل أو وظيفة .

وهو رمز للطبقة التي تكونت من النبلاء والبورجوازيين وانفصلت عن واقعها وانسحبت من الحياة العملية وغابت بوجودها في لجة المتعة الذاتية الجمالية . فطاقاته لم تعد مرتبطة بشيء خارجي ، بل توجهت الى الداخل ، الى اعمق النفس ، وهذا ما جعله يمل مجالس الانس ويعيش في محراب الفن في دائرة تأملاته الصوفية .

□ هوفمانستال و «الف ليلة وليلة» □

ان عالم ابن التاجر الشاب هو عالم الانانية (النرجسية) التي لا تفلح في اختراق جدر العزلة بحيث يصل الى الآخرين ، فهو لا يرى الا نفسه ، وعلى هذا فهو يعيش حياة هي مرآة ذاته . واذا ماتحطم جدار العزلة النرجسية البفوضة فانه في الوقت نفسه تخل عن آخر أمان له في عالمه الشعري الصوفي .

الحق أن خروجه من المنزل الريفي يعد مواجهة مباشرة مع الحياة وواقع الطبقة الفقيرة في الاحياء والازقة الحقيرة البائسة . وما عالم الفقراء الا البيئة الفرببة التي يريد أن يهرب منها ويلجأ الى البيئة الجميلة التي هي عالم لاغنياء . انه يهرب من هم أقل حظا من غيرهم .

فبدلا من أن يوليه اهتمامه يتصدق عليهم . وبالمال لا بالحب يحاول ان يحل الصعوبات التي يتعرض لها . انه يتصرف على هذا النحو طبقا لطريقة طبقية في التعامل مع الناس والحياة ، فبواسطة المال يحاول ابن التاجر أن يخلص روحه .

انه ليس من السهل ، بل انه لمحال على هو فمانستال أن يرى نفسه وحيدا منفردا ، ذلك لأنه يرى أن لكل علاقة انسانية تربط انسانا بانسان معنى سريا . وعلى هذا يكتب في « رسائل عائد » :

« لا أريد أن أقوى في أعماقي ما يعزلني عن الناس . » (٢٢) .

والحق أن خدم ابن التاجر أكثر واقعية من سيدهم . فهم ينظرون اليه بصمت وأسى . اذ ينتظرون منه أن يملأ عليهم حياتهم الفارغة بالحب والاهتمام . فهو ، من الناحية الاخلاقية ، قاصر وعاجز عن ان يتوصل اليهم ، وعلى هذا يبقى وحيدا وبعيدا عن كل واحد منهم بالدرجة نفسها والمسافة نفسها .

□ هوفمانستال و «الف ليلة وليلة» □

ان محاولة الفتاة الكبرى لجذب انتباه ابن التاجر تفصح عنها لغة العيون فيتجلى في المطلب المزعج والرغبة في الحب . انه نداء المرأة للرجل الذي رفض ان يلبي هذا النداء لأن « قصوره الانساني الفامض » حال بينه وبين تلبية تلك الرغبة ، « شيء واحد سيطر على قلبه وتفكيره وهو انه عرف ان اعين الفتاتين كانت مركزة عليه ، وأن في عيني الكبرى الخاملتين الحزينتين مطلبا مزعجا وفي عيني الصغرى كان انتباه واحتراس ازوجه اكثر من اي شيء آخر (٠٠٠) لما فيه من قلق وفروغ صبر وسخرية واستهزاء . » (٢٣)

ان موقف الرفض الذي يتخذه ابن التاجر ازاء الفتاة الكبرى ليقابلها موقف رفض من جانب الفتاة الصغرى التي تتصف نظراتها بالخبث والمكر والنفور والازدراء .

ان رفض ابن التاجر نابع من شعوره « بقصوره الانساني في الفامض وعدم احساسه بأية عاطفة حسية تجاه المرأة . » (٢٤) حتى الجمال الذي له اثره في نفوس البشر في عالم الف ليلة وليلة لا ينقذ ابن التاجر ، على حين بعد الجمال سر وجود ابطال الف ليلة وليلة ، اذ تجعله الحكايات حتمية ضرورية ليكون البطل محبوها .

فقرن الزمان ، مثلا ، « صار كل من رأه يفتتن به ويتقدم اليه ويбоس يده ويسلم عليه وذلك لما اعطاه الله من الحسن والجمال والبهاء والاعتدال . » (٢٤)

الحق أن سر متعة ألف ليلة وليلة ليقوم في معانقة الروح للمادة وعدم الفصل بين الحسي والمعنوي ، « فما يجعل كل شيء متماسكا هو طبيعة حسية او شهوانية رفيعة كاملة لانظير لها » وهذه الشهوانية او الطبيعة الحسية الهائلة هي في نظر هوفمانستال عنصر، مثلها مثل الضوء في لوحات

□ هوفمانستال و «الف ليلة وليلة» □

الرسام الهولندي رامبرانت (1606 - 1669) او مثل اللون في لوحات الرسام الايطالي تيتسيان (1477 - 1576) ... ولما ان هذه الحسية او الشهوانية اللامحدودة : «تضيء نفسها من الداخل بضوئها الخاص بها فان هذا الكل هو في الوقت نفسه مطرز بروحانية شعرية يلزمنا عندها اكثراً انواع البهجة حيوية ونشاطاً نصبح بها أقوى وأعظم بدءاً من اول انتباه وحتى الفهم الكامل . » (٢٦) .

والكثير من المواد يتناول أدنى جوانب الواقع وأقصاها . « وهذا العالم الدنيوي لا تمثيل له ويختاله انساط لاحدود له ومرح طفولي جارف باق يشبك كل شيء ويضم ويجمع كل شيء : الخليفة والصياد والجني والبائعة المتجولة ، أجمل الجميلات والشحاذ الأحدب جسداً الى جسد وروحاً الى روح . » (٢٧) .

وفي محاضرة القتها الشاعر في سنة ١٩٠٧ بعنوان «الشاعر وهذا العصر» يطرح السؤال عن موقع الشاعر ومهمته . فالعصر في تشوشه وتتنوعه لم يعد يسمح للشاعر ان يواجهه في صورة اسطورية كبرى، كان يواجهه في هيئة الكاهن او الرائي او النبي ، بل انه ينزله من برجه العاجي ويلقى به في معمعان الحياة ، في الاسواق والازقة ، لا يعرفه أحد ولا يلتفت اليه أحد ، يقيم في بيته ، بيت العصر ، تحت السلم حيث يرى ويسمع الجميل ، المرأة والطفل ، العبد والخادم .. وما عليه الا ان يجرب كل شيء يعني كل شيء . فهو الرفيق المتخفي المجهول ، لا بل الاخ الهديء لكل الاشياء . » (٢٨) .

فلا أهمية للفن اذا لم ينبع عن الواقع .. يقول هوفمانستال في مقالته عن الف ليلة وليلة مؤكداً هذه الحقيقة : « وما أهمية هذه الاشعار لو لم تنبثق من عالم دنيوي ؟ » الحق ان للفن استقلالية ، الا ان الواقع

□ هوفمانستال و «الف ليلة وليلة» □

ايضا مطالبه وحده . والمسألة هنا هي مسألة وحدة كبرى يتبادل فيها الفن والحياة التأثير في عملية مشمرة . ولا يرى هوفمانستال في الفن ما يوجبه على الانفصال عن الحياة ، بل ان في امكانه ان يصبح طريقا للشاعر الفنان الى الحياة . كما ان الفن يكتسب قيمته الواقعية من خلال التأثير في الشيء الواقعى .

ان لـ«الف ليلة وليلة» غرضا وجوديا يتجلی في مساعدة القارئ على الشعور بوجوده من جهة وعلى الاستمتاع بهذا الوجود من جهة اخرى . وبهذا يتحقق الشرط لعلاقة متبادلة بين الفن والمجتمع وبين الطبيعة والحضارة . ومن مزايا حكايات شهرزاد أن السمة الأخلاقية تبقى مستترة تحت لباس الحكاية ولا تفرض نفسها على أنها مبدأ .

وقد تعلم هوفمانستال كما تعلم غيره من «الف ليلة وليلة» ان أساس الشيء الجمالي هو الاخلاق ، وبهذا يسلم بارتباط الفن بمقولات اخلاقية ، كما يسلم بتبعية الفن لهذه المقولات من أجل وحدة كبرى تجمع الفن والحياة في عملية خصبة . وما «الف ليلة وليلة» الا كتاب ادبي يلازم الحياة ، كل الحياة ، فلا يتعالى على الحياة الوضعية ، حياة الفقر والقبح والظلم ، بل يتوجه اليها ، مثلما يتوجه الى حياة الامراء والملوك والاغنياء .

ولا يدعو شاعرنا هوفمانستال الى الانغماس المطلق في ملذات الحياة ولا العزوف المطلق عنها . انها فلسفة «الف ليلة وليلة» التي يعبر عنها قول الوزير شمامس للامير وردخان : « قد سمعت ما ذكرت من أمر الدنيا والأخرة ، ولكنني رأيتما مسلطين على الانسان فلا بد من ارضائهما معا وهما مختلفان . »^(٢٩) ان الرهبانية رفض للدنيا ، وبلغة الشاعر النمساوي تمثل الرهبانية ، رهبانية ابن التاجر الشاب ، الاتجاه الجمالي المطلق في الفن ، وقد استمد هذا الاتجاه موضوع الفصل بين الفن والحياة من

□ هوفمانستال و « الف ليلة وليلة » □

الرمزيين الفرنسيين ، وتبناه في المانيا الشاعر ستيفان جيورجه (١٨٦٨ - ١٩٣٣) الذي جمع حوله في التسعينات مجموعة من الادباء الشباب وأسس لهم مجلة « صحائف الفن » فكرس هولاء انفسهم للجمال وواجهوا الحاضر بالرفض الشديد وترفعوا عن الواقع وأداروا له ظهورهم .

وكان هو فمانستال التقى الشاعر جيورجه في سنة ١٨٩١ وانضم الى حلقةه لأن ما جلبه هذا الشاعر من باريس ، مدينة مالارميه ، من مباديء جمالية لقي القبول والاستحسان عند المريد هو فمانستال ، ابن السابعة عشرة . على أنه انفصل عن حلقة جيورجه فيما بعد ، أي في سنة ١٩٠٥ ، لما تبين له أن الفن لم يعد الوسيط الى الحياة ، بل السبب في فقرها وأنه مصيبة وبلاء ، بعد أن كان يهب العزاء والسلوان . إن احتكاك ابن التاجر الشاب بالعالم الخارجي يكاد أن يكون ضئيلا ، إن لم يكن معدوما ، ويتجلّى هذا الاحتكاك البسيط في النزهات في الشوارع والحدائق العامة ومراقبة وجوه الناس ، على حين تفتقر الاشياء المحيطة به الى الحياة . فهو يكتفي بالنظر دون الفعل ، وكل شيء يتحول في نظره الى مشهد وينسب الى صورة والى موضوع للرواية الجمالية تنعدم مشاركته فيه .

تيتسيان يعلم تلامذته أن « يفهموا جمال الاشكال كلها » « وينظروا الى حياتهم الخاصة نظر المشاهد » ((٢٠)). وما ابن التاجر الشاب في القصة التي هي موضوع دراستنا الا تلميذ تخرج في هذه المدرسة التي فاتها أن تدرك أن الفن « كذبة ممكنة » بالقياس الى حقيقة الحياة .

وما يدخل مدرسة الألم والاهوال حتى يرى نفسه انه ليس مهيناً ليواجه الحياة في شرورها وبؤسها وعتمتها . انه لم يتعلم في مدرسة الحياة الجميلة ان في هذا العالم إمكانيات لجحيم انساني لا بد أن يمر به الانسان

□ هوفمانستال و «الف ليلة وليلة» □

ويكون عرضة لنيرانه المحرقة وأن عليه ، في هذه الحال ، أن يتغلب على هذه الشرور ، ليس عن طريق طهارة الروح ومعرفة طبيعة الأشياء فحسب بل عن طريق الاستعداد لتقبل كل ما يصيبه في الحياة ، خيراً كان أم شراً، وهذا يعني الاستعداد للتضحية بدافع الحب والإيمان ، كما يفعل أبطال ألف ليلة وليلة وهم يواجهون مثل هذا النوع من الحياة الجحيمية في أثناء أسفارهم .

ان ما يبعد ابن التاجر الشاب عن أبطال ألف ليلة وليلة هو ابتعاده عن الحياة التي لا تعرف الطهر ، وهذا يعني انسحابه من الحياة العملية التي يقتدي منها أبطال شهرزاد . وكما جعل غوته فاوست يؤكد أن سر الكون يكمن في العمل وأن لاحقيقة أقوى وأعمق من حقيقة العمل^(٢١) ، يرى هو فمانستال أيضاً أن العمل هو «الشيء الواقعي الوحد الموجود في الدنيا»^(٢٢) .

وتنتهي قصة هو فمانستال «حكاية الليلة الثانية والسبعين بعد الستمائة» مثل هذه النهاية المؤلمة وهي ان حياة جميلة يطويها موت شنيع ، لا شيء ، الا ان صاحبها لم يدرك ان للحياة وجهين ، وجهاً مشرقاً وآخر كالحا وأن كلاً الجانبين متتم للآخر .

فمن أراد أن يخلد شاعراً فعليه أن يجد طريقاً من الشعر إلى الحياة ومن أراد إلا يهلك في الحياة ، كما هلك ابن التاجر ، فعليه أن يجد طريقاً من الحياة إلى الشعر . تلك هي الفكرة التي أراد أن يعبر عنها الشاعر هو فمانستال الذي تناول هنا موضوع الحياة في ثوب أسطوري ، لانه يفهم وجوده من خلال الأسطورة أو الحكاية . ويشمل مفهوم الحياة ما هو أسطوري قديم وما هو عصري متقدم ، ومن هنا جاءت العلاقة الوثيقة بين

□ هوفمانستال و «الف ليلة وليلة» □

الفن والاسطورة . ومن هنا جاءت أيضا أهمية حكايات ألف ليلة وليلة التي لم تفقد صلتها المباشرة لا بطفولة الفرد ولا بطفولة الإنسانية جماء، فهي تقرب الواقع الاسمي من النظر ، كما أنها تثبت صدقها وحقيقةها أمام الواقع . فما فيها «شيء عظيم يدعو إلى الرهبة ، شيء بسيط وشيء من الطبيعة المقدسة والاحوال الباهرة والطهارة الأزلية . »^(٢٣)

ان سر متعة ألف ليلة هي أن «الحياة الشديدة الروعة تسود هذا الكتاب كلبا ، » بحيث إننا « ننتقل من ارفع العوالم الى ادنها ، من الخليفة الى الحلاق ومن صياد السمك البائس المعدم الى التاجر الامير . »^(٢٤) تلك هي الحقيقة التي أراد هوفمانستال أن يؤكدها حين عمد الى ثوب الحكاية في قصته « حكاية الليلة الثانية والسبعين بعد المستمائة » وأراد أن يتخد فيها موقفا من عصره الذي آثر فيه أصحاب النزعة الجمالية الحياة الجميلة فكان بها فقرهم وقصورهم للإنسانيان.

ولا غرابة . اذا ، ان يختتم هوفمانستال مقالته عن «الف ليلة وليلة» بكلمات الشاعر الفرنسي ستاندال ذلك أن كتاب ألف ليلة وليلة « يجب ان يتمكن المرء ابدا من نسيانه نسيانا كلبا لكي يعود الى قراءاته بمتعة متتجدة . » .

وتعود هذه المتعة المتتجدة الى تلك الطبيعة الإنسانية التي تتخلل الحكايات ، انها إنسانية « تحيط بنا وترفعنا وتحملنا على موجة خفيفة عريضة »^(٢٥) . إننا لانحس بالطربة في وسط هذا العالم لأننا نجد فيه طريقنا الى انفسنا والى الآخرين ، وهذا يعني الى الحياة . فالفن يجب الا يفصلنا عن الحياة ، بل يجب ان يكون طريقا الى الحياة . وتأتي هذا لهوفمانستال ، اذ ان فنه قاده مباشرة الى الطريق الى الحياة .

□ هوفمانستال و « الف ليلة و ليلة » □

ثبات المراجع

(١) مراجع بالألمانية :

1 — Richard Alewyn : über Hugo von Hofmannsthal. göttingen 1963.

(١) ريشارد اليين : دراسات عن هوغو فون هوفمانستال . غوتينغن ١٩٦٣ .
2 — Marcel Brion : Versuch einer Interpretation der Symbole im « Märchen der 672. Nacht » von Hugo von Hofmannsthal in : Deutsche Erzählungen von Wieland lis Kafka, Interpretationen Bd. 4, Frankfurt u. Hamburg 1966 , S. 384 — 302.

(٢) مارسيل بريون : محاولة لتحليل الرموز في « حكاية الليلة الثانية والسبعين بعد المستمائة ، في : قصص المائة من فيلاند الى كافكا ، تحليلات المجلد الرابع ، فرتكفورت وهامبورغ ١٩٦٦ ، ص. ٢٨٤ — ٣٠٢ .

3 — Hermann Broch : Hofmannsthal und seine Zeit, in : gesammelte Werke, Bd. 6, Dichten und Erkennen. Essays Bd. 1 , zürich 1955.

(٣) هيرمان بروخ : هوفمانستال وعصره ، في : مجموعة المؤلفات ، المجلد السادس ، الشعر والادراك . مقالات المجلد الاول ، نوريخ ١٩٥٥ .

4 — Hermann Hesse : Eine Bibliothek der Weltliteratur, 1929.

(٤) هيرمان هيسم : مكتبة الأدب العالمي ، ١٩٢٩ .
5 — Johann Wolfgang von Goethe : West - östlicher Divan - Hamburger Ausgabe, Bd. 2 , Hamburg 1958.

(٥) يوهان فولفغانغ فون غوته : الديوان الشرقي الغربي ، طبعة هامبورغ، المجلد الثاني، هامبورغ ١٩٥٨ .

6 — Faust Hamburger Ausgabe , Bd. 3, Hamburg 1958

(٦) فاوست ، طبعة هامبورغ ، المجلد الثالث ، هامبورغ ١٩٥٨ .
7 — Hugo von Hofmannsthal : Ausgewählte Werke in zwei Bänden, Frankfurt 1957.

□ هوفمانستال و «الف ليلة وليلة» □

- (٧) هوغو فون هوفمانستال : اعمال مختارة في مجلدين ، فرانكفورت ١٩٥٧ .
8 — Briefe I (1890- 1901) , Berlin 1935.
- (٨) رسائل من ١٨٩٠ - ١٩٠١ (المجلد الاول) ، برلين ١٩٣٥ .
9 — Karl August Horst : Kritischer Führer durch die deutscheliteratur der gegenwart, München 1962.
- (٩) كارل اوغست هورست : الدليل في النقد عبر الادب الالماني المعاصر. ميونيخ ١٩٦٢ .
10 — Max Lüthi : Es war einmal ... Vom Wesen des Volksmärchen. göttingen 1964.
- (١٠) ماكس لوتي : كان في قديم الزمان .. من طبيعة الحكاية الشعبية . غوتينغن ١٩٦٤ .
11 — Katharina Mommsen : Goethe und 1001 Nacht. Frankfurt 1981.
- (١١) كاثارينا مومنسن : غوته والف ليلة وليلة . فرانكفورت ١٩٦١ . (دار نشر سوركامب، كتاب العجيب ٦٧٤) .
- ب - مراجع بالعربيّة :
- ١ - الف ليلة وليلة ، في أربعة مجلدات ، المكتبة الثقافية ، بيروت ١٩٧٩ .
 - ٢ - ترفتان تودوروف : الناس - الحكايات . الف ليلة وليلة كما ينظر إليها التحليل البنوي ، في : مواقف ، العدد ١٦ ، توز وآب ١٩٧١ ، ص ١٣٧ - ١٥١ .
 - ٣ - فاروق سعد : من وحي الف ليلة وليلة ، المكتبة الأهلية ، بيروت ١٩٦٢ .
 - ٤ - احمد محمد الشحاذ : الملامع السياسية في حكايات الف ليلة وليلة . منشورات وزارة الاعلام في الجمهورية العراقية ، سلسلة دراسات (١٢٠) ١٩٧٧ .
 - ٥ - سهير القلماوي : الف ليلة وليلة . دار المعارف بمصر ١٩٧٦ .
 - ٦ - بوعلي ياسين : خير الزاد من حكايا شهرزاد . دراسة في مجتمع الف ليلة وليلة . اللاذقية ١٩٨٦ (دار الحوار) .

المواهش

(١) يقول هو فمانستال في مقالته عن « الف ليلة وليلة » إنها « كل واحد وإنها عالم ليس الا ...) وإنه ليطيب لهومير أن يظهر بجانبها أحياناً باهتاً بعيداً من روح السذاجة . » ويقول في موضع آخر : « إن في حكاية على شار وزمرد لحظة أرفس ان استبدالها بأي موضع عظيم ورد في أوفر كتبنا وأجبرها احتراماً . » انظر . ترجمتنا لهذه المقالة ، ص ٥ .

(٢) انظر : هيرمان هيسيه : « مكتبة الأدب العالمي » ، ١٩٢٩ ، إذ يرى أن شعوب الدنيا كلها أبدعت حكايات وأساطير جميلة رائعة ، على أنه يكفينا مؤقتاً هذا الكتاب الكلاسيكي الساحر (أي الف ليلة وليلة !) الذي لا يستكمله إلا حكاياتنا ، تلك الحكايات الشعبية الالمانية التي جمعها الأخوان جريم .

(*) نود الاشارة الى أن غوته ، كبير شعراء الالمان ، كان هو نفسه عرضة لتاثير حكايات شهرزاد وبقي طوال حياته مديناً لهذا للعين الشر بحالات لا تخصى من الاقتباس والمحاكاة ... وكان يطيب له ، وهو الشاعر ، ان يقارن بشهرزاد . انظر : كاترينا مومن : غوته والـف ليلة وليلة ، ص ٢٢ ، (المرجع بالالمانية !) . وفي حدث له عن اللورد بايرون (ص ٢٠١) يقول : ان على الشاعر الا يغفل عن قطف الزهور حينما وجدها . اذ انه كان مقتنعاً أن الشيء العظيم لا يمكن ان ينشأ الا باقتناه كنوز أجبية . وتشير كاترينا مومن في مقدمة كتابها الانف الذكر أن غوته اقتدى بالكثير من قصص الف ليلة وليلة ، ذلك لأنها تمثل في نظره نماذج ذات خاصية شكليّة ، (ص ٢٥ بالارقام الرومانية) .

(**) الجدير بالذكر أن ترجمة ليتمان الكاملة لليلي أخذت تصدر على التوالي بدءاً من سنة ١٩٢٢ والى سنة ١٩٢٨ وقد نقل المستشرق الالماني الحكايات العربية عن النص الاصلي مباشرة وآخرتها في ستة مجلدات . واننا نترجم المقال معتمدين عليه في تحديد صلة الشاعر الغربي باليلي ، كما انشأنا ترجم ايضاً قصة اخرى كثيرة في سنة ١٨٩٥ بعنوان « حكاية الليلة الثانية والسبعين بعد الاستمامة » .

(٣) انظر ايضاً : كاترينا مومن : غوته والـف ليلة وليلة ، ص ٢٠٢ .

□ هوفمانستال و «الف ليلة وليلة» □

(٤) الحق أن هيرمان بروخ ، الشاعر النمساوي والكاتب الروائي (١٨٨٦ - ١٩٥١) يتطرق في إحدى مقالاته التي تناولت أعمال هوفمانستال التئية إلى علاقة ابن بلدته بالف ليلة وليلة ، إذ يقول : إن قاتل الحكاية ليوافق مواهب هوفمانستال وحدوده (...) والحكايات الشرقية بخاصة بصرية لما فيها من سحر يكاد أن يشبّه خارف السجاد ، فشخصياتها ليسوا بأفراد ولا هي بانا محمول ولا تحمل «أنا» ، بل هي أنماط مرئية خالصة ... » انظر : هيرمان بروخ : هوفمانستال وعصره ، في : مجموعة المؤلفات ، المجلد السادس ، الشعر والأدراك . المجلد الأول (المقالات) ، نورويغ ١٩٥٥ .

(*) نذكر على سبيل المثال لا الحصر القصص التالية التي تأثرت في أسلوبها بحكايات الف ليلة وليلة : حكاية فارس (١٨٩٨) و «حادثة المارشال فون باسوبيير» (١٩٠٠) و «حكاية المرأة المحجبة» (١٩٠٠) و «المرأة بلا ظل» (١٩١٩) ، هذا وإن لدى هوفمانستال مسرحيات لم تستطع أن تبتعد عن عالم الحكايات الخيالي من مثل : «منجم فالون» (١٩٠٦) و «القيصر والساحرة» (١٨٩٧) .

(*) في اللحظة التي يتبيّن له فيها أن بيت مبعوث ملك الفرس ملقى في وجهه يقف على بوابة عالم آخر لن يكون فيه إلا القبح والبؤس والضياع والموت .

(٥) انظر : ريشارد فيشر : دراسات عن هوفمانستال غوتينغن ١٩٥٨ .

(دار نشر فاندينهوك وروبشت) ص ١٦٢ .

(٦) انظر : هوغو فون هوفمانستال : أعمال مختارة في مجلدين . فرانكفورت ١٩٦٦ .

(دار نشر فيشر) . المجلد الثاني : قصص ومقالات ، ص ٨ .

(٧) المرجع نفسه ، ص ٦٩ (مقال «الف ليلة وليلة» ص ٤٦٩ - ٤٧٥) .

(٨) انظر : المرجع السابق ، ص ١٧ . وكذلك : مارسيل بريون : محاولة تحليل الرموز في حكاية الليلة الثانية والسبعين بعد استئنافه في : تحليل قصص المائة من فيلاند إلى كافكا . فرانكفورت وهامبورغ ١٩٦٦ ، ص ٢٨٤ - ٣٠٢ .

(٩) انظر : الف ليلة وليلة ، المجلد الثاني ، ص ٢٨٨ .

(*) يذكّرنا دخوله إلى هذا المكان بدخول حسن إلى جزء الواقع ، حيث أن الدخول مجرّم وإن من ينتهك حرمة المكان يجب أن يعاقب ، وإن لمكان رحب يدخله المرء ليجد نفسه وسط جن وغاريق . انظر : الف ليلة وليلة ، المجلد الرابع ، ص ٣٨ - ٣٩ .

□ هوفمانستال و « الف ليلة و ليلة » □

- (١٠) انظر : هوفمانستال ، اعمال مختارة في مجلدين . المجلد الثاني ، قصص و مقالات ص ٢٢ .
- (١١) انظر : الف ليلة و ليلة ، المجلد الاول ، ص ١١٩ (حكاية الوزير نور الدين ...).
- (١٢) انظر : هوفمانستال : اعمال مختارة ، المجلد الثاني ، ص ٨ .
- (*) حسبنا ان نذكر هنا البيتين المشهورين :
- مشيناها خطىً كتبت علينا ومنْ كتب عليه خطى مشاها
ومنْ كانت منيته بارضه فليس يموت في أرضه سواها
كما ان غوته ، الشاعر الالماني الكبير ، يقول في الديوان الشرقي الغربي :
« اذا كان الاسلام هو التسليم لله فعل الاسلام نحيا وتموت اجمعين ... ».
انظر : غوته ، مؤلفات غوته ، المجلد الثاني ، كتاب الحكم ، ص ٥٦ .
- (١٣) انظر : هوفمانستال : اعمال مختارة في مجلدين . المجلد الثاني ، ص ٤٧٤ .
- (١٤) انظر ايضاً : ريشارد اليفين ، مقالات عن هوفمانستال ، ص ١٦٧ .
- (١٥) المرجع نفسه ، ص ١٦٨ .
- (١٦) المرجع السابق ، ص ١٦٨ .
- (١٧) انظر ايضاً : ريشارد اليفين ، ص ٧٢ ، حيث انه ساق هذا الشاهد في معرض حدثه من (موت محب الجمال) وهو أن من منهم كيف يعيش منهم وكيف يموت .
(*) نود أن نضيف هنا ايضاً أن التقلب على طبيعة الحياة أو الواقع الفوضوي لا يتم عن طريق معرفة هذه الحقيقة ، حقيقة الواقع الفوضوي فحسب ، بل ايضاً عن طريق الاعتراف والاقرار بهذا الواقع . وابن التاجر الشاب لا يفعل ذلك ، بل يلعن
الحياة . وهذه علامة من علامات الرفض .
- (١٨) انظر هوفمانستال ، اعمال مختارة ، المجلد الثاني ، ص ٤٧٠ .
- (١٩) المرجع نفسه ، ص ٤٧٣ .
- (٢٠) انظر : هوفمانستال : رسائل (١٨٩٠ - ١٩٠١) ، ص ١٨٤ .
- (٢١) المرجع نفسه ، ص ١٨٢ .
- (٢٢) انظر : هوفمانستال ، اعمال مختارة ، المجلد الثاني ، ص ٥٠٠ .
- (٢٣) المرجع نفسه ، ص ١١ - ١٢ .

□ هوفمانستال و «الف ليلة وليلة» □

(*) يعزو بعض أبطال الف ليلة وليلة رفضهم إلى مكر النساء وكيدهن وعدم حناظهن على الود . على أنهم لا يلبثون أن يتراجعوا عن موقفهم الرافض هذا حين تقع العين على المرأة التي تقلب البغض إلى محبة . انظر : الف ليلة وليلة ، المجلد الثاني ، ص ١٠٩ والمجلد الرابع ، ص ٤٧٣ .

(٢٤) انظر : الف ليلة وليلة ، المجلد الرابع ، ص ٣٩٢ ، وكذلك ص ١١٧ و ١٢٨ - ١٢٧/١ . وقد تناول بوعلي ياسين هذا الموضوع في دراسته الرائعة «خير الزاد من حكايات شهرزاد» وأشار إلى دور الجمال في نشوء العلاقات بين الرجل والمرأة وأثره في تحرير مصائر أبطال شهرزاد ، ص ٧٠ .

(٢٥) انظر : هوفمانستال ، أعمال مختارة ، المجلد الثاني ، ص ٤٧٠ .

(٢٦) المرجع نفسه ، ص ٤٧٣ .

(٢٧) المرجع نفسه ، ص ٤٧٤ .

(٢٨) انظر : هوفمانستال : أعمال مختارة ، المجلد الثاني ، ص ٤٥١ - ٤٥٢ .

(٢٩) انظر الف ليلة وليلة ، المجلد الرابع ، ص ٢٤٤ . وفي الف ليلة وليلة في موضع ينصح فيه الآباء الآباء إلا يسرفوا في انتهاك اللذة ولا ينفقوا أحوالهم كلها في سبيل اللذة . انظر أيضًا : المجلد الرابع ، ص ٣٠٤ وما بعد ، و ص ٢٨٠ . ويشير هوفمانستال هذا الموقف حين يقول : «كم أشبعنا أولئك الامراء الذين تاهوا عن اوطانهم وأبناء التجار الذين مات آباء لهم واستسلموا لأفراط الحياة ، وكم ظننا اننا نشبههم .» (أعمال مختارة ، ص ٤٦٩ .)

(٣٠) انظر : هوفمانستال ، أعمال مختارة ، المجلد الأول ، ص ٦٦ .. «موت تيتسيان» (١٨٩٢) وهي مسرحية شعرية غير مكتملة نشرها الشاعر في «صحف للن» .

(٣١) انظر : مؤلفات غوته (طبعة هامبورغ) ، المجلد الثالث ، مسرحية فاوست ، ص ٤٤ ، بيت ١٢٣٧ .

(٣٢) رسالة إلى ديشارد بير هوفمان في : رسائل ، المجلد الأول ١٨٩٠ - ١٩٠١ ، برلين ١٩٢٥ ، ص ١٠٩ .

(٣٣) انظر : هوفمانستال أعمال مختارة ، المجلد الثاني ، ص ٤٧٣ .

(٣٤) المرجع نفسه ، ص ٤٧٠ .

(٣٥) المرجع نفسه ، ص ٤٧٠ .

لِيْلُ مُحَايد

للساعر التشيكي: سيرخيو ماياس
ترجمة: رفعت عطفة

لمحة عن حياة الشاعر سيرخيو ماياس :

ولد الشاعر سيرخيو ماياس في كوربشا في جنوب تشيلي عام ١٩٣٨ وقد حصل على عدد من الجوائز الأدبية الهامة مثل جائزة انخيل كروتشاغا ساتاتاماريا الاولى عام ١٩٦٧ وجائزة « عيد آلهة الازهار » غابرييلا ميتراال الفضية عام ١٩٦٨ وعلى الجائزة الاولى لهذه المسابقة نفسها عام ١٩٧١ وجائزة بابلو تيرودا الاولى عام ١٩٨٤ وجائزة « مدينة تطوان الدولية » الاولى مناصفة عام ١٩٨٦ اضافة الى جوائز اخرى كثيرة له أعمال شعرية ونشرية كثيرة فمن اعماله الشعرية المنشورة « يد الخطاب » تشيلي ١٩٦٩ « الدم في الغابات » ١٩٧٤ ، « في زمن الاشياء » . « الطفل والارض » المكسيك ١٩٨٠ « بستانى الربيع » ، اسبانيا ١٩٨٠ « قربان الدكتاتور » اسبانيا ١٩٨٣ . « ذاكرة المنفى » اسبانيا ١٩٨٥ « تطوان » ١٩٨٦ والديوان الذي بين أيدينا « الليل المحايد » والذي طبع عام ١٩٨٨ في اسبانيا .

المحاجر :

تتدلى
محاجر الشتاء ،
مرسومةً
في مرآة الثلج .
ثياب المطر
على اسلام الهواء .
وأنا
بحاجة ملحة
لمعجزة الحب
في زاوية المنفى .

البستانى :

ملفعاً
بعاءة النجوم
ينام في حضن الطيب .
وحدها الأزهار ، النحل والعصافير .
رفيقته في الفجر
وكل يوم ينتظر
بلهفة
أن يهمس الله له
كخادرة ،
بسبي وحدته .

الحمل :

سفينة من غيمون يضاء
ترسو في خليج الريح ،
كي ترتفع البراميل
بسموع الأرض .

□ يسلٌ محسايد □

نشيد الشباب :

اداعبك
كما يداعب سنجاب
وأكتب فوق عنق الأوراق
نشيد الشباب
انت مدقّة النور
الذي يرتفع
في بلد الذكريات .

قافلة :

منظـر من مطرـه
وانـواـء تـحـطـمـ اـشـجـارـ الـخـوخـ .
وتـفـربـيـ
ورـاءـ قـافـلـةـ
الـمـسـيـنـ .

راعية الحب :

كـماـ الشـاعـرـ
الـذـيـ يـضـربـ عـلـىـ عـودـ
الـوـادـيـ الـكـبـيرـ فـيـ الـأـنـدـلـسـ
اشـتـفـلـ حـدـيـقـةـ
الـلـاـكـرـةـ .
وـكـابـنـ خـفـاجـةـ
اشـتـفـلـ فـيـ اـشـجـارـ
سـلـامـ الـأـورـاقـ .
وـانـتـظـرـ ،ـ يـارـاعـيـةـ الـحـبـ
فـوقـ سـجـاجـةـ الـلـيلـ .

اطراء :

حزن الأزهار
يطري على
وله العصافير
التي تهرب
نحو غرفة نوم الاوراق
وعلى روحي
التي تبحث
عن وطن زهر العسل .
و عن عصافير الويكا
المصرجة بدم الزنابق .

الحقيقة :

تنفتح
حقيقة روحي .
تسقط قمCHAN الظلال .
وسراويل العظام .
لوحة الطفولة .
مطر الجنوب .
براميل النبيذ .
ووالدي يطلب مني
مرافقة بقيثارة الحجارة .

في الحلم :

تتدحرج العبيبات
عارية انداهن ،
وقد عصها
فحل الليل .
الاصدقاء

□ ليلٌ محادي □

وكؤوسهم البهية .
والوحشة
التي تدفعني
نحو صفة الظلمة .

فرحتي :
لحيني تشيب ،
لكن فرحتي لا
تشيب

حين ترى شجرة كرز مزهرة .
صورتك التي لفرازة
تجري على صفة النيل .
كليوباترا تحت القمر ،
تمنعني اكسير الورود .

ظلليل :
الى كارينا وفيديريكو
انا
الذى سافرت
الى اجزاء كثيرة من العالم
لا اعرف ما يكون
ظلليل زهرة
تفطى
قلبي بالمطر .

المهم :
سهم القمر
يخترق صدر الارض .
مرأة الصمت .

اهداب الناكرة .
شفاه شقائق النعمان .
جرة جسدك
المليئة بقطع من أحلام ،
وبأشعار سرية
و قبلات ، تخرب ،
مثل نيازك ،
حديقتك
ما من مبرد :

ما من مبرر :
كي لا يموت
هذا النهار
الذى ينمو
مثل دموع الاوقيانوس .
او كي ينهمك
مطلقا اشعارا
مثل كؤوس الفيوم .

عقبق :
السنونو
تبعد عن يد الشمس .
وانا عن يد أمي ،
التي لها عبق
تفاح بلادي .

الصفحة :
الشحافير تحمل منا الابتسامة
والسر الذي تنسجه الإيام .

□ ليل محايد □

لا أحد
ينتظرنا
في زمن العواصف هذا .
نحن
العشاق
الذين يشتعلون
في صفحة اللا معقول .

ليل محايد :
أني أحمل على كاهلي الأندي
ثقل المطر .

غابات مقطة بالعصافير
وأصوات المنحدرات
لا أحد

يستيقظ على خطواتي .
ولا على أغنيتي التي لغريب .

لا أحد
يعرف وحين أموت ،
بعينا عن اراوكانيا ،
وان الليل سوف يجرفه
نهر النسيان

مشهد غريب :
نعيش ونحسن
نمارس زراعة حدائق السنين .

تشمل
بنبيذ الفياب المكتبس .
نحلب بالمنزل الأندي
المضاء بالحبایب ،

النحل ،
التفاح .
هيتنا ليست
سوى الذاكرة
التي تهتز كل مساء ،
بتلجلات أراوکارية
تحنيها الرياح ،
بين همس
مشهد غريب .

حب في القرية :
لنطرب حبنا
في قرية الطلع ،
بنذهب المجرات ،
مثل العشاق
الذين يحملون
في الريح زمان الجمال ،
استنتاج البتولا ،
نقل الجبال ،
وحزن الفراشات .

المدنس :
ارفع غضبك .
اترك السوط يسقط
على الشير الذي يندنس
معبد الشعب .
لا تسامح من انتهك
مذبح الحب ،
وببني بيته

□ بِلْ مُحَايد □

فوق خرائبك .
ساعد الله
الذي ينتظرك
وحينا ،
تحت خيمة الشمس .

لحظة :
لحظة
تشابه ذاكرتنا
دم البنفسج .
النسخ الذي يصعد من
من الاعماق .
من هنا التراكم .
من الدموع التي خلفتها لنا الامطار .

عتاب :
لا نريد شيئاً آخر
غير أن نسحق الالم ،
لأجل هذا الشباب الصانع
في وهم
لم يتوصى إلى شيء قط .
ومن أجل أن لا نتعاتب
لأننا استسلمنا
لليلة فارغة ،
كي نكتشف
الفرح الخالد ،
الذي لا يرتوى
في قبل النجوم .

المدينة :

تسلمنا المدينة

عما

يتقطر ، من الابنية

على الشورع

التي تضيع في

مجاري الفياب .

الجميع يمرون

فوق خصوع عيشنا .

والذى يتوقف

يشيخ

في المِ مثيله .

الجنوب :

الجنوب يزغرد

بين اغصان المطر .

الحب

في عنابر السعادة .

الذاكرة

في نيات الجداول .

الحقيقة

في أبجدية الدم .

القلق

في جنان قصيدة .

الموت

في عواء الحجارة .

□ يـل مـايد □

: اليـد :

يـدي
تلامس بنعومة
أثداء الـرـبيع .
تفطـي عـانـتهـ الـهـشـة .
تجـمـلـ الرـعشـة
تسـريـ فـيـهـ
بيـنـ أـفـصـانـ القـمـر .

: فـمـ وـرـدةـ :

هاـ اـنـتـ هـنـاكـ
بـفـمـكـ الـذـيـ لـوـرـدـةـ :
الـجـاهـزـ لـيـغـطـيـ
عـلـىـ آـنـيـنـيـ .
عـلـىـ الـاعـشـابـ الـضـارـةـ
الـتـيـ تـنـبـتـ
بـيـنـ خـرـائـيـ .
حـينـ تـضـمـيـنـيـ
بـفـيـرـةـ الـكـرـزـ
يـخـتـبـيـءـ الـحنـينـ
فـيـ الـفـسـقـ .

: فيـ هـذـاـ الـكـوـكـ :

اـنـاـ جـلـادـ نـفـسيـ .
بـصـوـتـيـ
يـتـكـلمـ الـامـوـاتـ
الـذـينـ يـمـزـقـونـاـ بـالـغـيـابـ .
عاـشـقـ يـتـيمـ ،
لـهـ رـعـشـاتـ

كتب مكتبتي القديمة .
اغنية تفتت
من هنا الكوكب المهجور ،
غير المبالي ،
والذي لا يرحم .

منظر :

السلام في
ماوى القمر .
في الاوراق التي تشكل
فراش الفراشات
والحب في المشهد ،
حيث الشمس
تحت النور ،
كي تهشم
كراهية الانسان .

العصافير التائهة :

لأنني أشتاق
لحرية الهواء ،
اعيش منفي
العصافير التائهة .
مثل الطل الذي يسقط من
الاغصان التي حطمته
تساوة الزمن .

مقبرة بحرية :

« الى كارلوس كونترا مائستر »
في مقبرة اسيلة البحرينة
يسمع ضجيج

□ يـل " مـايد □

عظام الريح العميق .
المؤذن يحملنا ،
منتمين بالزمن ،
على الدخول
الى مسجد النجوم .
في هذه الليلة افكر بوطني ،
على بعد الف فرسخ من هنا .
وسيبدو غدا ان جوادي الرمادي
قد كبر عاما آخر « كاوتشي »

سنابل الدم :
« الى ادوارد ومارو ، »
هاهو الوطن
يصير بعيدا عنـي ،
بلا اصدقاء ، ولا صنوبر ولا حباـب .
بلا خنزير على الحجر
فوق البطاطا التشيلوتية
ولا النبيـد البيـبيـني مع التـشـولـفا .

سنابل الدم
تشرب بحنين
في منحدرات الفجر .
ونسيان قمر بدر
يفيء طريقـي كـفـريـب .

جلـد زـيتـوني :
انتـظـريـني
في ظـلـ الـكـوكـبـ الفـسـيجـ ،
كيـ اـنـزلـقـ
بـجلـديـ الزـيتـونيـ

على فخلك اللذين لقمر .
دعيني اكتشف
سرك بصولجان الفجر .
كي نظير فيما بعد
متحررين من القبل والمجاملات ،
من حمامتين ملطختين بالنور .

خوف يمامة :
رشيقة
مثل جواد من الريف ،
تجرين تحت الفيوم
التي تعطها العواطف .
خوف يمامة
يهز صورتك .
وعش دم
بروش بالارجوان
منديل المساء .

حكمة :
ان نعرف كيف نشيخ
يعني العثور على الطريق
حيث تحريك الحياة
زمان الشيب .
على مكان الشمس
حين تلعب مع
اليعاسيب والازهار .
على سكون الليلاب .
فرحة الطلح
وسط عيد الفراشات .

□ بِسْلَمٌ مُحَمَّدٌ □

الصياد :

الم شباك النور ،
مع ذهب الشمس
الذي يتسلق
عاتة الوقت .
واشرب كحول العسل ،
الذي يقطره فمك
الذي من ياسمين .

مسمار الفجر :

مطرقة الريح
تطرق
مسمار الفجر ،
بقوة تجمل
روحى تتهشم ،
دون أن تشغل الرب
الليلة التي تضم معي أحدا .
مانحا أهلي ، ببساطة ،
الي من لم يكن معي قط .

وددت لو اكون :

وددت لو اكون
طل الازهار ،
كي أغسل وجنتي الفجر
المعكستين في وجهك .
والبرق
على شفتيك اللتين لائزور .

شجرة نجوم :
الى خيري الزبيدي
في بلاد بابل
يجر الفرات معه
أشجار نجوم .
والقمر يلعق ،
مثل غزالة ،
العشب الذي يغطي
آثار سمير أميس .
انا المسافر
الذي يزعج النخيل
الذى تقبله الشهب .

عجلة ازهار :
الى مرغريتا لويث بونينا
اليوم ،
بستانى الريح
سعيد ،
لان الريح
يتقدم بعجلات من ازهار ،
والبشر ليسوا في حرب .



صَبَاحُ مُشْرِقٍ

«ملهأة من فصل واحد»

تأليف الكاتبين البرسانيين الأذفريين:
سيرافين و الفاريس كنثيرو
(١٨٧١ - ١٩٣٨) ، (١٨٧٢ - ١٩٤٤)

ترجمة خالد حداد

الشخصيات :

- دونا لورا
- بترا - وصيفتها
- دون غونثالو
- خوانيتو - خادمه

المكان : ركن منعزل من حديقة عامة في مدريد .

البرهان : الزمان الحاضر .

المشهد : صباح خريفي مشرق في ركن منعزل من حديقة عامة في مدريد .
مendum طويلاً إلى اليمين . دونا لورا سيدة عجوز وسيمة
بيضاء الشعر في السبعين من عمرها تقريباً ، ذات مظهر مهذب
عيناها البراقتان وأسلوبها العام تعطي دليلاً على أن قدراتها
العقلية لا تزال سليمة على الرغم من سنها تدخل
مستندة على ذراع وصيفتها بترا . تحمل في يدها الأخرى
مظلة شمسية تستخدماها كعكاز أيضاً .

□ مساح مشرق □

دونا لورا : ابني سعيدة جداً لكوني هنا . خفت أن يكون أحدهم قد احتل مقعدي . يا له من صباح جميل !

بترا : الشمس حارقة .

دونا لورا : أجل ، وانت لا تزالين في العشرين من عمرك (تجلس على المقعد الطويل) . آه ، أشعر اليوم بأنني تعبة أكثر من المعتاد . (تلاحظ بترا ، التي تبدو نافذة الصبر) اذهببي ، اذا كنت تريدين أن تهذري مع حارسك .

بترا : انه ليس لي يا سيدتي ، انه للحديقة .

دونا لورا : انه أكثر مما هو للحديقة . اذهببي وابحثي عنه ، ولكن ظلي على مقربة مني .

بترا : ابني أراه واقفاً هنالك بانتظاري .

دونا لورا : لا تتأخرِي أكثر من عشر دقائق .

بترا : حسن جداً يا سيدتي .

(تسير باتجاه اليمين)

دونا لورا : انتظري لحظة .

بترا : ماذا تريدين يا سيدتي ؟

دونا لورا : اعطني فتات الخبز .

بترا : لا اعرف ماذا جرى لي .

دونا لورا : (مبتسمة) أنا أعرف ، فعقلك يكون حيث قلبك .. مع الحارس .

بترا : تفضلي يا سيدتي .

(تناول دونا لورا حقيبة صغيرة وتخرج من اليمين) .

□ صباح مشرق □

دونا لورا : الى اللقاء (تنظر باتجاه الاشجار على اليمين) هاقد اتوا .
انهم يعرفون تماما متى يتوقعون مجئي . (تنهض ، تسير
باتجاه اليمين ، وتنشر ثلاث قبضات من فتات الخبز) .
هذه لمن هم اخف حركة ، وهذه لمن هم اكثر نهما ، وهذه
للصغرى الذين هم أعلى مشاهرة (تضحك ، ثم تعود الى مقعدها
وتراقب بتعجب مبتسم طيور الحمام وهي تأكل) . هناك ،
ذلك الكبير ، دائما في المقدمة . ابني اعرفه من رأسه الكبير .
هذا واحد ، وهذا آخر ، والآن اثنان ، والآن ثلاثة ... ذلك
الصغير هو الاقل جبنا . ابني واثقة انه قد يأكل من يدي . أما
ذاك فقد تناول قطعته وطار الى ذلك الفصن وحيدا . انه
فيلسوف . ولكن من أين يأتون جميعا ؟ يبدو وكأن الخبز قد
انتشر . ها ها ! لا تتعاركوا . يوجد ما يكفي الجميع . وسأحضر
المزيد غدا .

(يدخل دون غونثالو وخوانيتو من اليسار . دون غونثالو
سيد عجوز في السبعين ، مصاب بالنفوس ، ويبدو نافذ
الصبر . يستند الى ذراع خوانيتو ويجر قدمه نوعا ما وهو
يمشي) .

دون غونثالو : انهم يهدرون وقتهم . كان عليهم حضور القدس .
خوانيتو : يمكنك أن تجلس هنا يأسيدني . فلا يوجد الا سيدة فقط
(تدير دونا لورا زأسها وتصفي) .

دون غونثالو : كلا يا خوانيتو . أريد مقعدا لي وحدي .
خوانيتو : ولكن ما من مقعد شاغر .
دون غونثالو : ذلك المقعد هناك هو مقعدي .

□ صباح شرق □

خوانيتو : يوجد ثلاثة كهنة جالسين عليه .

دون غونثالو : اطردهم اذن . هل ذهبوا .

خوانيتو : كلا . في الحقيقة انهم يتحدثون .

دون غونثالو : و كانوا قد التصقوا بالمقعد . لا أمل في مغادرتهم . تعال من هنا يا خوانيتو .

(يسيران باتجاه الطيور نحو اليمين)

دونا لسورة : (بسخط) انتبه !

دون غونثالو : هل توجهين الحديث الي ياسيدتي ؟

دونا لسورة : نعم ، اليك .

دون غونثالو : ماذا تريدين ؟

دونا لسورة : لقد اخفت الطيور التي كانت تأكل فتات خبزي .

دون غونثالو : وماذا يعنيك من الطيور ؟

دونا لسورة : لكنها تعنيك انا .

دون غونثالو : هذه حديقة عامة .

دونا لسورة : اذن لماذا تتذمر لأن الكهنة أخذوا مقعدهك ؟

دون غونثالو : انا لم نقابل من قبل يا سيدتي . ولا استطيع التصور كيف تمنحين نفسك حرية مخاطبتي . تعال يا خوانيتو .

(يخرج الاثنان من اليمين) .

دونا لسورة : ياله من عجوز شكس ! لماذا يصبح الناس نزقين سريعي الاحتياج عندما يبلغون سنا معينة ؟ (تنظر باتجاه اليمين) ابني سعيدة . لقد فقد ذلك المقعد أيضا . هذا درس له لأنها أخاف

□ صباح مشرق □

الطيور . انه غاضب ، نعم ، نعم ، اعثر على مقعد اذا استطعت
يا للرجل المسكين ! انه يمسح العرق عن وجهه . ها قد اتى .
ان عربة لن تثير غبارا اكثرا من قدمه .

(يدخل دون غونثالو وخوانيسو من اليمين ويسيران باتجاه
اليسار) .

دون غونثالو : الم يذهب الكهنة بعديا خوانيسو ؟

خوانيسو : في الحقيقة كلا يا سيدى ، انهم لا يزالون هناك .

دون غونثالو : ينبغي على السلطات المسؤولة ان تضع مزيدا من المقاعد
هنا في هذه الأيام المشرقة .

حسن ، ربما عليّ ان اكيف نفسي وأجلس على المقعد مع
السيدة العجوز .

(يدمع لنفسه ، ويجلس على الطرف البعيد من مقعد دونا
لورا وهو ينظر اليها بسخط . يلمس قبعته وهو يحبسها) .
صباح الخير .

دونا لورا : ماذا ، انت هنا ثانية ؟

دون غونثالو : اكرر ، اتنا لم نتقابل من قبل .

دونا لورا : كنت ارد على تحبيتك .

دون غونثالو : ان « صباح الخير » ينبغي أن تردد بـ « صباح الخير » ،

دونا لورا : كان عليك الاستئذان قبل جلوسك على هذا المقعد ، الذي
هو لي .

دون غونثالو : المقاعد هنا ممتلكات عامة .

□ مسح مشرق □

دونا لورا : كيف ذلك ، وقد قلت ان المعمد الذي يجلس عليه الكهنة هو لك .

دون غونثالو : حسن جداً ، حسن جداً . ليس لدى المزيد من القول .
(هامساً) سيدة عجوز خرفة . كان عليها ان تجلس في بيتها لتحيك وتسبيح بسباحتها .

دونا لورا : لا تتذمر اكثر من هذا . اني لن أغادر لمجرد اسعادك .

دون غونثالو : (يمسح الفبار عن حذائه بمنديله) لو ان الارض مرشوشة بالماء قليلاً لكان ذلك افضل .

دونا لورا : هل تستخدم منديلك كمسحة للأحذية ؟

دون غونثالوا : ولم لا ؟

دونا لورا : وهل تستخدم مسحة الأحذية كمنديل ؟

دون غونثالو : اي حق لك بانتقاد تصرفاتي ؟

دونا لورا : حق الجوار .

دون غونثالو : خوانيتو، اعطني كتابي . لن اكتثر بالاصغاء الى سفاسف .

دونا لورا : انك بالغ التهذيب .

دون غونثالو : عفواً ياسيدتي ، ولكن لا تتدخل فيما لا يعنيك .

دونا لورا : اني بوجه عام اقول ما افكر به .

دون غونثالو : وأكثر من المطلوب للنتيجة نفسها . اعطني الكتاب يا خوانيتو .

خوانيسو : تفضل ياسيدي .

(يخرج خوانيتو كتاباً من جيبه ويناوله لدون غونثالو ، ثم يخرج من اليمين) .

□ مطلع حريق □

(يلقي دون غونثالو نظرة ساخطة على دونا لورا ، ثم يرتدى زوجاً من النظارات الضخمة ، وينخرج من جيشه عدسة القراءة ، ويضبط كلاهما بما يناسبه ، ثم يفتح كتابه) .

دونا لورا : ظننت انك ستخرج تلسكوباً .

دون غونثالو : هل قلت شيئاً ؟

دونا لورا : لا بد ان نظرك حاد جداً .

دون غونثالو : انه افضل من نظرك .

دونا لورا : نعم ، هذا واضح تماماً .

دون غونثالو : اسألي الارانب الوحشية وطيور الحجل .

دونا لورا : آه ! وهل تصطاد ؟

دون غونثالو : كنت ... وحتى الان ...

دونا لورا : آه ، نعم ، طبعاً .

دون غونثالو : نعم ياسيدتي . ابني آخذ كل يوم أحد بندقيتي وكلبي ، وأذهب الى إحدى مزارعي قرب أرافاكا ... لقتل الوقت .

دونا لورا : نعم لقتل الوقت ، فهذا كل ما تستطيع قتله .

دون غونثالو : هل تظنين ذلك ؟ أستطيع أن أريك رأس خنزير برّي في مكتبي ...

دونا لورا : نعم ، وأنا أستطيع أن أريك جلد نمر في غرفتي ، وماذا يثبت ذلك ؟

دون غونثالو : حسن جداً ياسيدتي ، أرجو أن تسمح لي بالقراءة .
كافاك حديثاً .

دونا لورا : حسن ، استرح اذن .

□ صباح مشرق □

دون غونثالو : لكنني سأتناول قليلا من السعوط أولا . (يخرج عليه السعوط) . هل تريدين بعضا منه ؟ (يقدم العلبة لدونا لورا) .

دونا لورا : اذا كان جيدا .

دون غونثالو : انه من اجود الانواع . سوف تحبينه .

دونا لورا : (تأخذ قليلا من السعوط) انه يجعل رأسي

دون غونثالو : ورأسي أيضا .

دونا لورا : وهل تعطس ؟

دون غونثالو : نعم ياسيدتي ، ثلاثة عطسات .

دونا لورا : وأنا كذلك . يا للمصادفة .

(بعد تناولهما السعوط ، ينتظران العطاس بهفة ، ثم يعطسان بالتناوب ، كل منهما ثلاثة عطسات) .

دون غونثالو : والآن ، أشعر بالتحسن .

دونا لورا : وأنا كذلك . (جانبها) لقد أقام السعوط سلاما بيننا .

دون غونثالو : الا تعذریني اذا قرأت بصوت عال ؟

دونا لورا : اقرأ بصوت عال كما ترغب ، انك لن تزعجني .

دون غونثالو : (قارئا) « الحب كله حزن ، لكنه مع حزنه أفضل الأمور التي نعرفها » . أنها قصيدة لكامبو آمور .

دونا لورا : آه !

دون غونثالو : (يقرأ) « ان الفتيات اللواتي أحببنني ذات مرة ، يقبلنني الآن وكأنهن تماثيل منحوتة . » ابني أعتبر هذه الأبيات ذات مسحة هزلية .

دونا لورا : (ضاحكة) وانا أعتبرها كذلك أيضا .

□ صباح مشرق □

دون غونثالو : هنالك بعض القصائد الجميلة في هذا الكتاب . اسمعي :
« مرت عشرون سنة » ، ثم عاد » .

دونا لورا : لا يمكنك أن تتصور كم تحرك مشاعري روبيتك وانت تقرأ
 بهذه العدسات كلها .

دون غونثالو : وهل تستطيعين القراءة دون أي منها ؟

دونا لورا : بالتأكيد .

دون غونثالو : وبسنك هذه ؟ لابد أنك تمزحين .

دونا لورا : ناولني الكتاب اذن (تأخذ الكتاب وتقرأ بصوت عال) :

مرت عشرون سنة ، ثم عاد
نظر كل منهما الى الآخر ، وهتف ...
هل يمكن أن يكون هو ؟
يا للسماء ، هل تراها هي ؟

(تعيد دونا لورا الكتاب الى دون غونثالو)

دون غونثالو : في الحقيقة ، ابني أحسدك على نظرك الرائع .

دونا لورا : (جانبأ) ابني أحفظ كل كلمة غيبا .

دون غونثالو : ابني مفرم بالشعر الجيد ، مفرم جدا . حتى ابني قد
نظمت بعضه في شبابي .

دونا لورا : وهل كانت قصائد جيدة ؟

دون غونثالو : من كل الانواع . كنت صديقا مقربا لاسبرونشيدا، وزوريلا،
وبيكر ، وغيرهم .

والتقىت بزوريلا للمرة الاولى في أمريكا .

□ صباح مشرق □

دونا لورا : صحيح ، هل ذهبت الى أمريكا ؟

دون غونثالو : مرات عديدة . عندما ذهبت أول مرة كنت في السادسة من عمرى .

دونا لورا : لابد انك ذهبت مع كولومبس في أحد مراكبه الشراعية .

دون غونثالو : (ضاحكا) ليس بهذا السوء تماما . ابني عجوز ، وأنا اعترف بذلك، لكنني لم اعاصر فرديناند وايزابيلا . (يضحكان معا) . كما كنت صديقا مقرريا لacambo آمور .

والتقى به في فالنسية - ابني من أهالي تلك المدينة .

دونا لورا : صحيح ؟

دون غونثالو : لقد نشأت فيها ، وهنالك أمضيت فترة شبابي الاولى .
هل لك أن زرت تلك المدينة ؟

دونا لورا : نعم يا سيدى . ليس بعيدا عن فالنسية كان يوجد بيت كبير ، لا بد انه ، اذا كان لايزال قائما ، يحتفظ بذكريات مني . فقد أمضيت فصولا عديدة هناك . كان ذلك منذ سنين طويلة . كان قرب البحر ، مختبئا بين اشجار الليمون والبرتقال . كانوا يسمونه ... دعني افكر ، ماذا كانوا يسمونه ؟ ... ماريشيلا .

دون غونثالو : (مجفلا) ماريشيلا ؟

دونا لورا : ماريشيلا . هل الاسم مألوف لديك ؟

دون غونثالو : نعم ، مألوف جدا . اذا كانت ذاكرتي تساعدني - فنحن ننسى مع تقدمنا في السن - كانت تسكن في ذلك البيت الكبير اجمل امرأة رأيتها في حياتي ، وأؤكد لك ابني رأيت الكثيرات دعني افكر ... ماذا كان اسمها ؟ لورا ... لورا ... لورا لوريتي .

□ صباح مشرق □

دونا لورا : (مجلفة) لورا لورينتي ؟

دون غونثالو : نعم ؟

(ينظر كل منهما الى الآخر بتركيز)

دونا لورا : (تمالك نفسها) لا شيء . لقد ذكرتني بصديقتي المفضلة.

دون غونثالو : يا للغرابة !

دون لورا : هذا غريب . كانت تدعى « العذراء الفضية » .

دون غونثالو : تماما . « العذراء الفضية » . بذلك الاسم كانت تعرف في تلك المنطقة . أشعر أنني أراها وكتأنها أمامي الآن ، وهي في تلك النافذة بشوبها الوردي . هل تذكرين تلك النافذة ؟

دونا لورا : نعم ، ابني أذكرها . كانت نافذة غرفتها .

دون غونثالو : كانت تمضي ساعات عديدة هناك . أقصد في أيامى .

دونا لورا : (متنهدة) وفي أيامى أيضا .

دون غونثالو : كانت مثالية . جميلة مثل الزنبق ، شعر فاحم وعينان سوداوان ، وسيماء حلوة بالغة الروعة . كانت تبدو وكأنها تتألق بهاء حيثما حلت . كانت جميلة الشكل كاملة الاوصاف . « كيف تكون النماذج الالهية من الطين البشري بهذا الجمال المطلق ! » . لقد كانت حلما .

دونا لورا : (جانبا) لو كنت تعرف أن ذلك الحلم بجانبك الآن ، لادركت ما تؤول اليه الاحلام .

(بصوت عال) لقد كانت سيئة الحظ كثيرا ، ومرت بعلاقة حب بائسة .

دون غونثالو : بائسة جدا .

(ينظر كل منهما الى الآخر)

□ صباح مشرق □

دونا لورا : هل سمعت بذلك ؟

دون غونثالو : نعم .

دونا لورا : يا لفراية القدر ! (جانبا) غونثالو !

دون غونثالو : العاشق اللطيف ، في العلاقة نفسها ..

دونا لورا : آه ، المبارزة .

دون غونثالو : تماما ، المبارزة . كان العاشق اللطيف ... ابن عمي ، الذي كنت أحبه كثيرا .

دون لورا : آه ، نعم ، ابن عمك . لقد أخبرتني صديقتي في احدى رسائلها قصة تلك العلاقة ، التي كانت رومانسية حقا . كان ابن عمك - يمر على صهوة حصان كل صباح في ممر الورود تحت نافذتها ، ويقذف عاليًا نحو شرفتها بباقية من الزهور ، حيث كانت تلتقطها .

دون غونثالو : وفيما بعد ، عند الاصليل ، كان الفارس يعود من المسر نفسه ، ويلتقط باقة الزهور التي تقذفها له . هل أنا على صواب ؟

دونا لورا : نعم ، وكانوا يريدون تزويجها من تاجر لا ترغب فيه .

دون غونثالو : وذات ليلة ، بينما كان ابن عمي منتظرا تحت نافذتها ليسمعها وهي تغنى ، ظهر الشخص الآخر بشكل غير متوقع.

دون لورا : وأهان ابن عمك ..

دون غونثالو : وجرى عراك بينهما ..

دونا لورا : وبعد ذلك مبارزة .

□ صباح مشرق □

دون غونثالو : نعم ، عند المغيب ، على الشاطئ ، وجرح التاجر جرحا
بلينا . وكان على ابن عمي أن يختفي لبضعة أيام ، ثم يهرب
بعد ذلك .

دونا لورا : يبدو أنك تعرف القصة جيدا .

دون غونثالو : وأنت كذلك .

دونا لورا : لقد وضحت أن صديقة لي قد اعادتها على مسمعي .

دون غونثالو : كما فعل ابن عمي معي (جانبا) هذه لورا !

دونا لورا : (جانبا) لماذا أخبره ؟ إنه لا يشك .

دون غونثالو : (جانبا) أنها ساذجة تماما .

دونا لورا : وهل كنت أنت ، على أية حال ، من نصح ابن عمك أن
ينسى لورا ؟

دون غونثالو : كيف ، إن ابن عمي لم ينسها مطلقا .

دونا لورا : كيف تفسر سلوكه أذن ؟

دون غونثالو : سأخبرك . لقد التجأ الشاب إلى بيتي ، خائفا من نتائج
المبارزة مع شخص ذي مكانة عالية في تلك المنطقة . ثم غادر
بيتي إلى أشبيلية ثم أتى إلى مدريد . وكتب إلى لورا عدة
رسائل ، كان بعضها شعرا . لكنها ، دون شك ، قد احتجزت
من قبل والديها ، لأنها لم ترد عليها مطلقا . وأذ أيقن غونثالو
حينئذ يائسا أن حبه قد ضاع إلى الأبد ، التحق بالجيش ،
وذهب إلى إفريقيا ، وهناك ، في أحد الخنادق ، مات ميتة
شرفية ، وهو يعانق علم إسبانية ، ويهمس باسم حبيبته
لورا

دونا لورا : (جانبا) يا لها من كذبة مروعة !

دون غونثالو : (جانبا) لم اكن لاستطع قتل نفسي بشكل أكثر بهاء .

دونا لورا : لابد انك فجعت بهذه الكارثة .

دون غونثالو : نعم ، لقد فجعت حقا يا سيدتي . وكانه أخ لي . وسمع ذلك افترض ان لورا ، على العكس من ذلك . كانت خلال فترة قصيرة تطارد الفراشات في حديقتها ، دون اكتراض او اسف .

دونا لورا : كلا يا سيدتي ، كلا !

دون غونثالو : انه اسلوب المرأة .

دونا لورا : حتى لو كان ذلك اسلوب المرأة ، فهو ليس من طبيعة « العذراء الفضية ». لقد انتظرت صديقتي أخباره طيلة أيام ... أشهر ... سنة كاملة ، ولم تأت رسالة . وذات أصيل ، عند المغيب تماما ، وبينما كانت النجوم الاولى تظهر في السماء ، شوهدت وهي تفادر البيت بخطوات سريعة ، منطلقة في طريقها الى الشاطئ ، ذلك الشاطئ الذي ضحى فوقه حبيبها بحياته . كتب اسمه على الرمال ، ثم جلست فوق صخرة ، ونظرها مثبتة على الافق . كانت الامواج تددمد لحنها الحزين وتزحف ببطء صاعدة الى الصخرة التي تجلس العذراء فوقها . وارتفع المد هادرا وجرفها بعيدا نحو البحر .

دون غونثالو : يا الله !

دونا لورا : ويؤكد صيادو ذلك الساحل ، الذين يرونون القصة غالبا ، انه مضى وقت طويل قبل ان تفسل الامواج الاسم المكتوب على الرمال . (جانبا) انك لن تسأقني في تجميل موتي .

□ صباح مشرق □

دون غونثالو : (جانبا) انها تكذب بشكل اسوأ مما افعل .

دونا لورا : مسكينة لورا !

دون غونثالو : مسكين غونثالو !

دونا لورا : (جانبا) لن اخبره بأنني تزوجت الى باريس مع راقصة باليه .

دون غونثالو : (جانبا) بعد ثلاثة اشهر فررت الى باريس مع راقصة باليه .

دونا لورا : ان القدر غريب . ها نحن ذا ، أنت وانا ، غريبان تماما ، التقينا صدفة ، وجلسنا نناقش قصة حب عنيفة لصديقين قد يمرين جرت منذ عهد بعيد ! وبها نحن نتحدث وكانتا صديقان قد يميان .

دون غونثالو : أجل ، هذا غريب ، مع الاخذ بعين الاعتبار تلك البداية السيئة لحديثنا .

دونا لورا : لقد أخذت الطيور .

دون غونثالو : لعلني كنت غير عقلاني .

دونا لورا : نعم ، لقد كان ذلك جليا . (برقة) هل ستاتي ثانية غدا ؟

دون غونثالو : بالتأكيد ، اذا كان صباحا مشرقا . ولن اكتفي بعدم اخافة الطيور فحسب ، بل س أحضر بعض فتات الخبز ايضا .

دونا لورا : شكرًا جزيلا لك . ان الطيور شاكرة وترد الجميل . ترى اين وصيفتي بترا (تعطي اشاره لوصيفتها) .

دون غونثالو : (جانبا ، وهو ينظر الى لورا التي كانت تدير ظهرها) كلام ، كلام ، لن اكشف نفسي . لقد أصبح شكلني منفرا الان . من الافضل ان تستعيد في ذاكرتها الفارس اللطيف الذي كان يمر كل يوم تحت نافذتها ويقذف الزهور .

□ صباح مشرق □

دونا لورا : هاقد ات .

دون غونثالو : ذاك خوانيتو ! انه يسبب ارباكا للمربيات .
(ينظر باتجاه ، اليمين ويشير بيده)

دونا لورا : (جانبا ، وهي تنظر الى غونثالو الذي كان يدير ظهره)
كلا ، اتنى قد تغيرت بشكل محزن ايضا . ومن الافضل ان
يتذكرني على اتنى الفتاة ذات العينين السوداويين التي تقذف
الزهور أثناء مروره بين ورود الحديقة .

(يدخل خوانيتو من اليمين ، وبترا من اليسار وهي تحمل
باقة من البنفسج في يدها)

دونا لورا : حسن يابترا ! أخيرا !

دون غونثالو : خوانيتو ، لقد تأخرت .

بترا : (للدونا لورا) لقد أعطاني الحراس هذه البنفسجات لك
يا سيدى .

دونا لورا : كم هذا رائع ! اشكريه عنى . انها ذات عبير جميل .
(عندما تأخذ البنفسجات من وصيفتها تسقط على الارض
بعض زهرات غير مثبتة) .

دون غونثالو : يا سيدتي العزيزة ، لقد كان هذا شرفًا عظيمًا وبهجة فائقة .

دونا لورا : لقد كان مبهجا لي ايضا .

دون غونثالو : وداعا ، الى الفد .

دونا لورا : الى الفد .

دون غونثالو : اذا كان مشرقا .

دونا لورا : اذا كان صباحا مشرقا . هل سنذهب الى مقفك ؟

□ صباح مشرق □

دون غونثالو : كلا ، سأحضر إلى هذا .. إذا كنت لا تمانعين ؟

دونا لورا : هذا المقعد تحت تصرفك .

دون غونثالو : وسأحضر فتات الخبز بالتأكيد .

دونا لورا : إلى الفد اذن .

دون غونثالو : إلى الفد .

(تسير لورا مبتعدة نحو اليمين ، مستندة إلى وصيفتها .

و قبل أن يغادر غونثالو مع خوانيتتو يرتعش ثم ينحني بجهد كبير ، ليلتقط البنفسجات التي سقطت من لورا .

في تلك اللحظة تدير لورا رأسها وتفاجئه وهو يلتقط الزهور .

خوانيتتو : ماذا تفعل يا سيدي ؟

دون غونثالو : خوانيتتو ، انتظر ...

دونا لورا : (جانبا) نعم ، انه هو .

دون غونثالو : (جانبا) انها هي ، لاريب في ذلك .

(تلوح كل من دونا لورا ودون غونثالو تحية الوداع)

دونا لورا : هل يمكن أن يكون هو ؟

دون غونثالو : يا للسماء ، هل تراها هي ؟

(يبتسمان مرة أخرى ، و كانها في نافذتها ثانية وهو تحتها

في حديقة الورد ، ثم يختفيان كل على ذراع خادمه) .

* * *

المحتوى

- | | |
|--|---|
| د. بشينة شعبان ٣ | كلمة التحرير |
| تر : نظار نظاريان عن الارمنية ٧ | سقراط جريحا |
| بِقْلَم : الياس سعد غالى ٣٠ | هوراس |
| ٧٤ تر : فاروق هاشم | ستيفان مالارمية |
| الامبراطور شاكا العظيم (ملحمة من الزولو) ١٢٠ | حكاية الليلة الثانية والسبعين بعد المستمائة |
| ١٣٦ تر : صلاح حاتم | « هو فمانستال وألف ليلة وليلة » دراسة |
| ١٥٦ بِقْلَم : صلاح حاتم | « ليل محاييد » للشاعر التشيلي سيرخيو ماياس |
| ١٨٦ تر : رفعت عطفه | تر : خالد حداد ٢٠٢ |
| | « صباح مشرق » ملهاة من فصل واحد |

No. 62 — 16 — Winter 1990

CONTENTS

A — « Prefae » by Dr. Bouthaina Shaahan	3
« The Wounded Socrates (? 470 - 399 Bc), by Bertolt Brecht, Translated by Nazad Nazarian	7
« Horace » (65 - 8 Bc.) by Ilias Saad Ghali	30
Stephan Malarmieh, by Antony Hartly, translated by Farouk Hashim	74
The Great Emperor Shaka (a Legend from the zolo), by Mazici Kowienini, tr. by Mamdouh Odwan	120
« The story of the seventy second night after six hundreds » by the Austrian writer Hogofon Hofmanastal, tr. by Salah Hatim.	136
« Hofmanastal and » One thousand night and one noghty», by Salah Hatim.	156
« The Neutral Night », by the chilian poet Sirkhio Mathias, tr. by Rafat Atfi.	
« A Bright Morning », a comedy of one act, by the two brothers serafsin and Alfaris Koutiro, tr. by Khalid Hadad.	202



مَنْ أَجْهَلَنَا ..
وَمَنْ أَجْهَلَهُ ..

وَمَنْ أَجْهَلَ الْجَمِيع ..

نَحْنُ نَحْنُ وَأَقْطَانُنَا
إِلَيْنَا دُفُونَ وَسَعَادَةٌ
دَائِمَّةٌ ..

المُؤسَسَةُ الْعَامَّةُ لِلْحَلْجَ وَتَسْوِيقِ الْأَقْطَانِ

سُورِيَّة - حَلْب - ص. ب - ٢٩٩ - بِرقِيَّاً: تَصْدِيرِ اِنْطَاجاتِ

هَاتَف: ٣٩٤٩٥ - ٣٨٤٨٦

افتَشَّتَا الْكَوْرِيَّةُ الْزَاهِيَّةُ
تَضَعَّلَتْ قَنْيَّةُ مَجَالٍ
الْأَهْمَىَّاتِ الْأَفْضَلِ .. إِلَيْهِ

الطبعة الأولى - مطبوعات مجلس الأوقاف - القاهرة



يرجى من الاساتذة الكتاب مراعاة ما يلي :

- ١ - أن تكون الترجمة عن الأصل وليس عن ترجمة أخرى .
- ٢ - أن يرافق الأصل أو صورة عنه مع الترجمة وتعذر المجلة عن نشر أية ترجمة غير مرفقة مع الأصل .
- ٣ - أن يكون المقال مطبوعا على ورق فولسكاب وإذا تعذر ذلك أن يكون مكتوبا بخط واضح .
- ٤ - أن ترد الهوامش جميعها في نهاية المقال وليس في أسفل الصفحة .
- ٥ - لا يزيد طول المقال بأي حال من الاحوال عن ٢٥ صفحة .
- ٦ - أن يرافق المقال المترجم بلمحة موجزة عن الكاتب المترجم له وأن يزودنا السيد المترجم بملخص (لا يتجاوز ١٥ سطرا) عن الموضوع المترجم باللغة الانكليزية وإذا تعذر ذلك وباللغة العربية لأن المجلة تنوي اصدار ملخصات عن محتوياتها باللغة الانكليزية .
- ٧ - أن يزودنا الاساتذة الكتاب بعنوانينهم وأرقام هواتفهم أن أمكن كي نتمكن من الاتصال بهم وإبلاغهم عن وصول أو قبول مادتهم .
- ٨ - تحرير وتدقيق المادة باللغة العربية قبل ارسالها .